# الولايات المتحدة الأمريكية

هي أول دول هذا المحور الذي يتألف من: الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا: التي تدور في فلك الولايات المتحدة، وإسرائيل: الابنِ المُدلَّل لأمريكا.

تؤلِّفُ هذه الدولُ الثلاثُ ما سمَّاه الرئيسُ الأمريكيُّ «جورج بوش الابن»: دُولَ محور الشَّرِّ بدلاً من الدُّول الثَّلاث التي سَمَّاها وهي: العراق، وإيران، وكوريا الشمالية.

وقد أطلق «جورج بوش الابنُ» هذا الاسمَ على هذه الدول؛ لأنها لم تركع له، ولم تسجد لأمريكا.

وكانت ذريعتُهُ بالنسبة للعراق: امتلاكَهَا لأسلحة التدمير الشامل ـ علماً بأن إسرائيل تَملكُ هذه الأسلحةَ تصريحاً، وتمتلكُ أيضاً الأسلحةَ النوويةَ ـ.

أمَّا حُجَّتُهُ بالنسبة لإيران فهو: اتجاهُهُا الإسلاميُّ الذي يَعتبرُهُ «بوش» والغربُ أكثرَ خطراً من الأسلحة الجرثومية، وأسلحةِ التدميرِ الشامل، ومن الأسلحة النووية.

إنه الإسلامُ: الذي اعتبرتهُ أمريكا هو الخطرَ الأكبرَ على العالَم بعد زوال الإتحاد السوفييتي ونظريته الشُّيوعية العُمَّالية العالمية.

أما بالنسبة لكوريا الشمالية الفقيرة: فهو امتلاكها لتكنولوجيا الصواريخ البلاستية، والأسلحة ذات التدمير الشامل، بالإضافة إلى قُدرتها على إنتاج الأسلحة النووية، هذا من حيثُ امتلاكُها، أمّا ما هو أهمُّ من الامتلاك بالنسبة لأمريكا فهو: خَوفُها من تصدير هذه التكنولوجيا المتقدمة إلى إيران والعراق، وبخاصة تكنولوجيا الصواريخ والأسلحة النووية.

هذا ولا ننسى أن تصنيف هذه الدول الثلاث كدول محور شرٍّ على العالم يُخفي وراءَهُ تصنيفاً آخر، مثل: سوريا، وليبيا، والسودان: الذين تَتَّهمُهُم أمريكا بدعم الإرهاب أو ممارسته. وما ذنب هذه الدول الثلاث إلاَّ أنها مُؤيِّدةٌ للشعب الفلسطيني: الذي يُناضل من أجل قيام دولته المستقلَّة في الضفَّة والقطاعَ المُحتلَّين عام 1967م من قبل إسرائيل.

ولكن الحقيقة الصحيحةَ: أنَّ هذه الدولَ أيضاً لم تَخضعْ لرَغَبات أمريكا، ولا لنَزَوات إسرائيلَ المعتدية. ومع كل هذا فإن أمريكا لا تقبلُ من دولة شرق أوسطية قولَ كلمة: لا، حتى ولو كانت صحيحةً. إنها فلسفةُ القوَّة، وسياسةُ الغطرسةِ، وعظمةُ البُسطار الذي يدوس كُلَّ مُعارض أو مُعترض ولو كان على حقٍّ؛ لأن الحقّ هو ما تقولُهُ أمريكا، و الباطلَ هو كلُّ مَن يقولُهُ مَن هو غيرُ أمريكيٍّ أو إسرائيلي مُدلَّل.

وعلى كلّ حال، فإنه مع انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة دول المحور: ألمانيا ـ إيطاليا ـ اليابان أمام قوّات الحُلَفاء، فإن الدول الحليفةَ لأمريكا خرجت من الحرب منهوكةَ القوى، ومَهيْضَةَ الجناح، عدا أمريكا التي خرجت من الحرب وهي محتفظةٌ بتوازنها، ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب وهي:

1 ـ **السبب الأول:**

هو دخول الولايات المتحدة الأمريكية بوقت متأخّر، مما قلَّلَ من خسائرها نسبياً.

2 ـ **السبب الثاني:**

استخدامُها للأسلحةَ النوويةَ لأوَّل مرةٍ في التاريخ أمام القوات اليابانية.

3 ـ **السبب الثالث:**

تدمير الأسطول الأمريكي الكبير في ميناء (بول هاربر) بواسطة الهجوم الجويِّ الانتحاريِّ للطائرات اليابانية؛ حيث تعرَّض لخسارة كبيرة لم تتعرَّض لمثلها طوالَ اشتراكها في الحرب، لا على الجبهة الغربية ولا على الجبهة الشرقية.

وهذا يقودنا إلى مناقشة النزعة العدوانية الأمريكية؛ لأنها كانت تستطيع إلحاقَ الهزيمة باليابان بدون السلاح النوويِّ، وخاصةً أنها كانت قد دمَّرت الأسطولَ الياباني. والجيش البريُّ الياباني كان مُوزَّعاً بين منشوريا والصين واليابان، وكان السلاح الجويُّ يعاني من مشاكل النقصِ في الطيَّارين وقطع الغيار.

بعد تدمير الأسطول الياباني، وجّهت أمريكا ثلاثَ ضَرَبات قاتلة لا تنمُّ إلا عن حقد وروح عدوانية فاضحة[1]:

### 1 ـ الضربة الأولى:

تَمَّت في 9 آذار (مارس) 1945م، عندما أسقطتْ 280 طائرةٌ مقاتلةٌ على طوكيو 1670 طن من القنابل المُحرقة، فدمَّرتْ هذه العاصفةُ الناريةُ التي دامت ستَّ ساعات: 40 كم$^2$ من المدينة، قُتل على أثرها 84 ألف قتيل، عدا مئات الألوف من الجرحى، من أصل 6,700,000 نسمة سكان طوكيو.

### 2 ـ الضربة الثانية:

في 6 آب 1945م، أسقطت طائرةٌ أمريكيةٌ مقاتلةٌ على مدينة هيروشيما قنبلةً واحدةً، انفجرت على ارتفاع 400 متر، فحرَقتْ: 11 كم$^2$؛ بهبوب الرياح والنار، وبلغ عدد القتلى في المدينة 70 ألف قتيل، من أصل 245 ألف نسمة عدد سكان المدينة. أما الذين أصيبوا بالجروح والإشعاعات فقد بلَغ عددُهُم أكثرَ من نصف الأحياء، وكانوا يموتون بعد سنوات بسبب الإشعاعات النووية.

### 3 ـ الضربة الثالثة:

أطلقتها طائرةٌ مقاتلةٌ أخرى بواسطة قنبلة ذرّية مماثلة على مدينة ناغازاكي بعد ثلاثة أيام من القنبلة الأولى، وكان عدد القتلى المرئيين 40 ألف قتيل.

وهذان البَرْقان الأكثرُ ضياءً من ألف شمس، أنهيا الحربَ العالميةَ الثانيةَ بتسارع عظيم طَبَعَ نهايةَ عصر، والدخولَ في عصر جديد؛ إنه عصرُ الغَطْرسة العسكرية، عصرُ الاستراتيجية الكونية الأمريكية الجديد.

### فيتنام الشمالية:

تمثلت النزعةُ العدوانيةُ الأولى الأمريكيةُ: عندما ضَرَبت اليابانَ بالقنابل الذرية.

---

(1) انظر: قضايا عصرنا، د. نور الدين حاطوم: ص119.

أما النزعةُ العدوانية الثانيةُ الشريرةُ: فقد كانت ضد دولة فيتنام الشمالية الديمقراطية الشيوعية؛ لأن أمريكا وقفت بعد اتفاق 21 تموز يوليه 1954م مَع الجنوب عندما انعقد مؤتمر جنيف، وقسَّم فيتنام إلى قسمين: شمالي شيوعي، والجنوبي الذي حكمه الرئيسُ «نغودينه ديم» بدلاً من الإمبراطور «باؤداي» بنظام ليبراليٍّ رأسماليٍّ. وكان من الطبيعي أن يَدبَّ الخلافُ بين الشمال الاشتراكي الشيوعيِّ، والجنوب الليبراليِّ الرأسماليِّ، وكان بديهياً أنْ تقف الولايات المتحدةُ الأمريكيةُ إلى جانب فيتنام الجنوبية.

عاشت فيتنام الشمالية تحت نظام شيوعيٍّ دقيقٍ رويداً رويداً.

أما الجنوبية فقد طلب «نغودينه ديم» عام 1956م جلاءَ الجيوش الفرنسية التي حَلَّ محلَّها الأمريكيون، وانتشرت فيها الفوضى عندما دخل البوذيُّون المعارضةَ.

وفي عام 1963م قتل «ديم»، وقد وافق قتلُهُ تَقدُّمَ قوات فيتنام الشمالية (الفييت كونغ) الشيوعيين، مما أقلق الأمريكيين الذين دخلوا الحربَ بشكل مكشوفٍ، ووسَّعوا تَدخُّلَهم المسلَّحَ عام 1965م، وبدؤوا بقصف فيتنام الشمالية.

وامتد أُوَارُ الحرب بين الطرفين؛ فقد واجهت القواتُ الأمريكيةُ: التي كانت تعتمد على قصف الطائرات للمدن والمواقع العسكرية الشمالية، حربَ عصابات جديدةً من نوعها، مستفيدةً هذه العصاباتُ من الغابات الكثيفةَ والأشجارَ، مما قلَّل من عدد الإصابات، ولكن الفضل الأكبرَ في استمرار الحرب وصمودَ (الفييت كونغ) أمام الجيوش الأمريكية الجرَّارة، والقصف الكثيف للطائرات يعود إلى المساعدات اللاَّ محدودة التي كانت تُقدِّمُها كلٌّ من الصين والاتحاد السوفييتي، وكان صمودُ (الفييت كونغ) وإصرارُهُم على النصر فريداً من نوعه؛ لأن هذا الإصرارَ كان مبنياً على حق القتال ضد الدولة الغربية القادمة من أقصى بلدان العالَمِ غرباً، إلى أقصى بلدان العالَم شرقاً.

وكانت الخسائر تزداد يوماً بعد يوم في صفوف القوات الأمريكية، وازداد عدد الطائرات التي كانت تَسقُطُ بفعل المقاومات الجوية، وكَثُرَ عددُ الأسرى من الطيارين الأمريكيين، حتى مَلَّ شعب الولايات المتحدة هذه الحربَ، وأخذ المدعوون للخدمة في فيتنام يرفضون المُثولَ أمام المسؤولين حتى لا يُشاركوا في الظلم الذي تَفرِضُهُ أمريكا في حربها على فيتنام.

وقد قامت عدةُ مظاهرات في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو المسؤولين عن هذه الحرب بالكفِّ عنها وترك البلاد لأهلها، وانتشرت عمليةُ عصيانَ الخدمة العسكرية بين أفراد الشعب الأمريكيِّ، ومما زاد في حركة العصيان الخسائرُ البشريةُ والعسكريةُ في صفوف الجيش الأمريكيِّ الذي مَرَّغَ ثُوَّارُ (الفييت كونغ) جَبينَهُ بالتراب..

ورضخت أخيراً القيادةُ السياسيةُ في الولايات المتحدة، بعد أن رَاعَتْها الخسائرُ الحقيقيةُ للأمريكيين؛ لأن القيادة العسكريةَ لم تكن تكشف الخسائرَ الفعليةَ للقادة السياسيين، وتَمَّ على أثرها محاكماتٌ وإداناتٌ، وخرج الجيشُ الأمريكيُّ مهزوماً من عصابات (الفييت كونغ): الذين دخلوا فيتنام الجنوبيةَ، ووَحَّدوا بلدَهُم بعد خروج الأمريكيين يَجرُّون أذيالَ الخَيْبة خلفهم[1].

## عدوانية حرب الخليج:

تكوَّنت بالعراق وأمريكا عُقدةٌ واحدةٌ، نشأت وتكوَّنت في ظروف مستقلَّة الواحدةُ عن الأخرى، ولكنها متماثلةٌ من حيثُ مصادرُها. ويمكن تسمية هذه العُقدة بـ (عقدة صنَّاعة العدو)؛

فأمريكا بعد اضمحلال الخطر السوفييتي، وانهيار الكتلة الشيوعية في أوربا لم تَعُد في مواجهة عدوٍّ يَستحقُّ تعبئةَ الرأي العامِّ ضدَّه؛ وبالتالي كان من الممكن الاستنتاجُ: أن غياب العدوِّ سيؤدي تلقائياً إلى انفجار الأزمات الداخلية، وأن أفضل مجال لتفريغ الأزَمَات الداخلية هو صناعةُ عدوٍّ خارجيٍّ، وتساءلت الصُّحفُ الأمريكيةُ - بعد تلاشي الخطر السوفييتي -: مَن هو العدوُّ؟ أهو الإسلام..؟ أم هو العالم الثالث؟. وقد اختارت الإسلامَ: الذي يُشكِّلُ أيديولوجيةً متينةً، ويَدينُ به أكثرُ من مليار مسلم، مُعظمُهُم في دول العالَم الثالث، وتكوَّن لدى الإدارة الأمريكية مَنَاعةٌ - على ضوء التطور والتقدُّم -: أنَّ لا أحد يُشكِّلُ تحدِّياً جاهزاً ومُباشراً يُمكنُ تصنيعُ صورته كعدوٍّ يستحقُّ المواجهةَ غيرُ العراق؛ لأسباب كثيرة أهمها:

إنتاجه النفطي الكبير، واحتياطه منه يشكل ثاني أكبر احتياط في العالم إن لم يكن الأول.

- وثانيه: عداءه الواضح لإسرائيل، ومناصرته بشكل فعال للقضية الفلسطينية.

وثالثه: تشكيل جيش قويٍّ، يُعتبرُ الأفضلَ في دول الشرق الأوسط.

---

(1) انظر: قضايا عصرنا، د. نور الدين حاطوم: ص38-39.

ورابعه : عدم اعترافه رسمياً بالكويت دولةً مستقلةً ، وأنه ولايةٌ يَتبَعُ منطقةَ البصرة .

وخامسه : أن أمريكا اعتبرته بلداً خطراً ؛ لأنه تجاوز الخطوطَ الحُمْرَ التي تَرسُمُها أمريكا ؛ بسبب حيازته على أسلحة الدمار الشامل ، وجدِّيته بتصنيع الأسلحة النووية ـ وكانت قد أوكَلتْ إلى إسرائيل مُسبَقاً تدميرَ مُفاعِلِ العراق النَووي ؛ لأنه يُشكِّلُ خطراً مُزدَوَجاً عليهما ..

أخذ الرئيس «بوش» يُفتِّش عن حرب يُبرزُ فيها قوتَه وغَيرَتَه على منطقة الخليج . . لم لا ، وقد شنَّ معظمُ الرؤساء الأمريكيُّون حروباً لتجديد انتخابهم ، والظهور بمظهر الأبطال . فقد خاض الرئيس «ترومان» الحربَ العالميةَ الثانيةَ قبل أن يدخل حرب كوريا ، فلما جاء الرئيس «أيزنهاور» أكملَ حربَ كوريا ، في حين دخل الرئيس «كندي» أزمةَ الصواريخ مع كوبا ، وبَدَا على شفا حرب مع الإتحاد السوفييتي ، أما الرئيس «جونسون» فكانت حصَّتُهُ حربَ فيتنام : التي كَبَّدته وأمريكا خسائرَ لم يَحسبْ لها حساباً ، واختار الرئيس «ريغان» أن تكون حربُهُ ضدَّ ليبيا وغرينادا . فالحرب إذن هي أحدُ عناصر التكوينِ الرئاسيِّ في الولايات المتحدة .

هذا ما استنتجه العراقيُّون مع التقاط الإشارات الأولى عن تهديدات أمريكية موجَّهة ضدَّ بلادهم ، وأصبح العراق في مختبر صناعة العدو بواشنطن . ولم تكن تلك هي المرةَ الأولى التي يَرصُدُ العراقُ فيها خُطَطاً أمريكيةً موجّهةً ضدَّ قيادته ؛ فقد تجمَّعت معلوماتٌ من مصادرَ عدَّة عام 1983م عن عملية تَستهدفُ الطائرةَ التي كان الرئيس «صدام حسين» يَستخدمُها في سَفراته خارجَ العراق ، على أن تُنفِّذَ إسرائيلُ هذه العمليةَ بتسهيلات أمريكية ، ولم يتوقف ضخُّ وكلاء المَخابرات الأمريكية من حَمَلَة الجنسيات غير العراقية بهدف العَمل ضدَّ نظامه السياسيِّ ، وكان كلُّ حَدَث مُستجدٍّ كافياً للتذكير بإرث سابقٍ من عدم الثقة والتوجُّس والشكِّ...

نقل المبعوث السوفييتي «يفغيني يريماكوف» إلى الرئيس الأمريكي «جورج بوش» ـ عند لقائهما أواسطَ شهر تشرين الأول أكتوبر 1990م ـ الاستنتاجَ الذي تكوَّن لدى العراق حول توريط الولايات المتحدة في العمل على تغيير نظامه السياسيِّ ، واغتيال القيادة العراقية ، والتواطؤ معَ إسرائيلَ من جهة ، و الكويت من جهة أخرى ؛ لتهديده في جانب ، واستنْزافه في جانب آخرَ . وقد أظهر الرئيس «بوش» استغرابَهُ ممَّا سَمعَ ، وقال لـ«بريماكوف» : ((لماذا هذا الانطباعُ لدى العراقيِّين ، ونحن ساعدناهم في الحرب مع إيران؟)) .

وكشف الرئيس «صدّام حسين» أن ضُلُوعَ الولايات المتحدة في التخطيط والتآمر على العراق، كان أمراً معروفاً لدى عدد من القادة العرب: الذين وَجَّهوا في شهر حزيران (يونيه) 1990م ـ أي: قبل شهرين من دخول الكويت ـ رسائلَ خَطيّةً إلى الرئيس «جورج بوش» يُحذِّرُونَه من مخاطر العمل ضدَّ حياة الرئيس العراقيِّ، وذكرَّ الرئيس «صدام» بالتحذير الذي نقله السيد «طارق عزيز» إلى وزير الخارجية الأمريكية «جيمس بيكر» في لقائهما الأول بواشنطن في شهر تشرين الأول (أكتوبر) 1988م، وقال لـ«بريماكوف»: ((معلوماتُنا أكيدةٌ ومُوثَّقةٌ، ونحن لم نطلب من القادة العرب الذين كتبوا إلى الرئيس «جورج بوش» أن يُرسلوا تلك الخطابات، ولكنهم فعلوا ذلك بناءً على ما تَجمَّع لديهم من معلومات، وغَيرتهم القومية والوطنية على بَلَد عربيٍّ شقيق لم يُسئ لبلد آخرَ، إلاَّ إسرائيلُ، فإنَّه لم يَوَدَّها؛ لعُدوانها، وتَدميرِها للمُفاعلِ النوويِّ، وشَطْبِها في قتل الفلسطينيين))[1].

وصف وزير الدفاع الأمريكي ـ في عهد «بوش الأب» ـ «ريتشارد تشيني» الجيشَ العراقيَّ: بأنه الجيشُ الرابعُ في العالَم، وكان هناك مَن يَعتقدُ أن الأمريكان يُبالغون في تقدير قوَّة العراق العسكرية، حتَّى يَخلُقُوا الذَّرائع الكافيةَ لتجنيد قوَّة عسكرية كبيرة يَشتركُ فيها ـ إلى جانب الولايات المتحدة ـ أكبرُ عدد يُمكنُ جَمعُهُ من جيوش العالَم؛ لتبرير حملة جمع التمويل الماليِّ للحرب من دول الخليج وأوربا واليابان، بعد إظهار الجيش العراقيِّ كقوَّة نازعَة إلى الوُسْعِ والعُدْوان، وتهديد المنطقة بكاملها، بخُطَّة مدروسة ومُحْكَمَة من قِبَل خُبراء الحرب الأمريكيين.

ولم يكن في نيَّة العراق احتلالُ الكويت، وإنَّما كانت منازعاتٌ ومخاصماتٌ كلاميةٌ عاديةٌ حول موضوع بترول العراق الجنوبيِّ المُستَنْزَف من قِبَل الكويت؛ بسبب انبساط الأرض ومَيلها نحو الكويت. والدليل على ذلك: أنَّ الأيام الخَمسةَ والعشرين التي سبقت 2 آب (أغسطس) 1990م، لم تكن كافيةً للتعبئة في اتجاه مُعاكس لمَا استقرَّ عليه وضعُ التَّعايش السلميِّ على مدى خمسة وعشرين عاماً من التاريخ؛ عندما تعامَل العراقيون مع الكويت كدولة يُمكنُ التعايشُ معها، واستقبلوا أميرَها كرئيس دولة أخرى، ومنعوا نشرَ الكتب التي تتحدث عن خَلْفية العلاقة التاريخية بين الكويت والعراق... كذلك كان من الصعب القيامُ بعملية تعبئة في 25 يوماً لمسح ما جرى من التعايش معه طوال 25 سنة.

---

(1) انظر: كتاب حربٌ تلد أخرى/ التاريخ السرّي لحرب الخليج، سعد البزّاز: ص154 ـ 159.

أما الموضوع الآخرُ الذي يَستحقُّ التأمُّلَ والفهمَ، فيتعلَّقُ بالموقف الذي كان قائماً بين العراق والكويت؛ إذ مضت سنواتٌ طَويلةٌ على صراعٍ يتعلَّق بالحدود.

وقد بذلت الحكومةُ العراقيةُ بعد انتهاء الحرب مع إيران جهوداً مُضنيةً وجديّةً لحَلِّ هذه المشكلة، إلا أن حكومة الكويت تَمسَّكت بردود فعل تَتَّسمُ باتخاذ مواقفَ متشددةَ بلغت ذرْوتَها في اجتماعٍ جدَّة: الذي عُقد بتاريخ 31 تموز (يوليو) 1990م. ولا شك أنَّ الغضبَ العراقيَّ على الموقف الكويتيِّ قد حَفَّزَ الحكومةَ العراقيةَ على اتخاذ قرار الدخول إلى الكويت ـ وكان وَقتَها: لو أنَّ «جورج بوش» تدَّخل بالموضوع بمكالمةٍ هاتفية لصدام حسين لَمَنَع ما وَقَع، ولكن الظاهر أن «بوش» كان يريد ذلك الدخولَ ليكون ذريعتَهُ المباشَرةَ من أجل تدمير القوة العراقية الصاعدة التي خرجت من حرب إيران أقوى مما كانت عليه قبل الحرب، والتي أخذت إسرائيلُ تُحرِّضُ أمريكا على ضرب العراق قبل أن يَستفحلَ أمرُهُ ويصبحَ السيدَ المُطاعَ في منطقة الخليج.

والنقطة المهمة الأخرى التي يؤكد عليها سعد البزَّاز هي: أن الرئيس «صدام حسين» كان مُستعداً لترك الكويت في وقت مُبكِّر بعد الدخول إليها، في حالة التوصُّل إلى حلٍّ عربيٍّ ـ عربيٍّ للموضوع، لكنْ ما بدا واضحاً هو أن الولايات المتحدةَ لم تكن لتقبل بأيِّ حلٍّ عربيٍّ، بل إنها تدخَّلت بكل الطُّرق لتمنعَ الحلَّ العربيَّ من التحقُّق.

وقد اقتنع الرئيس «بوش» بآراء رئيسة وزراء بريطانيا «مارغريت تاتشر»؛ القاضية بأن الحرب وَحدَها هي الحلُّ، حتى أن «الملك حسين» تدخَّل شخصياً من أجل الانسحاب، وشُوهدَت كتائبُ عراقيةٌ في حالة العودة، ولكنَّ أمريكا أقنعت «الحسين» بالكفِّ عن التدخُّل.. وبقيتِ الحربُ الحلَّ الوحيدَ حتى عندما وافق العراقُ على الانسحاب من الكويت. ففي الثالث والعشرين من شباط (فبراير)، وقبل ساعات من بدء الحرب البّرية، وافقَ العراقُ على الانسحاب مُقابلَ ضَمانة من الزعيم السوفييتي آنذاك «غورباتشوف» بأن الولايات المتحدةَ التي تقود التحالف لن تَشُنَّ الهجومَ البرّيَّ، وأن العراق في هذه الحالة سيَتخلَّى عن مَطلَبِه في الربط بين أزمة الخليج وإيجادِ حلّ للمسألة الفلسطينية[1].

---

(1) انظر: سعد البزَّاز، حرب تلد أخرى ـ التاريخ السرّي لحرب الخليج: ص8 ـ 9، 27 ـ 30.

إنَّ نظرة «بوش» المستندةَ إلى اليمين المسيحيِّ ـ الصهيونيِّ المتطرِّف في أمريكا، جعلته يقول في لحظة انفعال ـ ولا نعلم إن كانت مقصودةً أم لا . . ؟ ـ: إنها عودةُ الحروب الصليبية. فهل يدل هذا يا تُرى عَلى عُقد تاريخية تعود إلى رُوح الثأر والانتقام وعدم الثقة مما تَرَسَّبَ عن الصدامات القديمة، والحروبَ التي مَرَّ عليها مئاتٌ كثيرةٌ من السنين، أيقظتها مَشاعر العداء ضدَّ العرب والمَسلمين، في صراعٍ لَم تَحسمْهُ المعاركُ الكثيرةُ زمنَ الحروب الصليبية: التي دامت قرنَين من الزمن بين أمراء الغَرْب المسيحيِّ، وقادة الشَّرق الإسلاميِّ: الذين قادوا العمليات الجهاديةَ ضدَّ الصَّليبيِّين بعد أن وحدوا بلاد الشام أولاً، ثم بلاد الشامَ مع مصر، واستطاع «نور الدين زنكي» الشهيدُ، ثم «صلاح الدين الأيوبيُّ» أن يُحقِّقوا انتصارات كبيرةً على الجيوش الصليبية، انتهت بتحرير القدس الشريف، ثم خُرُوجهم نهائياً من الشرقِ الإسلاميِّ وعَودتهم إلى بُلدانهم في أوربا الغربية. فهل كان «بوش الابنُ» في كلامه يَقصدُ إثارةَ المسلمين بغَمزاته إلى الصليبية والحروب الصليبية. . ؟

لقد شعرت بغدادُ أنّ حكومة المحافظين البريطانيةَ ورئيستَها «مارغريت تاتشر» لَعبَتْ دوراً حاسماً في دفع الرئيس الأمريكيِّ «جورج بوش» إلى الخيار العسكريِّ ضدَّ العراق، وأن اجتماع (كولورادو) في الثالث من آب (أغسطس) 1990م بين «بوش» و«تاتشر» قرَّرَ في الساعات الأربع والعشرين الأولى المُضيَّ حتى النهاية؛ لسحق العراق وتدميره حتى لا تقومَ له قائمةٌ، وعدمَ الاكتفاء بانسحاب قوَّاته من الكويت، وقطعَ الطريق على الحَلِّ السياسيِّ، ورفضَ أيِّ بديل وسط، وأن «تاتشر» خَلَقَتْ قناعةً لدى الرئيس الأمريكيِّ بأنَّه مخدوعٌ من جانب العراق، وأنْ لا لُغةَ للتعامل مع بغداد غير استخدام القوَّة بحدودها القُصوى.

وفكرة تشكيل تَحالُف عسكريٍّ وسياسيٍّ دوليٍّ ضدَّ العراق قد انطلقت من اجتماع (كولورادو) إلى الحدِّ الذي رأتْ فيه رئيسةُ الحكومة البريطانيةُ أنَّ ضرب العراق، وتدميرَ جيشه وصناعته العسكرية وبُنيَته التَّحتيَّة لا يحتاجُ إلى غطاء من مجلس الأمن، وأن بالإمكان اللجوءَ إلى العمل الفَوريِّ دونَ انتظارِ التحاقِ الجميعِ بهذا الخيارِ.

وعندما بدأت الحربُ كانت بريطانيا هي مصدرَ التهديد باستخدام الأسلحة النووية ضدَّ العراق، سواء بالإعلان عن إرسال غوَّاصات نووية إلى الخليج، أم في تمرير تهديدات مباشرةٍ إلى بغداد لإبقاء الباب مفتوحاً أمام هذا الخيار.

وبعد انتهاء الحرب، عادت بريطانيا تتبنّى مشروعَ تقسيم العراق على أساس مذهبيٍّ وعرْقيٍّ؛ لتسحب معها الولايات المتحدةَ إلى ما هو جديدٌ على خياراتها المُعلَنة السابقة في المنطقة؛ لأنها كانت مدفوعةً لتصفية ثارات متراكمة مع العراق، ولأنها وجدت نفسَها أكثرَ تخصُّصاً وصلةً في منطقة حيوية تُفلتُ منها السيطرةُ عليها لتَؤولَ إلى الولايات المتحدة، فاختارت المشاركةَ بعنفٍ لتُحافظَ على ما تبقّى من نفوذ، وتَبنيَ عليه، لاستعادة ما تَبقّى من دورٍ في المنطقة، كانت هي التي تصنع مصائرَ بُلدانها قبل أقلِّ من قرن فقط، ولتُغلقَ البابَ أمام المنافسين الأوربيين، سواء اختاروا المشاركةَ مع الولايات المتحدة أم الافتراقَ عنها، خاصةً فرنسا: التي كانت تَملكُ القُدرةَ إلى خيار التفرُّد عن الولايات المتحدة الأمريكية البُعبُع الجديد. وهذا ما يذكرنا بإحدى فقرات بيان القيادة العراقيِّ الصادر في 15 شباط (فبراير) 1991م، الذي جاء فيه: ((إنَّ العُدوان الذي وقع على العراق، البلد الشجاع، الأبيِّ، المُجاهد، المؤمن، الصابر، ليس له مثيل في التاريخ... إن تاريخ الإنسانية كلَّهُ، لم يُسجِّل مثلَ هذا التحالُف الذي شاركت فيه الولاياتُ المتحدةُ ودولتان كُبريَان ودولٌ عديدةٌ أُخرى بَلغَ عددُها الثلاثين، ضدَّ العراق المُجاهد الشُّجاع.. الصَّابر، الذي لا يتجاوز عددُ مواطنيه الثمانيةَ عشرَ مليون نسمة، إنه الحلْفُ الشرِّير.. الغاشمُ.. الخبيثُ.. الكافرُ.. ضدَّ قلعة الإيمان والمبادئ، ضدَّ مركز الحرية والدَّعوى إلى العدالة والإنصاف)).

يتضح لنا من موقف الولايات المتحدة التحيُّزُ الأعمى، واتخاذُ القرارات العدوانية المُسبَقة عن سابق تصوُّرٍ وتصميم، يَدعمُها التحريضُ المُغرضُ، والحقدُ الأعمى، في موقف بريطانيا بلسان رئيسة وزرائها «مارغريت تاتشر». فإذا أضفنا إليهما موقفَ إسرائيل العدوِّ اللّدود للعراق - الذي دمَّر مُفاعلَه بتخطيط ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية - أدركنا عندئذٍ السببَ الحقيقيَّ لضرب العراق وتدمير قُدراته العسكرية؛ لأنه البَلدُ الجريءُ الذي وقف برجولة وشجاعة أمام مصالح الولايات المتحدة في الخليج، والبلدُ الوحيدُ الذي وصلت صواريخُهُ تلَّ أبيبَ، والذي يُقدِّم الدَّعمَ الكبيرَ للانتفاضة الفلسطينية ولشُهدائها ولأُسَر الشُّهداء الأبرار، أليس يكون بعد كل هذا أن محورَ الشرِّ وعدوَّ الشعوب هو الحلف الأمريكي - البريطاني - الصهيوني...؟

## الحلف الأمريكي ـ البريطاني في أفغانستان وأحداث 11 أيلول (سبتمبر):

### يقول المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي:

«إن الولايات المتحدةَ الأمريكيةَ، قضت على سُكّانها الأصليين ـ الهنود الحُمر ـ عبرَ القرون، واجتاحت نصفَ المكسيك، وتدخّلتْ بعنف في المنطقة، واحتلتْ هاواي وفيتنام، وقامت خلالَ الخمسين سنةً الأخيرةَ باللُّجوء إلى القوّة في جميع أنحاء العالم تقريباً. . هذه هي المرةُ الأولى التي توجّهُ فيها البنادقَ إلى الاتجاه الآخر... لا يُمكنُ اعتبارُ الولايات المتحدة ضحيةً بريئةً إلاّ إذا تجاهلنا لائحةَ أفعالها وأفعال حُلفائها... علينا أن نُعيرَ اهتماماً أكبرَ لما نفعَل في العالم... علينا أن نتساءل: لماذا حصل لنا ما حصَل... ؟»

المفكر الأمريكي
«نَعُوم تشومسكي»

ـ إن الهوية الأمريكية من الناحية التاريخية لها مُكونان أساسيَّان: الثقافةُ والعقيدةُ . . يُحدِّدُ «مايكل ليند» في كتابه "الأمة الأمريكية التالية":

معالم التطوُّر في الثقافة الأمريكية في ثلاثة أطوار:
أمريكا الإنجليزيةُ: من عام 1789 ـ 1861م.
وأمريكا الأوربية: من عام 1875 ـ 1957م.
وأمريكا متعددة الثقافات: منذ عام 1972م ـ حتى الوقت الراهن ...

أما المكون الثاني للهوية الأمريكية فهي: مجموعة الأفكار والمبادئ الكلية: تُوضِّحُها الوثائقُ الأساسيةُ التي وضعها زعماءُ أمريكا: الحريةُ، والمساواةُ، والديمقراطيةُ، والتقيدُ بالدستور، والنزعةُ التحررية (الليبراليةُ)، والحكومةُ ذات المسؤولية المحدودة، والأعمالُ أو المهَنُ الحرةُ. هذه الأمورُ مجتمعةً أطلقَ عليها «جانز ميردال»: (العقيدةَ الأمريكيةَ)؛ التي تُوِّجت على مرِّ العصور بالإجماع الشعبيِّ عليها، لذلك هَيْمَنت على السياسة الخارجية مصالحُ تجاريةٌ لقوميَّات فرعية متعدِّدة، ومصالحُ عرْقيةٌ غيرُ قوميَّة ـ لكثرة الأعراق العالمية ـ وتعلو على القوميات «هيتغتون»، ومصالحُ لوبيَّات من قوميات أخرى، على سبيل المثال: «هل النهج في السياسة

الخارجية التي تَنتَهجُهُ الإداراتُ الأمريكيةُ المتتابعةُ في تأييدها الأعمى لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط من جَرّاء ضغط اللُّوبي اليهوديِّ في أمريكا عليها . . ؟، وهل يُؤدِّي في المستوى البعيد والاستراتيجيِّ إلى صَوْن المصالح القومية الأمريكية في العالَم بشكل عام، ومنطقة الشرق الأوسط بشكلٍ خاص . . ؟

قبل الهجوم على أمريكا بتاريخ 11 أيلول (سبتمبر)، كان الكونغرس الأمريكيُّ يُحضِّر لتشريعات تحمي الأفرادَ من خُروقات تَمَسُّ بمبدأ الحرية الشخصية، أما اليوم فقد استُبدلتْ بتشريعاتٍ مُضادَّة تُعطي صلاحيات للشرطة بالتنصُّت على كل شيء حتى وفي الدخول إلى الحساباتِ الشخصية للأفراد والبنوك، والدخول أيضاً إلى البيوت في غياب أصحابها . . ؟

أما بعد 11 أيلول (سبتمبر): فقد تغيَّر كلُّ شيء في أمريكا، حتى على مستوى العلاقات في البيوت، وأمورٌ أُخرى كثيرةٌ أُجِّلَتْ؛ لدرجة أن 40٪ من طَلَبات الطَّلاق في منطقة هيوستن جنوب أمريكا قد تَمَّ التراجُعُ عنها في المحاكم، وذلك عندما بَدَتْ الخَلافاتُ الشخصيةُ لا تساوي شيئاً أمام المسائل الخطرة، كالجمرة الخبيثة، وتوقُّعِ هَجَمات انتحارية جديدة.

وكانت ردّةُ الفعل كبيرةً جداً، جعلت تصريحات المسؤولين الأمريكيين تصدر دون إدراك حقيقيٍّ لمعرفة الأبعاد الحقيقية، مثل: تصريح وزير الخارجية «كولن باول» الذي جاء فيه بعد ضَربة 11 أيلول (سبتمبر): ((نحن الآن القوّة الأعظم، نحن الآن اللاعبَ الرئيسَ على المسرح الدوليِّ، وكلُّ ما يجب علينا أن نفكِّرَ به الآن هو مسؤوليتُنا عن العالم بأسره، ومصالحُنا التي تَشمَلُ العالَمَ كلَّه . .)).

مَن أعطى لـ«باول» هذا الحقَّ عن مسؤولية أمريكا عن العالم بأسره . . أليس هو الغرورُ . . أم هو ردةُ الفعل . . ؟

في حين أن وزير الدفاع الأمريكيَّ «دونالد رامسفيلد»، وبتاريخ 31 كانون الثاني (يناير) 2002م عَرضَ العقيدةَ العسكريةَ الجديدةَ للولايات المتحدة أمام ضباط مُتدرِّجين في جامعة الدفاع الوطني في واشنطن، وأعلن: ((علينا التحرُّك الآن لكي تَكونَ لدينا القدرةُ على الرَّدع في أربعة مواقع مهمَّة، مُضيفاً: أنه يجب التمكُّنُ من التغلُّب على عَدوَّين يَشُنَّان هُجُوماً مُتزامناً، مع إمكان قيامنا بهجوم مُضادٍّ كبير، واحتلال عاصمة العدوِّ لإقامة نظام جديد فيها...)).

فهل كان العراق . . ؟ وفي هذا التاريخ . . ؟

ولذلك تعرَّض مفكِّرُون غربيُّون كثيرون لدراسة هـذه الظاهرة الجديدة . . ظاهرة التعامل بغَطْرسة مع شعوب الجنوب: الذي تُمارسُه دولُ الشمال الغنيّةُ، لا سيَّما الإداراتُ الأَمريكيـةُ المُتعاقبةُ، من هؤلاء المفكِّرين: الكاتبُ الفرنسيُّ «جاك أتولـي»، المستشـار السـابق لرئيـس الجمهورية الراحل «فرانسـوا ميتران»، الذي يرى أن الولايات المتحدةَ هي البلدُ الأكثرُ عُرْضةً للخسارة بين باقي الدول؛ لتَشكُّل كيانات عدوانية فيها، مثل: الشركات العملاقة، والمافيا، وكارتلات المخدرات، ومُهرِّبي المَوادِّ الانشطارية؛ لأن ذلك كلَّه يَمَسُّ الركائزَ الإيديولوجيةَ التي تحفظُ استمرارَ قيادتها للعالَم.

وباختصار: سوف يكون انهيارُ الحضارة الأمريكية سابقاً لسقوط الحضارة الغربية، رغم حَدَاثتها بالنسبة لحضارة دول أوربا الغربية.

إذا عُدنا إلى أحداث 11 أيلول (سبتمبر)، نجد هنالك تحليلات أكثرَ عُمقاً، لدرجة أنها تُشير بإصبع الاتهام لفريق من الإدارة الأمريكية، على أنَّها هي التي تسيِّر لإشعال حرب عالمية ثالثة. هنالك قوىً موجودةٌ داخلَ الولايات المتحدة وإنجلترا ـ ومن ضمنهم «بريجنسكي» ـ يريدُون إشعالَ حرب لعَرقَلة هذه التحوُّلات الجديدة الجارية في أسيا: الهنـد ـ وباكستان. هـذا ما صرَّح به «ليندون لاروش»: مُرشَّح الحزب الديمقراطيِّ للرئاسة فـي الانتخابـات القادمـة فـي الولايات المتحدة الأمريكية لعام 2004م، وكان «لاروش» يتوقَّعُ أن تَنشَبَ الحربُ في شهر آب (أغسطس) بدلاً من أيلول (سبتمبر)؛ لأن شهر (أغسطس) أفضلُ توقيـت لإشـعال مثـل هـذه الحروب، ولهذا يجب علينا أن نُوقف «شـارون» في إسرائيل؛ لأن الحربَ هي الهوايةُ الوحيدةُ لهذا الرجل، علينا أن نُوقفَه، ونُؤمِّنَ السّلامَ في الشرق الأوسط، وأن نُحييَ نظامَنا، ونتحوَّلَ إلى النهضة على طريقة «روزفلت». هذا هو التصريح الذي ألقاه «لاروش» قبلَ حادثة الهجـوم، الأمرُ الذي يُبيِّنُ مدى بُعدِ نظرِ هذا السياسيِّ الأمريكيِّ الكبير.

**وبعد أسبوع من وقوع الهجوم، صرَّح «لاروش» في مقابلةٍ إذاعيةٍ بما يلي:**

«إن عملية 11 أيلول (سبتمبر) هي عمليةُ مكياج، صُنعت في فترة تَسُودُ فيها أزمةٌ ماليةٌ ونَقديةٌ في العديد من الدول، لم تَقُم بهذه العملية قوةٌ من خارجَ الولايات المتحدة الأمريكية أبداً،

يُحتمَل أن هنالك أفراداً من بلدان أخرى قد تَمَّ استخدامُها فيها، ولكنَّ الذي قام بهذه العملية عبارةٌ عن قوى موجودة داخل الولاياتَ المتحدة الأمريكية، و الهدفُ منها القيامُ بانقلاب إداريٍّ فيها، وزَجُّ الولايات المتحدة في الحربَ، وهذه القوى مُستعدةٌ للقيام بعمليات أخرى لتحقيق أهدافها، وستقوم بإثارة الجماهيرَ لدفع الحكومة وجرِّها إلى الحرب، عليكم أن لاَ تصدقوا أبداً الأخبارَ التي تُذيعُها قنواتُ (cnn ـ fox ـ tv) والقنواتُ المشابهةُ لها... علينا أن لا نُفكِّرَ بالتدخُّل في أفغانستان، وعلينا إيقافُ إسرائيلَ عند حدِّها؛ لأنها تُشكِّلُ خَطَراً على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى غيرها من الدول، وأن نُؤسِّسَ السّلامَ في الشرق الأوسط؛ لأنَّ التوتر الموجودَ في هذه المنطقة هو جزءٌ من الحرب المُخطَّط لها في آسيا))[1].

ثم يقول:

((كيف استطاعت أربعُ طائرات الخروجَ عن المسار دون أن تقع حادثةُ اصطدام واحدة في سماء مُكتظَّة بالطائرات.. ؟ ولماذا لم يُرسل أيُّ طيَّار من قائدي الطائرات الأربعة أيّةَ إشارة إنذار عن حدوث عملية الاختطاف.. ؟ وأين تسجيلات الاتصالات.. ؟ لماذا لم تُنشر أو تُذاع.. ؟ لماذا لم تكن الصناديقُ السوداءُ تحتوي على أيّة حوارات.. ؟ هذه نماذج من إشارات الاستفهام المتعلِّقة بالنواحي التكنولوجية)).

وهنا يُطرح السؤال التالي: إذا كانت الطائرات لم تُختَطَف.. فكيف جرى الأمرُ إذن.. ؟ علماً بأنَّ أمريكا بدأت منذ عام 1984م بتَجاربَ للسيطرة عن بعد على الطائرات والتحكُّم بسَيرها، وأنَّها نجحت بتَجاربها هذه في العام 1993م بعد أن أجرت تَجرِبَتَها الأولى الناجحةَ على طَائرة (بوينغ) خالية من الرُّكاب ومن طاقم الطائرة، وقد أقلعت هذه الطَائرة باستخدام هذه التكنولوجيا، ثم هبطت بسَلام في إحدى القواعد.

وقد أنفقت أمريكا على هذا النظام الخطير المُسمَّى (jpls) مبلغَ: 3,2 مليار دولار، بتعاون مع وزارة الدفاع من مجموعات شركات رايتون، وهي عبارة عن عشرين شركةً متخصصةً في نُظُمَ الصواريخ والدفاعِ الجويِّ، ونُظُمِ السّيطرةِ على حركة المرور الجويَّة، والنُّظُمِ الإلكترونية عن بُعد

(1) انظر: تورا بورا / أولى حروب القرن المؤامرة الأمريكية الصهيونية الكبرى، يوسف الجهماني، ص 20، 21، 24، 26، 28.

بواسطة الأقمار الصناعية، ولذلك فإن مكتب التحقيقات الفيدراليِّ قام بعد الأحداث باستجواب رئيس مجموعة الشركات السابقة الذِّكْر؛ واسمُهُ: «دانيال بورنهام»، ورئيس المهندسين المشرف على نظام الـ (jpls)؛ واسمُهُ: «بروس سولومون»؛ الذي يَدلُّ اسمُهُ على أنَّه يهوديٌّ. وحسب هذا التقرير يصبح من العبث البحثُ عن خاطفين.. ؟ ويكون اتِّهامُ العرب والمسلمين بهذه العمليات ما هو إلاَّ شرطٌ من شروط هذه اللُّعبة الكبرى؛ الأمرُ الذي يُحدثُ توتُّرات شديدةً بين العالم الإسلاميِّ والولايات المتحدة، حتى أنَّها حَدَتْ بالبعض للقول: بأنَّها صراعُ الحَضارات التي تَنبَّأ بها «هينتغتون»: الأَستاذُ الباَحثُ في علْم الحكومة، ومديرُ معهد (جون أولينا) للدراسات الاستراتيجية في جامعة (هارفارد).

إن أصحاب هذا التحليل يقدمون بعض التساؤلات حول ما جرى بعد 11 أيلول (سبتمبر)، التي تؤكِّدُ- حسب ما يَدَّعون- صحةَ تَحليلهم السابق الذِّكر.. فلماذا لم تحتو لائحةُ أسماء الرُّكَّاب الأولى؛ التي أصدرتها الخطوطُ الجويةُ الأَمريكيةُ على أيِّ اسم لراكب عربيٍّ.. ؟ ثم جرى تغييرُ اللائحة فجأةً.. ؟ ومَن يقفُ وراءَ تغيير هذه اللائحة.. ؟. فقد تَبيَّنَ أنَّ اللائحة الثانيةَ كانت مُزيَّفةً؛ إذ وردت فيها أسماء لأشخاص تُوُفُّوا قبلَ ستَّين، وأشخاص أثْبَتوا لاحقاً على أنفسهم أنَّهم يعملون في بلدان أخرى. كيف يُمكنُ تصديقُ الخبر الذي بَثَّتهُ المحطَّاتُ الأمريكيةُ؛ بأنَّه تَمَّ العثُورُ بين الأنقاض في أحد أبراج مركز التجارة، على جُثَّة أحد قائدي الطائرة ويَداهُ مربوطتان، مع العلم أن الأعمدة الفُولاذيةَ للبناية قد ذابت.. ؟ ولماذا ألغى «شارون» رئيسُ الوزراء الإسرائيليُّ زيارتَهُ لمدينة نيويورك يومَ الهجوم.. ؟ وكيف استطاع بعضُ المصورين القيامَ بتصوير هجوم الطائرة الأولى على مركز التجارة تصويراً حَيّاً.. ؟

في أواسط تشرين الأول (أكتوبر) 2001م، منعت كلٌّ من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عَرضَ فيلم (sword fish)؛ وهو من بطولة «ترافولتا».. ؛ لأنَّه ربما كان السببَ في ذلك: أنَّ حواراً ساخناً يدور في الفيلم بين سيناتور في الكونغرس الأمريكيِّ، وعميل سرِّيٍّ يُكلِّفُهُ هذا السناتور بإنجاز بعض المَهامِّ السريَّة الممنوعة من النواحي القانونية، يقول السنَّاتور في هذا الحوار: ((أجل، سنقوم بإسقاط طائراتنا.. وسنَقوم بضرب مبانينا.. وسنَعرضُ الوجهَ القبيحَ لأمريكا أمام الأنظار.. وبهذا نحصل على تأييد الرأي العامِّ العالميِّ لشَنِّ حرب على الدول الإرهابية)).. أليس هذا ما حدث بالفعل.. ؟

## «جورج بوش» قبل وبعد 11 أيلول (سبتمبر):

إن بعض القادة يُولَدون عظماءَ، والبعضُ الآخرُ تَهبطُ عليهمُ العَظمَةُ مُصادفةً. قياساً على هذه المقولة: أين نضع «جورج ووكر بوش»: الذي تَولّى رئاسةَ الولايات المتحدة الأمريكية في: كانون الثاني (يناير) من عام 2001م. فمنذ عام مضى كان هناك عددٌ كبيرٌ وربما أغلبيةٌ من الأمريكيين الذين يؤمنون ليس فقط بأنّه من المُستبعَد أن يصبح «جورج ووكر بوش» زعيماً عظيماً، بل ويَرَون أنه ما كان يتعيَّنُ أن يكون في ذلك المَنصب من الأساس. لقد شابت الانتخابات التي خاضها نزاعاتٌ حول مَنصب الرئاسة، بعد أن حَكمَتْ المحكمةُ العليا بالولايات المتحدة بوقف الجلسة الثالثة من الفرز في وَلاية فلوريدا.

وفي نهاية الأمر تَقبَّلَ قادةُ الحزب الديمقراطيِّ - بمن في ذلك المُرشَّحُ المهزومُ «آل غور» - النتيجةَ، غيرَ أنهم أصرُّوا على رفضهم الاعترافَ بأن «بوش» قد تَمّ انتخابُهُ، وفي المقابل راحوا يُردِّدون عبارات، مثل: (كسب الرئاسة، أو: سَلَّمته المحكمةُ العُليا الرئاسةَ..)؛ لأنّه لم يكن من المُستغرَب أن يحصل «بوش» على أقلِّ النِّسب في استطلاعات الرأي العامّ، مُقارنةً بأيِّ رئيس أمريكيٍّ في بداية فترة ولايته البالغة أربعةَ أعوام، بل وساد الاعتقادُ لدى البعض بأنَّ الرئيس قد أصبح مِثلَ البطّة العَرْجاء في الأسابيع القليلة الأولى له في البيت الأبيض.

والحقيقة: أن هناك العديدُ من المظاهر التي تُوحي بأن «بوش» لم يُخلق للعمل العام، فما بَالُنا برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية؛ فهو رجلٌ هادئٌ، لطيفُ الصُّحبة، لديه شهيَّةٌ محدودةٌ، وقَدْرٌ أقلُّ من المَوهَبة لممارسة فنونَ الخَطابة: التي يُتقنُها خَصمُهُ «آل غور»، وإتقان ألعاب السِّرك: التي تَطغى عَلَى السياسة الأمريكية. فعندما وقعت مأساةُ 11 أيلول (سبتمبر)، حين تَمَّ اختطافُ ثلاث طائرات، واقتُحمَ بها بُرْجَي مركز التجارة العالميِّ في نيويورك، والبنتاغون في واشنطن، بدا التأثيرُ المُبدئيُّ لهذه الأحداث الدّرامية سلبياً على صورة «بوش»: الذي ظهر بعد الساعات الأولى مَهزوزاً ومُرْتبكاً، بل ومرعوباً، وبدا وكأنه اختفى قليلاً؛ حتى بدأ مساعدوه يتساءلون فيما بينهم: إذا كان هو الرجلُ المناسبُ لقيادة الولايات المتحدة في التعامل مع أحلك اللَّحَظات التي مَرّت بها أمريكا منذ مأساة (بيرل هارير) عام 1941م في اليابان.. وفي أيام قليلة ظهر من جديد كقائد قوميٍّ وحاسمٍ، وبَدتْ الصورةُ أكثرَ وضوحاً وزُهُوّاً بالنفس، عندما نَظَّمَ الردَّ

الأمريكيَّ، وخلال بضعة أسابيعَ كان قد حقَّق فعلياً أهدافَ حربه كافّةً؛ حيث تَمّ تدميرُ نظام طالبان، وتشتيتُ تنظيم القاعدة في معظم أفغانستان، وأعاد لنفسه أبعادَ صورة الابن المُدلَّل، نَجْل الأب الأرستقراطيِّ، وأنه الابنُ الوفيُّ للشعب الأمريكي؛ لأنه استطاع ـ حَسَبَ ادِّعائه ـ أن يُنفِّذَ المَهمَّةَ الموكولةَ إليه في تدمير القاعدة وطالبان واحتلال أفغانستان.

## مَخاطرُ وتَحدِّياتُ ما بعد 11 أيلول (سبتمبر):

أدَّت أحداثُ أيلول إلى عدد من النتائج العسكرية بالغة الأهمية، وشديدة التهديد للبُلدان النامية عُموماً، والدول العربية والإسلامية خصوصاً، ومن أهمِّها:

1 ـ نشر العولمة الأمريكية العسكرية، إضافةً إلى العولمة المدنية؛ لبسط سيطرتها المُطلَقة على العالم.

2 ـ تأكيد الهيمنة الأمريكية على القوى الغربية لحلف الأطلسي، وتجديدُ إخضاع أوربا الغربية للقرار الاستراتيجيِّ الأمريكيِّ، منذ الاجتياح العراقيِّ للكويت عام 1991م، وقيادةُ أمريكا للتّحالُف الذي تجاوزَ عددُهُ: الثلاثين دولةً، وتدميرُ البُنْية التحتية والعسكرية للعراق: الذي لا زال يُعاني من هذه الحرب حتى اليوم.

3 ـ التّلويحُ بالضرب النوويِّ ضدَّ أي دولة ترى فيها تهديداً لمصالحها منذ الحرب العالمية الثانية، وأزمات الحرب الباردة، وكأنه يقولُ: سوف أُدمِّرُ كلَّ مَن يقف في وجه أمريكا..

4 ـ انفرادُ الولايات المتحدة باتخاذ القرارات ذات الصفة العالمية، وإن كانت تُظهرُ بعضَ الدِّيمقراطيّة الشَّكلية لهذه القراراتَ؛ عن طريق استشارة الدُّولَ الصديقة، وعلى رأسها بريطانيا الصغرى..!!

5 ـ دخولُ البوَّابة الخلفية الشَّرقية لروسيا من جهة، والوصولُ إلى البوَّابة الغربية للصين من جهة أخرى، وبسطُ سَيطرتها على جَنوب شرقي آسيا؛ من خلال تَمركُزها في أفغانستان، وتَعاوُنها مع باكستان.

6 ـ استغلالُ أمريكا لحملتها العسكرية على أفغانستان لاختبار العديد من أسلحتها الفتَّاكة الجديدة، على غرار ما فعلت في حرب 1991م ضدَّ العراق، وإذا كان اختبارُ الأسلحة الجديدةَ نتيجةً مباشرةً للتدخُّل في أفغانستان، فإنَّ أحداث 11 أيلول (سبتمبر) قد أدَّت إلى نتيجة عسكريةَ أبعدَ أثراً، ألا وهي: تفعيلُ الصناعة العسكرية، وتعزيزُ نُفوذ المُجمَّع الصِّناعيِّ العسكريِّ، ومضاعفةُ عُقود السلاح لصالح الاقتصاد الأمريكيِّ، وتطويرَ التكنلوجيا لزيادة الصَّادرات العسكرية، وبيعَ السلاح؛ الذي سينال المنطقةَ العربيةَ منه الكثيرَ، وبخاصة منطقةُ الخليج.

ويجب أن لا ننسى أنَّ هناك علاقةً وثيقةً بين الاستراتيجية العالمية لاستغلال الولايات المتحدة أحداثَ 11 أيلول (سبتمبر) الداميةَ، وتَجلياتها الإقليميةَ في أفغانستان، وجمهوريات آسيا الوسطى، وجورجيا، وجنوب آسيا؛ وخصوصاً الباكستان، وآسيا العربية؛ ولا سيما تجاهَ إيران والعراق والمشرق العربي. مؤكدين بين ردِّ الفعل الأمريكي على أحداث 11 أيلول (سبتمبر) وتدهور الوضع الأمنيِّ في فلسطين، وما يَخصُّ الانتفاضةَ الفلسطينيةَ، والنِّزاعَ العربيَّ الإسرائيليَّ، وتَطرُّفها لصالح عدوان إسرائيلَ واحتلالها واستيطانها وإرهابها، وتبرير أعمال شارون الإجرامية، والانتهاكات التي لم يَسبقْ لها مثيلٌ في القانون والنظام الدوليِّ التي تُرتكَبُ بحقِّ الشعب العربيِّ الفلسطينيِّ، واجتياحِ الضفة الغربية، ثم غزةَ، وجميعِ المدن والقرى دون استثناء.

7 ـ أما على الصعيد الثقافي: فقد انطلقت الإدارةُ الأمريكيةُ من أحداث 11 أيلول (سبتمبر) الدامية، لتطرحَ مشروعاً يَهدفُ بصراحة إلى التدخُّل الفَظِّ في النظام التعليميِّ؛ بهدف تغيير القيَم التربويةَ والمُجتَمَعيَّة بما تَعتبرُهُ ضرورياً لتَغريبها تغريباً ليبرالياً يَخدمُ مَصالحَها، في الوقت الذي يَفقدُ فيه النظامُ التربويُّ والثقافيُّ حقَّ التَّمايز والاختلاف والمساهمة الإيجابية في الحوار بين الثقافات والحضارات، وإذا كان هنالك ـ نظرياً ـ بعضُ التطرُّف لدى بعض الأفراد والمفكِّرين، فإنه حالةٌ استثنائيةٌ، شأنُهُ في ذلك شأنَ التطرُّف في المواقف الاجتماعية، والآراء السياسية، والنَّزعات الفكرية. فالاستثناء لا يَنفي القاعدةَ بل يُؤكِّدُها، ومثلُهُ التطرُّفُ: لا يَنفي التوسُّطَ والاعتدالَ في الفكر والممارسة لدى المسلمين بل يُؤكِّدُها؛ لأنَّ الفكر الدينيَّ في بلادنا شأنُهُ شأن التراث الدينيِّ بالغنى والتمايز والتباين فيما يخصُّ المعاملات، وشؤون الدنيا لدى المسلمين، وتجاهَ بعضهم بعضاً، وتجاهَ الآخرين. وبهذا يجري اختزالُ الإسلام ـ زُوْراً وتزييفاً ـ إلى إسلام الجُمود الفكريِّ، والتطرُّف المذهبيِّ والسياسيِّ، ومجافاة للعلم، وتجاهلِ للتطوُّر.

إن فكرنا الديني غنيٌّ بالعلوم، وغنيٌّ بالحوار الحيِّ، وغنيٌّ بالمُحاجَجة الفكرية، وغنيٌّ بالتنوُّع والتسامح، وغنيٌّ بالإقرار بالاختلاف في وجهات النظر من منطلق ديمقراطي أصيل، تُجسِّدُه الآيةُ القرآنية العظيمةُ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وآيةٌ أخرى تطلب من مُتلقِّي التَّنزيل - أيْ: الرسول محمد عليه الصلاة والسلام - تقول: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. فهذا هو الدين الإسلاميُّ الأصيلُ، دينُ الحق، والعدل، والحرية، والمساواة، والديمقراطية في حقِّ الحوار المبنيِّ على العلم والفهم.

## ستون مفكراً ومثقفاً أمريكياً يوجهون رسالة إلى العالم بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) مع الاختصار:

«إن القتل باسم الله مُخالفٌ للإيمان بالله.. وإن ذكر الله لقتل بشر أبرياءَ أمرٌ لا أخلاقيٌّ، ومُخالف للإيمان؛ لا يجوز إدخالُ الله في خدمة أغراض سياسية مباشرة..

إن الولايات المتحدةَ الأمريكيةَ ارتكبت أخطاءً، وبعضُ القيَم الأمريكية ليست مثالاً يُحتَذَى، كالنَّزعة الاستهلاكية، والحرية الشخصية غير المحدودة، وتَحلُّل العائلة، وإنه من حق شعوب وحضارات أخرى أن تَرفُضَها، وأن تتمسَّكَ بقيَمها وتقاليدها، ولكنَّ هذا لا يُشكِّل سبباً لقتل أبرياء، لكنَّ هذه القيَمَ ذاتَ المأخذ علينا ليست هيَ القيمُ الوحيدةُ في الولايات المتحدة، بل هناك قيَمٌ أخرى إلى جانبها، كالحرية، والديمقراطية، والمساواة، والعدالة، وهذه ليستَ قيَماً أمريكيةً، بل هي عالميةٌ، بل هي تراثٌ عالميٌّ قديمٌ، شاركت به البشريةُ جمعاءَ، ومنه الحضارةُ الإسلامية، في بلورته وتطوُّره نحو ما وصل إليه اليوم..

لقد عرف الغربُ حروباً مُقدَّسةً وباسم الدين، إنَّ الدين والمؤسسات الدينيةَ حملت خيراً كثيراً للبشرية، وقادت أحياناً إلى حروب..

إن العلمانية التي تُطبَّقُ في الولايات المتحدة، أو فصلَ الدين عن الدولة، لم تُؤَدِّ إلى الكُفر والإلحاد، بل إنَّ حرية العبادة مضمونةٌ، والدولةُ لا تتدخل في أمور الدين ورجال الدين، ولا تُحارِبُ أيَّ دين..

إنَّ إشكالية الحقيقة الدينية، والحريةَ الدينيةَ لم تُحَلَّ بعدُ، ولكنَّ التسامح واحترامَ حقِّ الآخرين في مُعتَقَدهم هو الحلُّ الوحيد اليوم، وعلينا أن نُعمِّقَ مَعرفَتَنا بالدين الذي نَتَّبِعُهُ، وبالأديان الأخرى. وأنْ نَعترفَ بأن الحريةَ الدينيةَ هي حقٌّ أساسيٌّ لكل الشعوب..

إنَّ الحرب هي نتيجةُ فَشل السِّياسة في حلِّ الخلافات والمشاكل بين الدُّول والبشر.. إنَّ الفرق بين الخير والشرِّ ليس فرقاً بين الأديان؛ لأن كلَّ الأديان، لا سيما السَّماويّةُ منها، تدعو إلى المودَّة والسلام..

إنَّ الحرب مسموحٌ بها إذا كانت ـ أخلاقياً ـ ضرورية، وتصبحُ ضروريةً إذا جاءت للرد على العدوان والعُنف والحقْد والظُّلم، وللدفاع عن أبرياء.. ولن تكون الحربُ عادلةً إذا كانت الأخطارُ ضئيلةً وغيرَ مُحدقَة وقابلةً للحلِّ بالحوار.. ولكي تكونَ الحربُ عادلةً يجب أن تُعلَنَ وتُقادَ من قِبَل سلطة شرعيةً، وضدَّ جنود، لا ضدَّ أبرياءَ عُزَّل ومدنيين، ولا من قِبَل أفراد؛ لأنَّ العنف الفرديَّ والمَجانيَّ غيرُ مقبول أخلاقياً ـ يلاحظ هنا لغةُ غمز ومُواربَة عندما يَقولون: وضدَّ جنود، لا ضدَّ أبرياء عُزَّل ومدنيين، وكأن المقصود هنا اتِّهامُ الانتفاضة الفلسطينية بتعبيراتها السياسية والعسكرية والإرهاب، ولم يَغمزُوا إلى الآلة العسكرية الإسرائيلية التي تُدَمِّرُ المُدُنَ والبيوتَ، وتقتلُ الأُسَرَ والعائلاتِ بدون تمييز، وتجتاحُ المدن والمخيمات، وتُدمِّرُ البُنى التحتيةَ للفلسطينيين..، ويستكثرون على الانتفاضة الحجرَ والبندقيةَ الصغيرةَ. فكيف يستطيع أن يُجابهَ الفلسطينيُّ الطائراتِ والدباباتِ إلاَّ بجسمه أو ببندقيته أو بحجره.

أيها المسلمون: نحن لسنا أعداءكم، بل أمامنا طريقٌ مُشتركٌ، وكما أن لكم الحقَّ بحياة جميلة، لنا نحن أيضاً الحقُّ بحياة جميلة. إننا نعرف أنَّ قسْماً منكم لا يَثقُ بنا، ونحن مسؤولون عن ذلك، ولكن يجب أن لا نكونَ أعداءً، بل أن نعمل معاً لبناءِ عالَمٍ جديدٍ، وسلامٍ عادلٍ وشاملٍ)).

**من الموقعين على البيان:**

((صموئيل هينتغتون ـ فرانسيس فوكوياما ـ دانييل باتريك ـ مونمهان ـ جين بتكي ألشتين ـ مايكل وايلز)).

وفي حوار مع «نعوم تشومسكي»، أجراه معه «دايفيد برسميان»، عن أفغانستان وعن إسرائيلَ والانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الحجر)؛ حيثُ نظَّمت أمريكا جيشاً ضخماً من المُرْتَزِقَة يُقدَّرُ بحوالَي 50 ألفاً بدَعمٍ مالي وعسكريٍّ من أمريكا والسعودية ومصرَ من أكثر الفئات التي وجدوها قتالية، وحدث أنْ كان هؤلاء من الإسلاميين الراديكاليين الَّذين سَمَّيناهُم: الأصوليِّين الإسلاميينَ، وجاؤوا بهم من كلِّ أنحاء العالم، ومعظمُهُم من خارج أفغانستان، وسَمَّوهم: الأفغانَ، شأنهم شأن «ابن لادن»: ليسوا من الأفغان. وبعد الانتصار على الاتحاد السوفييتي، طلبوا من الأمريكان الخروجَ من السعودية؛ لأن وجود قواعدَ لها مُشابهٌ للتواجد الروسيِّ في أفغانستان، وأدارت تلك الشبكاتُ بنادقَها باتجاه الأمريكان، كما سبقَ أن فعلت عام 1983م في لبنان.

فهذه الفئة إذن هي ثَمرةٌ للحروب الأمريكية في الثمانينات: التي كانت فَخّاً أفغانياً للروس.

وأصبحت أمريكا هي قاعدةَ الإسناد للاحتلال العسكري الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية التي كان أهلها يقاتلون الجيش الإسرائيليَّ بالحجارة فقط، وهذا ـ حقاً وإنصافاً ـ يُعتبر مقاومةً مشروعةً بحسب كل المعايير الدولية.

وفي 3 تشرين الأول (أكتوبر) 2000م، أبرم «كلينتون» أكبرَ صفقة خلال ذلك العقد، حين أرسل مروحيات عسكريةً هجومية جديدةً إلى إسرائيل، وتَواصلَ إرسالُ هذه المروحيات خلال الشهور اللاحقة؛ لاصطياد أطفال الحجارة من الجوِّ لمَن يُفلتُ من دبَّابات البرِّ.

وهنا يعود «دايفيد برسميان» ليقول لـ «نعوم تشومسكي»: ((إنَّ تعليقك بأن الولايات المتحدةَ دولةٌ إرهابيةٌ طليعيةٌ قد يَصعقُ عدداً كبيراً من الأمريكيين، أتستطيع أن تُفصل ذلك . . ؟)). فيُجيبُهُ «نعوم تشومسكي»:

((لقد سبق أن ذكرتُ مثالاً واحداً؛ فالولايات المتحدةُ هي البلدُ الوحيدُ الذي أُدينَ بالإرهاب الدولي، وما زالت الولاياتُ المتحدةُ تُواصل الإرهابَ الدوليَّ، وهذا أهونُ ما

تفعلُهُ. الجميعُ هنا كان ساخطاً - وبحَقٍّ - على التفجير في مدينة أُوكلاهُومَا؛ ولعدَّة أيام كانت عناوينُ الصُّحُف تقول ما معناه: «مدينة أوكلاهوما تُشبهُ بيروت؛ بسبب ما فعلَهُ العربُ بها». والسبب في ذلك جُزئياً هو: أن إدارة «ريغان» قامت بتفجير إرهابيٍّ هناك عام 1985م يُشبهُ كثيراً ما حصل في مدينة أوكلاهوما، وكان عبارةً عن: تفجير شاحنة خارجَ أحد المساجد، مُفخَّخَة ومُوقَّتة؛ بحيث تَقتُلُ أكبرَ عدد من المصلين عند خروجهم، فقتلت ثمانين شخصاً، وجرحت مائتين آخرين، وكانت الشاحنةُ المُفخَّخةُ تَستهدفُ رَجُلَ دين مسلم هو: العلامة «محمد حسين فضل الله»؛ لأن الولاياتِ المتحدةَ لم تكن تُحبُّهُ، ولكنَّها أخطأته، ولم تكن هذه الحادثة بالأمر السرِّي جداً.

أنا لا أعلم ما تُسمِّي الهجومَ الذي قتل ربما مليون مدني في العراق، وربما نصف مليون طفل عراقي، وهذا هو الثمن الذي قالت وزيرة الخارجية السابقة: إننا على استعداد لدفعه، أثَمَّةَ اسمٌ لهذا العمل..؟ أثَمَّةَ اسمٌ لدعم الفظائع الإسرائيلية..؟

مثال ثالث: دعم أمريكا لتركيا في سحق سكانها الأكراد أنفسهم، وهو عملٌ قدَّمت له إدارة «كلينتون» الدَّعمَ الحاسمَ، أي: 80٪ من الأسلحة. وقد تصاعَد مع تصاعد الفضائح التُّركية - بينما تُقيمُ لأكراد العراق ملاذاً آمناً، ومناطقَ تقيم عليها استقلالاً شبهَ تامٍّ عن العراق الأُمِّ، وهم أكرادٌ أيضاً..؟ كيف يكون هذا..؟-

مثال رابع: قصف السودان، ثَمَّةَ هامش صغيرٌ وضئيلٌ هنا، إلى درجة أن أحداً لم يذكره، وأنه مُجرَّدُ ذكر: فما تراه يشعر الأمريكانُ لو تَمَّ نسفُ نصف الأدوية في الولايات المتحدة، مع أن هذه ليست مقارنةً عادلةً؛ لأن السودان بلدٌ فقيرٌ لا يستطيع أن يَسُدَّ النقصَ في تلك الأدوية..؟ لا أحد يدري كم عشرات من الآلاف كانوا قد ماتوا بسبب ذلك. لو فعل قومٌ مثلَ ذلك بالولايات المتحدة، لكُنَّا على الأرجح أننا دَعَوْنا إلى قصفهم بالسلاح النووي..؟ لكننا في حالة السودان قلنا: «آه حسناً، هذا أمرٌ مؤسف جداً، فلننتقل إلى موضوع آخر»).

## محاضرة بالإنجليزية للكاتب الباكستاني العظيم «إقبال أحمد» بتاريخ 12 تشرين أول (أكتوبر) 1998م

في عام 1985م، استقبل الرئيسُ «رونالد ريغان» مجموعةً من الرجال المُلَتحين، ـ وكنتُ في تلك الأيام قد كتبتُ عن هؤلاء الرجال في جريدة نيويورك تايمز ـ كانوا رجالاً مُلَتحين، ذَوي هَيْئات ضارية، يَعتَمرونَ عمامات؛ فيَبْدون كأنَّهم جاؤوا من قرن آخرَ. استقبلهم الرئيس «ريغان» في البَيت الأبيض، ثم تحدَّث إلى الصحافة وأشار إليهم، وقال: ((هؤلاء هم المُعادلُونَ الأخلاقيُّون لآباء أمريكا المؤسِّسين عام 1787م. هؤلاء هم المجاهدون الأفغان: الذين حاربوا إمبراطوريةَ الشرِّ، أي: الإتحاد السوفييتي. لقد كانوا المُعادلينَ الأخلاقيِّين لآبائنا المؤسِّسين للولايات المتحدة الأمريكية)).

وفي آب (أغسطس) 1998م، أمر رئيس أمريكيٌّ آخر بقصف صاروخيٍّ من البحرية الأمريكية المتمركزة في المحيط الهندي، بهدف قتل «أسامة بن لادن» ورجاله في معسكرات أفغانستان. ولا أحبُّ أن أُحرجَكُم بأنْ أُذكِّركُم بأنَّ السيدَ «ابنَ لادن»، الذي أُطلَق عليه خمسةَ عشرَ صاروخاً أمريكياً أُرسلَتْ إلى أفغانستان، كان قبل أعوام قليلة فقط من هذه الحادثة المُعادلَ الأخلاقيَّ لـ«جورج واشنطن» و«توماس جيفرسون»، ولكنه غَضِبَ لأنَّه أُسقطَ من مرتبة المُعادَل الأخلاقيِّ لآبائكم المؤسِّسين فراح يُفرِغُ غضبَهُ بطُرُقٍ مختلفة.

هذا وتُخبرُنا تَجاربُ العُنف الذي يُمارسه الفريق القويُّ: أنَّها حوَّلت الضحايا إلى إرهابيين. فهل هذا هو ما فعلته الولايات المتحدة بإرهابها العنيف الذي حوَّل ضحاياها إلى إرهابيين مثلها . . ؟[1].

---

(1) انظر: تورا بورا / أولى حروب القرن ـ المؤامرة الأمريكية الصهيونية الكبرى، يوسف جهماني: ص254 و261 و262.

تقع أفغانستان في جنوب آسيا، يَحدُّها من الشرق والجنوب الشرقيِّ: باكستان ومن الغرب والجنوب الغربيِّ: إيران، ومن الشمال الشرقيِّ: الصين، ومن الشمال: طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان.

تبلغ مساحتها: 650 ألف كم$^2$.

وعدد سكانها: 24 مليون نسمة.. يُؤلِّفُ (الباشتون) أغلبيةَ السُّكّان؛ بنسبة تزيدُ عن: 55٪ من السكان، ثم (الطاجيك) بنسبة: 20٪، ثم (الأوزبك، والتركمان والقيرغيز، والإيماق) بنسبة: 10٪؛ وكلُّهم من أصل تركيٍّ، ثم (الهازارا) بنسبة: 8٪؛ ينتهي نَسبُهُم إلى المَغُول، وغالبيَّتهم من الشيعة الجعفرية، ثَمَّ أقلِّيَّاتٌ: من 5 ـ 7٪ من (البلوش) ـ حوالي: مليون نسمة ـ و(البراهانيون): أعدادهم قليلَة، ثم (النوريستانيون)، طوالُ القامة، ولونُ بشرتهم: بيضاءُ أو شقراءُ. ويقال: إنَّهم من بقايا جيش «الإسكندر المكدونيِ» الذي وصل إلى هناك.

يُضاف إلى هذه الأقليات القليلة جداً أيضاً، بعضٌ من السِّيخ هنود، والأرْمن، واليهود: يعملون بالتجارة في المدن بأعداد محدودة جداً.

الأغلبية الساحقة من السكان سُنَّة، بنسبة أكثرَ من: 91٪، أما الشِّيعةُ من الهازارا: فلا يتجاوز عددهم نسبةَ 8٪.

استخدمت الولايات المتحدةُ الأمريكيةُ ـ المعتديةُ بقيادة التَّحالُف ـ أُسلوبَ السيطرة الاستراتيجية: التي دَرَسَتها أمريكا بدقَّة خلال حرب الخليج ضدَّ العراق، والبوسنة وكوسوفو.. لقد وَجَّهت أمريكا ضَرَباتها العَسكريةَ إلى قُدُرات الأفغان العسكرية من مطارات، ودبابات، وتَجمُّعات المُعدَّات، ومَخازن الذخيرة ـ بعد تدمير قوات الدفاع الجوية ـ، وقد استخدمت القذفَ الجويَّ بطائرات 52B العملاقة، والصواريخِ بعيدةِ المدى: التي كانت تُطلقُ بدقةٍ كبيرةٍ من البوارج الحربية ومن الطائرات.

وبعد التدمير الهائل لآليات الجيش الأفغاني ـ طالبان، والقاعدة ـ أصبح الهدف هو احتلالَ الأرض على يد قُوَّات تَحالُف الشمال، ومن ثَمَّ بواسطة المليشيات البشتونية المُجنَّدة محلياً، ثم عودة إلى عمليات القَصف المَكثف مما سمح بفرش القنابل للقوات البرية المدعومة من الولايات المتحدة أو المجندة من طرفها بالتقدم على الأرض بمساعدة وحدات أمريكية خاصة، من دون اضطرارها إلى خوض مواجهات برية عسكرية كبيرة، انتهت بدخول قوات التحالف مزار الشريف، بعد قصف طويل وعنيف، وارتكاب مَجازرَ يَنْدى لها جبينُ الولايات المتحدة وقُوَّات التحالُف، والشرف الإنسانيِّ.

ثم دخلت القوَّات (كابول) العاصمةَ بدون قتال، بعد انسحاب طالبان والقاعدة منها إلى الجنوب؛ حيث المَعقلُ الرئيسيُّ لطالبان، وقد اعتمدت أمريكا تدمير قندهار تدميراً كاملاً، ووقعت فيها مَجازرُ كبيرةٌ، ولكن لم يُعلَن قطُّ عن عدد الضحايا الذين سقطوا خلال القصف الأعمى للمدينة، ثم المجازر البريةُ خارجَ المدينة وداخلَها، وخاصةً منطقةَ المطار.

واختصاراً ليوميات القصف التي بدأت بتاريخ 20/ 9/ 2001م، عندما وَقَّع «بوش» قرارَ الحرب، والأساطيلُ والطائراتُ الأمريكيةُ تَتَّجهُ إلى الشرق والخليج، وتشكيل قوات خاصة لقتل أو اختطاف «ابن لادن»، حَشَدَ 30 ألف جندي أمريكيٍّ وحاملتي طائرات، ومجموعات برمائيةً، و350 طائرةً، بسيطرة جويةٍ مُطلَقةٍ مُدعَّمةٍ بالصواريخ والبوارج الحربية:

الهجوم يوم 8/ 10/ 2001م: بغارات أمريكيةٍ وبريطانيةٍ مُدمِّرةٍ على قواعد «ابن لادن» وطالبان في كلِّ أنحاء أفغانستان.

29/ 10/ 2001م: الطائرات الأمريكية تَدُكُّ مواقعَ طالبان، وواشنطن تُؤكِّد استخدامَ كلِّ الأسلحة، بما فيها القنابل العنقودية.

30/ 10/ 2001م: الطائرات الأمريكية تَقصفُ أنفاقَ ومَخابئَ «ابن لادن» بالقرب من الحدود الباكستانية.

1/ 11/ 2001م: حشد ألف مقاتل لمهاجمة (كابول)، وطالبان تُعلن مقتلَ: 1500 أفغاني، وغاراتٌ مكثفةٌ على قندهار.

2/ 11/ 2001م: الطائرات B 52 تَدُكُّ مواقعَ طالبان عشوائياً بالقنابل الثقيلة، و(قندهار) بظلام دامس، وإسقاط طائرة أمريكية.

3/ 11/ 2001م: واشنطن تَعترفُ بنجاح طالبان في إحباط مُحاولات لإنزال قوّات برية أمريكية، وتهديدٌ بنسف الجسور الأمريكية.

4/ 11/ 2001م: طالبان تُعلنُ مصرعَ: 50 جُندياً أمريكياً في تحطيم طائرتي هليكوبتر، و«المُلاَّ عمر» يَتعهَّدُ بمواصلة الجهاد.

5/ 11/ 2001م: الطائرات الأمريكيةُ تَشنُّ مَوجاتٍ متلاحقةً ضدَّ معاقل طالبان، وتُسقِطُ مئةَ قذيفة على مواقعها.

6/ 11/ 2001م: قصفٌ أمريكيٌّ كبيرٌ لـ(كابول) و(قندهار) و(هرّاة). طالبان تقول: ((اعتقلنا أمريكيين ونستطيع القتالَ لعشرين سنةً)).

7/ 11/ 2001م: الطيران الأمريكيُّ يَقصِفُ مواقعَ طالبان المتقدمةَ بقنابل زِنَة سبعة أطنان.

8/ 11/ 2001م: استخدام أقوى قنبلةٍ أمريكيةٍ غيرِ نوويةٍ ضد طالبان، والمعارضةُ تزحف باتجاه مدينة (مزار الشريف).

9/ 11/ 2001م: 27 غارةً على (هرّاة)، ومثلُها على (كابول). الضَّرَباتُ تَستهدِفُ توفيرَ غطاء جويٍّ لتقدُّم المعارضة نحو (مزار الشريف).

10/ 11/ 2001م: قصف كثيفٌ على شمالي (كابول)، والمعارضةُ تستولي على (مزار الشريف) بعد معارك طاحنةٍ مع طالبان.

11/ 11/ 2001م: القاذفات الأمريكيةُ تَدكُّ خنادقَ طالبان الأماميةَ، وقاذفاتُ B 52 تُسقِطُ قنابلَ عنقوديةً.

12/ 11/ 2001م: تَحالُفُ الشمال يكتسحُ سبعةَ أقاليمَ في الشمال، وانهيار مقاومة طالبان، وأمريكا تعترف بمصرع: 128 مدنياً بالقصف الخطأ.

13/ 11/ 2001م: مصرع 255 شخصاً بتحطم طائرة (إيرباص)، فوق نيويورك، والمعارضةُ تَستهدفُ (قندهار) بعد استيلائها على (قندوز) و(هرّاة).

14/ 11/ 2001م: قوات التحالف تدخل (كابول) بدون قتال، وقوات أمريكية تنتشر قرب (كابول)، وطالبان تُؤكِّدُ سلامةَ «ابنِ لادن».

15/ 11/ 2001م: فوضى في (قندهار)، والقتال في (طخار)، ومشروع فرنسي بريطاني في مجلس الأمن لتشكيل إدارةٍ تُمثِّلُ الأعراقَ الأفغانيةَ.

16/ 11/ 2001م: الفوضى تَسُودُ أفغانستان، والمعارضةُ تُسيطر على: 60٪ من البلاد، وتُعلنُ قتلَ وأسْرَ آلافٍ من العرب والباكستانيين.

17/ 11/ 2001م: اعتقال ثَماني زعماء من القاعدة والطالبان، ومحاصرة 30 ألف مُسلَّح من طالبان والقاعدة في (قندوز).

الأحد 18/ 11/ 2001م: طالبان تنفي انسحابَها من (قندهار)، وتُقرِّرُ القتالَ حتى الموت، والمعارضةُ تتقدم باتجاه (قندهار).

«رباني» يعود إلى (كابول)، ويَتعهَّدُ بعدم استئثار تَحالُفِ الشمال بالسلطة ـ وهل يستطيع ذلك أصلاً . . ؟ ـ

الاثنين 19 / 11/ 2001م: استمرار القصف المُكثَّف لـ (قندهار)، والبحثُ عن «ابن لادن» بمنطقة مساحتها: 78 كم2 شرقي أفغانستان.

30 ألف مقاتل شمالي يُحاصِرون (قندوز)، والطائرات الأمريكية تَدُكُّ بشراسةٍ مواقعَ طالبان حولها.

طالبان تعترف بمقتل «محمد عاطف» في قصف أمريكيٍّ شَرِسٍ لمدينة (كابول) قبل الانسحاب منها.

الثلاثاء 20/ 11/ 2001م: غارات عنيفة ضد مواقع طالبان والعرب، و«كوندوليزارايس» تستبعد مشاركة طالبان في حكومة موسعة.

الأربعاء 21/ 11/ 2001م: «بوش»: ((القواتُ الأمريكيةُ لن تُغادرَ أفغانستان حتى تُقدَّمَ زُعماءَ القاعدة للعدالة)).

منشورات ورسائلُ إذاعيةٌ أمريكيةٌ بتقديم جوائزَ ماليةٍ للحصول على معلومات عن مَخابئ زُعماء القاعدة من العرب.

الخميس 22/ 11/ 2001م: نُوَّابٌ أمريكيون يقترحون استخدامَ سلاحٍ نوويٍّ خفيفٍ في أفغانستان.. وهل يَستحقُّ الأمرُ بعد تدميرها كُلِّيّاً..؟

الجمعة 23/ 11/ 2001م: قواتُ التَّحالف الشماليِّ تَشنُّ هجوماً على (خان آباد)، وتَستعدُّ لدخول (قندوز).

«رامسفيلد» يُؤكِّدُ مطاردةَ تنظيم القاعدة في 59 دولة.

الأسطول الأمريكيُّ يَسدُّ على «ابن لادن» منافذَ الهروب من البحر جنوب باكستان.

السبت 24/ 11/ 2001م: 75 مقاتلةً أمريكيةً تَدُكُّ مواقعَ طالبان، ومَصرعُ وإصابةُ العَشَرات في قصف مدينة (قندوز).

«رامسفيلد»: ((ليس أمام قوات القاعدة وطالبان سوى القتل والأسر)).

الأحد 25/ 11/ 2001م: فرارٌ جماعيٌّ لقوات طالبان من (قندوز).

استسلام 1700 طالباني، و600 من المقاتلين الأجانب.

تحالف الشمال : ((الرئيس الأفغانيُّ الشرعيُّ يَحْظى بدعم روسيا وإيران للبقاء في الرئاسة)) .

البحرية الأمريكية تبحث عن «ابن لادن» في البحار .

الاثنين 26/ 11/ 2001م : سقوط مدينة (قندوز) : آخرِ معاقل حركة طالبان في شمال أفغانستان .

الجنرال الأوزبكي «عبد الرشيد دوستم» يَتعهَّد بعدم دخول المدينة ، ويتركها لقائد شماليٍّ آخر .

قتال عنيفٌ بين الأسرى الأجانب وحُرَّاسِهم من تحالف الشمال في مدينة (مزار الشريف) .

الثلاثاء 27/ 11/ 2001م : إنزال 1000 جنديٍّ أمريكيٍّ في (قندهار) ، والبنتاغون يعترف بإصابة عسكريين .

استسلام خمسة آلاف من مقاتلي طالبان ، و750 مقاتل أجنبيٍّ .

الفصائل الأفغانيةُ تبحث في (بون) إمكانَ تشكيل حكومة انتقاليةٍ لمرحلة ما بعدَ طالبان في أفغانستان .

الأربعاء 28/ 11/ 2001م : القوات الأمريكيةُ تَحتشِدُ في جنوب أفغانستان ؛ استعداداً لمهاجمة (قندهار) الجنوبية .

اقتحام سجن (مزار الشريف) لإنهاء تَمرُّدٍ مُسلَّحٍ لأسرى طالبان وأنصارهم ، والحقيقة هي مجزرةٌ ومذبحةٌ للأسرى .

القوات الخاصةُ تُدمِّرُ طابوراً مُدرَّعاً لطالبان ، وتستولي على المطار تمهيداً لإقامة قاعدة متقدمة للعمليات .

«بوش» يؤكِّدُ أن الحرب ضد الإرهاب تُبرِّرُ اللجوءَ إلى المحاكم العسكرية .

الخميس 29/ 11/ 2001م: التمرُّدُ في قلعة (جانجي) يُسفرُ عن مصرع: 600 أسير، والأنباء تتحدث عن مذبحة للأسرى المقيَّدين.

تحالف الشمال يُعلِن السيطرةَ على تَمرُّد الأسرى في قلعة (جانجي) بعد ذبحهم وهم مقيدين كالنعاج.

الجمعة 30/ 11/ 2001م: رئيس المخابرات العسكرية ووزيران يَنشقُّون عن طالبان بعد نهاية الحرب.

واشنطن تؤكد قيامَ التحالف الشمالي بأسر عَشرةٍ من قادة تنظيم القاعدة.

أمريكا تضمن أربع قواعد عسكرية جديدة لها في أفغانستان.

وأخيراً استطاعت القوات الأمريكية وحلفاؤها من تحقيق الانتصار الكبير على طالبان والقاعدة؛ بعد استخدام أحدث الطائرات، وأجدِّ البوارج الحربية، وأكبر الصواريخ، حتى جعلت أفغانستان خَرَاباً يَباباً، ثم استقدمت صَنيعَتَها وحَليفَها «حامد كرزاي» وأبرزَ قيادات الشمال، لتُقيمَ دولةً مُواليةً للولايات المتحدة الأمريكية، وتكونَ قاعدتَها المتقدمةَ لبسطَ سيطرتها على منطقة جنوب آسيا، وجنوب روسيا، وغرب الصين، ولتصبحَ السيدَ المُطاعَ الأمين..؟

# بوش واليمين المسيحي الصهيوني في أمريكا

نشرت مجلة (وجهات نظر) المصريةُ الشهريةُ مقالاً بالغَ الأهمية، بقلم: الكاتب «محمد السَّماك»، يكشفُ فيه جذورَ وفروعَ العلاقة العضوية القديمة ـ الجديدة بين المسيحية الصهيونية المُسيطرة في الولايات المتحدة، وبين الحركة اليهودية والصهيونية في إسرائيل. ونظراً للأهمية القصوى لهذا المقال العلميِّ البالغِ العُمق، والذي يتعيَّنُ على كلِّ مُثقَّف سياسيٍّ عربيٍّ أن يَطَّلعَ عليه، لذلك ارتأت «المجد» الأردنيةُ إعادةَ نشره؛ حتى يَعرفَ المواطنُ العربيُّ العلاقةَ غيرَ العادية بين الصهيونية واليهودية من جهة، وبين المسيحية ـ الصهيونية المسيطرةِ في الولايات المتحدة من جهة أخرى.

فإلى القارىء العربي والمسلم من المحيط إلى الخليج نُقدِّمُ هذا البحثَ لمعرفة مدى الترابط الحقيقي بينهما:

((تؤمن هذه المجموعة من الشخصيات الدينية: بأن إرادة الله مُتمثِّلةٌ بقيام إسرائيل، وأن الله يُساعد مَن يساعد إسرائيل، ويُعادي من يُعاديها. وإن قيام إسرائيل يؤكد توافرَ الشرط الذي طال انتظارُهُ من أجل العودة الثانية للسيد المسيح، وبالتالي فإن الدفاع عن إسرائيل هو عمل دينيٌّ يتعلَّق بثوابتَ إيمانية، وليس مُجرَّدَ موقفٍ سياسيٍّ يتأثر بالمتغيِّرات من الأحداث.

إن في الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة العلمانية (والتي نَصَّ دُستورُها على فصل الدين عن الدولة): 1400 محطَة دينية، يَعملُ فيها ثمانونَ ألف قسّيس إنجيليٍّ، أكثريَّتُهُم الساحقةُ من أتباع هذه المدرسة: التي تَعتبرُ إسرائيلَ تَجلِّياً إلهياً، وتجسيداً لنعَمه من أجل خلاص بني البشر.. !!؟ لذلك ما أنْ تُواجهُ إسرائيلُ أزمةً أو مَأزقاً، حتى يتحرَّكَ هذا الجيشُ الإعلاميُّ ـ الديني عبرَ شبكة الكنائس ومَحطَّات الإذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والأسبوعية التي تتولَّى إصدارَها.

وينطلق التحرُّكُ من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية، وهي: أن القوانين الوضعيةَ الدوليةَ لا تُطبَّقُ على إسرائيل؛ لأن إسرائيل تختلف عن كلِّ الكيانات السياسية الأخرى في العالم؛ من حيثُ أنَّ وجودَها هو تجسيدٌ لإرادة إلهية، وليس استجابةً لحالة إنسانية، وتالياً:

فإن ما يجب أن يُطبَّقَ على إسرائيل هو الإرادةُ الإلهيةُ التي وَردتْ في الكتب المقدَّسة، وأبرزها: الوعد الإلهيُّ لشعب الله المختار.

من هنا فإن حكومات إسرائيلَ ـ أيّاً كان رئيسها ـ في حلٍّ ليس فقط من قرارات الأمم المتحدة (425، و338، و442، و194 والآن: 1402، و1403)، ولكنها في حلٍّ حتى من أيِّ اتفاق عَقَدتهُ حكومةٌ إسرائيليةٌ سابقةٌ إذا تبيَّنَ أن هذا الاتفاقَ يتناقضُ مع مصالح الشَعب المختار، أو معَ الوعد الإلهيِّ، مثل: اتفاق أوسلو.. !! وهذا ما يفعله الجنرال «شارون» الآن.

جاء في كتاب «النبوءة والسياسة»، للكاتبة الأمريكية المعروفة «جريس هالسل»: التي كانت تكتب خطابات الرئيس الأسبق «ليندون جونسون». تقول الكاتبة من خلال تَجربتها في العمل بالبيت الأبيض: «إنه في كل مرّة يجتمعُ مجلسُ الأمن القوميُّ لاتخاذ قرار يتعلّق بالشرَق الأوسط، يُدعى مُمثِّلٌ من هذه الكنيسة الإنجيلية تحديداً، حتى يأتيَ القرارُ متوافقاً معَ الإيمان بالنبوءات الدينية الواردة في "التوراة"، والتي وَضعَتْ هذه الكنيسةُ تفاسيرَ وترجمات حديثةً لها، وفي كلِّ مرة يَتمُّ انتخابُ رئيس أمريكيٍّ جديد يَتولَّى أحدُ رموز هذه الكنيسة تَرؤسَ قُدَّاس حلْف اليمين الدستورية. ولقد حلفَ الرئيسُ «كلينتون» اليمينَ الدستوريةَ أمام أحد قادة هذه الحركة: القسّ «بيلي جراهام».

تؤمن هذه الحركة: بالعودة الثانية للمسيح، وبأن لهذه العودة شروطاً، منها: قيام دولة صهيون، وتجمُّع يهود العالم فيها؛ ولذلك تَعتبرُ مساعدةَ إسرائيل واجباً دينياً، وليس مُجرَّدَ عملٍ سياسيٍّ، مرتبطٍ بحسابات المصالح.

وتؤمن هذه الحركة الأصولية أيضاً: بأنه بمُوجَب تدبير إلهيٍّ أيضاً، تتعرَّض الدولةُ اليهوديةُ إلى هجوم من غير المؤمنين، وخاصةً من المسلمين والمُلْحدين، ممَّا يتسبَّبُ في وقوع مجزرة كبيرة تُدعى (هر مجدّون) ـ نسبةً إلى موقع المجزرة في سهل مجيدو (مَجدّو): الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية.. في هذه المجزرة تُستعملُ أسلحةٌ مُدمِّرةٌ كيماويةٌ ونوويةٌ، ويُقتل فيها مئاتُ الآلاف من المهاجمين ومن اليهود معاً.

إن سيناريو (هر مجدّون) كما يَرسُمهُ «هال ليندسي» أحد أبرز قادة الحركة في كتابه «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» يفترض الآتي:

1 ـ قيام إسرائيل.

2ـ عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد.

3ـ إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى . . !!؟

4ـ تعرُّض إسرائيل إلى هجوم كبير من الكفار: (المسلمين، والمسيحيين غير المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح).

5ـ قيام ديكتاتورٍ يكون أسوأ من «هتلر» أو«ستالين» أو«ماوتسي تونج»، يَتزعَّمُ القوَّاتِ المهاجمة.

6ـ خضوع مناطقَ واسعة من العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يُعادي اليهود . .

7ـ تَحوُّل 144 ألف يهوديٍّ إلى المسيحية الإنجيليَّة؛ بحيث يُصبح كلٌّ واحد منهم مثلَ: «بيلي جراهام»: القسِّ الإنجيليِّ الأمريكيِّ المعروف، ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الإنجيلية.

8ـ وقوع معركة (هر مجدّون) النووية التي تتسبَّب بكارثة بيئية ضخمة . .

9ـ ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم وبالجسد وبمعجزة إلهية فوق أرض المعركة، ونجاتُهُم من الكارثة، بينما تذوب أجسامُ بقية البشر في الحديد المنصهر.

10ـ حدوث كلِّ ذلك في غفلة عين.

11ـ نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض وحوله جميع المؤمنين به.

12ـ يحكم المسيح العالَمَ لمدة ألف عام بعدلٍ وسلامٍ حتى تقوم الساعة (الألفية).

ومن أتباع هذه الكنيسة شخصياتٌ أمريكيةٌ سياسيةٌ، ودبلوماسيةٌ، وإعلاميةٌ، وعسكريةٌ تتبوأ مراكزَ قياديةً بارزةً، كان منهم ـ مثلاً ـ: الرئيس السابق «رونالد ريغان».

لقد أصبح تقليدياً، دعوةُ شخصية دينية أو أكثرَ من هذه الكنيسة إلى البيت الأبيض في كل مرَّة يجدُ الرئيسُ الأمريكيُّ نفسَهُ مدعواً لاتخاذ قرار جوهريٍّ يتعلَّق بالشرق الأوسط. أهمية مشاركة الشخصية الدينية هي: العمل على توجيه القرار السياسيِّ الأمريكيِّ؛ بحيث يتوافقُ مع إرادة الله . . وفي مفهوم هذه الحركة الكنسيةُ الأصوليةُ؛ فإن إرادة الله تُحدِّدُها التفسيراتُ الموضوعةُ لمجموعة من النبوءات الدينيةُ التي ورد ذكْرُها في بعض أسفار (التوراة والعهد القديم)، مثل: سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوحنا، وغيرها. ومن هذه النبوءات معركة (هر مجدّون) التي يتبعها مباشرةً الظهورُ الثاني للمسيح.

في آذار 1981م، نقلت مجلة «نيويورك تايمز»، عن أحد كبار شخصيات هذه الحركة؛ وهو: القس «جيري فولويل» أن الرئيس «ريغان» قال له: ((جيري، إنني أحياناً أؤمن بأننا نتوجَّهُ بسرعةٍ كبيرةٍ نحو (هر مجدّون)).

وفي تشرين الثاني 1983م، قال الرئيس «ريغان» أمام لجنة العلاقات العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية:

((إنني أتساءَل إذا كُنّا نحن الجيلَ الذي سيَشهَدُ معركةَ (هر مجدّون). إن النبوءات في العهد القديم تصف تماماً الوقت الذي نمرُّ فيه)).

فالعلاقة بين العمل السياسيِّ ـ العسكريِّ، والإيمان الدينيِّ بهذه النبوءات، هي علاقة مباشرةٌ؛ ذلك أن هذه الحركةَ الكنسيةَ تُعلِّمُ أتباعَها: أنَّ من واجب الإنسان المؤمن أن يُوظِّفَ كلَّ إمكاناته وقُدراته لتحقيق إرادة الله، وأنَّ الله يختار من الناس من يُؤهِّلُهم ويُمكِّنُهم من القيام بهذا الدور المساعد لتحقيق الإرادة الإلهية، ولذلك كان الرئيس الأسبق «ريغان» يقول: ((إنَّه يتمنَّى أنْ يَمُنَّ الله عليه بشرف كبس الزرِّ النوويِّ لتحقيق إرادة الله في وقوع (هر مجدّون)، ومن ثَمَّ بظهور المسيح..)).

هذا يعني: أن الإيمان بـ(هر مجدّون)ـ المفترضة ـ!!؟ يتطلَّبُ إنتاجَ الأسلحة المُدمِّرة، وقد أُنتجت، وهو يتطلَّبُ خلْقَ الظروف المواتية لاستعمالَ هذه الأسلحة في المكان الذي تُحدِّده النبوءاتُ للظهور الثاني للمسيح، وهذا المكانَ هو في منطقةُ الشرق الأوسط.

وردت كلمة (هر مجدّون) مرةً واحدةً في "الإنجيل"، وتحديداً: في المقطع السادسَ عشرَ، من الفصل السادسَ عشرَ من "سفر الرؤيا"، وجمعهم كلُّهم في مكان يُدعى بالعبرية (هر مجدّون).

وفي الفصل: 38 و39 من "سفر حزقيال"، وصفٌ لمَا يَحدُثُ: ((ستَنهَمرُ الأمطارُ، وتذوبُ الصخور، وتتساقطُ النيران، وتَهتزُّ الأرض، وتتساقطُ الجبال والجدران على الأرض في وجه كلِّ أنواع الإرهاب..)).

ويُفسِّر القسُّ «هول ليندسي» الحُلُمَ الذي ورد في "سفر يوحنا": بأن «يوحنا» رأى في الحُلُم جراداً له أذيالُ العقارب: ((بأنها طائراتُ هليكوبتر (كوبرا): التي تُطلقُ من أذيالها غازَ

الأعصاب . . !!؟، وهي الطائرات التي استخدمها الجيشُ الإسرائيليُّ في قصف مُدن ومُخيَّمات الضفة الغربية، وقطاعِ غزَّة، وبخاصة مُخيَّمِ جنين: الذي كادت إسرائيل أنْ تُزيلَه من الوجود.

يقول القس «ليندسي» في كتابه الشهير (نهاية الكرة الأرضية العظيمة):

((بعد أن أصبح اليهودُ أمةً، بدأ العدُّ العكسيُّ للمؤشرات التي تتعلَّق بالنبوءات الدينية . . قيام إسرائيل في حدِّ ذاته كان أوَّلَ مؤشِّرٍ، ثمَّ احتلالُ القدس، ومن المؤشرات المُنتَظَرة: بناءُ هيكل سليمان)).

واستناداً إلى هذه النبوءات؛ فإنَّ العالَمَ كلَّه سوف يتمركز حول الشرق الأوسط، وخاصةً حول إسرائيل في الأيام الأخيرة. إنَّ كلَّ الأمم سوف تضطرب، وسوف تتورَّط بما يجري هناك، وباستطاعتنا الآنَ أن نرى كيف أن هذا الأمر يتطوَّر ويأخذُ مكانَهُ الصحيحَ في مجرى النبوءات تماماً . . كما تأخذ الأحداثُ مَواقعَها في الصحف اليومية المُلفتة للاهتمام.

ومنذ العام 1970م والقسُّ الإنجيليُّ المعروفُ «بيلي جراهام» يُردِّدُ في مواعظه التي تَنقُلُها شبكاتُ التلفزيون الأمريكية:

((إن العالم يتحرَّك بسرعة كبيرة نحو (هر مجدّون)، وإن الجيل الحاليَّ من الشباب قد يكون آخرَ جيل في التاريخ . . هذا القسُّ هوَ الذي أدَّى صلاةَ الاحتفال بأداء القسم للرئيس «كلينتون» لدى تَسلُّمه سُلُطاته رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في عام 1992م . . ثم إنَّ الرئيس «جورج بوش الابن» أقسمَ اليمينَ أمام القسِّ «جراهام الابن» . . ؟؛ الذي أعلن بعد 11 أيلول (سبتمبر): «إن الإسلام ليس فقط مصدرَ الإرهاب، بل إنه الشيطانُ نفسُهُ» )).

هذا هو «جورج بوش الابن» فاعرفوا يا عربُ ويا مُسلمون حقيقتَهُ . . أم أنَّ حكام العرب وبلاد الإسلام يُصرُّون على التغافل - إن لم يكونوا غافلين، أو نائمين بالفعل . . ؟ - رَحِمَ الله قادةَ الثورة الإسلامية في إيران: الذين كانوا أوَّلَ مَن اكتشفوا وعَرَفوا وسَمَّوا أمريكا: بأنَّها هي الشيطانُ الأكبرُ . . إنهم يَستحقُّون تاجاً؛ لكشفهم هذا السِّرَّ الذي تَوارَى عن أعين حُكَّامنا العرب مئات السنين، رغم وضوح الرؤية والحقيقة . . ولكنهم للأسف يتجاهلون . .

وعندما زار الرئيس الأمريكيُّ الأسبقُ «جيمي كارتر» إسرائيلَ في آذار 1979م، ألقى خطاباً - أمام الكنيست، وكان يَعملُ على إقرار مُعاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل، -

قال فيه: ((جَسَّدَ مَن سَبقَ من الرؤساء الأمريكيين الإيمانَ؛ بأنْ جعلوا علاقات الولايات مع إسرائيلَ هي أكثرَ من علاقات خاصة، إنَّها علاقاتٌ فريدةٌ؛ لأنها مُتأصِّلة في ضمير الشَعب الأمريكيِّ نفسه، وفي أخلاقه، وفي دينه، وفي معتقداته. لقد أقام كلا من إسرائيلَ والولايات المتحدةَ الأمريكية، مهاجرون رُوَّاد، ثم إننا نتقاسَمُ معكم تراثَ التوراة))، أليست هيَ وَحدةُ العقيدة . . ؟

طبعاً كان يُمكن أن يبدوَ سيناريو (هر مجدّون) وأدبياتُ الحركة الأصولية الإنجيليَّة الأمريكية مُجرّدَ خُزعبلات أو هَلوسة دينية، ولكنْ عندما يكون من بين المؤمنين بها إيماناً شديداً وصادقاً رؤساءُ، مثل: ريغان، وكارتر، وكلينتون، وجورج بوش، ووُزَراءُ، مثل: وزير الدفاع السابق جسبار، وينبرجر، وغيرُهم من كبار الشخصيات الأمريكية السياسية والعسكرية التي تتبوأ مراكزَ قياديةً حتى الوقت الحاضر، مثل: جورج بوش الابن. . . وعندما تُوزَّع نُسخٌ من كتاب «هول ليندسي» على كلِّ أعضاء البيت الأبيض ومُوظَّفي البنتاغون، وقادة القوات الأمريكية، وعلى جميع أعضاء الكونغرس: (الشيوخ، والنُّوَّاب)، وعلى حكام الولاياتَ، وكلِّ الشخصياتَ النافذة، عندما يَحدُثُ كلُّ ذلك بهذه العلانية، فإن السياسة الخارجيةَ للولاياتَ المتحدة في الشرقَ الأوسَط تصبح مُجرّدَ ترجمة لهذا المفهوم الإنجيليِّ المتهوِّد للمسيحية . .

ويَعكسُ الموقفُ الذي اتخذَهُ يومَ الثلاثاء بتاريخ 24 تشرين الثاني (نوفمبر) 1995م الكونغرسُ الأمريكيُّ بمجلسَيه: الشيوخ والنواب، باعتبار القدس عاصمةً لإسرائيل، وينقل مقرِّ السَّفارة الأمريكية إليها من تلِّ أبيب - مدى قدرة الحركة الأُصوليةَ على التأثير في صناعة القرار الأمريكيِّ. وعلى الرغم من عدم تنفيذ هذا المطلَب من قِبَل «كلينتون» لأسباب سياسية مؤقتة، فإن بديله الرئيسَ الجديدَ «جورج بوش» ومَجلسَيه: الشيوخَ والنوَّاب جَدَّدوا هذا المطلَبَ بقرار جديد في شهر تشرين الأول (أكتوبر) 2002م، ولا نعرف متى يَتمُّ هذا التنفيذُ؛ أهو خلال هذا العام، أم تأجيله قليلاً؛ لأنه للسياسة أبعاد وأحكام . . ؟ ولكنَّ القرار اتُّخذ، والتنفيذُ قادمٌ، ولجنةُ القدس العربية - الإسلامية نائمةٌ . . فإلى متى يا ترى . . . ؟

من خلال هذا الطرح، وتوضيحه بالشرح، يتبين لنا بوضوح: أنَّ الأُصوليّة الإنجيليةَ لا تقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينةَ لمفاهيم دينية محدَّدة، ولكنها تحاول أن تصنع المستقبلَ وفقاً لهذه التفسيرات الافتراضية؛ وعلى قاعدتها التي تريد.. ومن خلال الموقع الممتاز الذي تتبوأُهُ في مصنع القرار الأمريكي، والذي يتحكَّم في مصائر العالَم ومُقدَّراته، لم يَعد يجوز - ولم يكن جائزاً في الأساس - تَجاهُلُ دورها وتأثيرها ونفوذها.

فقرار الكونغرس بشأن القدس لم تُمْله مصالحُ أمريكيةٌ، وهو لا يقع في إطار حركة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، لكنْ أَمْلَتْهُ مُعتقداتٌ دينيةٌ أُصوليةٌ. وبات على السياسة الأمريكية أن تتكيَّف معه، وأن تعيدَ النظرَ في سُلُوكها وفقاً لمقتضيات الالتزام به كمعْطًى إلهيٍّ مقدَّس. إن هذا الموقف المبدئيَّ يؤكِّدُ التواصلَ بين التفسير الصهيونيِّ للعهد القديم: الذي تعتمدُهُ هذه الحركاتُ الدينيةُ الأمريكيةُ، والقرارِ السياسيِّ الأمريكيِّ في الشرق الأوسط.

في ضوء هذه المرتكزات الدينية السياسية الأمريكية في العالَم العربيِّ، فإنَّ من السَّذاجة اتِّهامُ الإدارة الأمريكية، سواء أكانت إدارةً جمهوريةً، أم ديمقراطيةً، بممارسة ازدواجية المعايير، سواء بالنسبة للتعامل مع القرارات الدولية، أو بالنسبة لإدانة انتهاكات حقوق الإنسان، أو الاعتراض على تجاوزات القانون الدوليِّ. ذلك أن إسرائيل هي في الأساس خارجُ هذه المعايير، وفوق الأنظمة والقوانين؛ لأنها في الإيمان الأمريكيِّ تجسيدٌ لإرادة إلهية مُقدَّسة، فأيُّ مَسٍّ بها هو انتهاك للمُحرَّمات، وتَحدٍّ للمشيئة الربانية، كما تقول هذه الكنيسة في تعاليمها..

ولترجمة هذا الإيمان عملياً، عُقِدَ عام 1985م أي: بعد مرور 88 عاماً على المؤتمر الصهيونيِّ الأول الذي عُقِدَ عام 1897م، في المدينة السويسرية (بال) نفسها، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة نفسها من الفندق، وفي الشهر نفسه: آب (أغسطس) مؤتمرٌ استثنائيٌّ للكنائس الإنجيليَّة: التي تَعتبرُ قيامَ صهيون أمرٌ لا بُدَّ منه؛ تَمهيداً للعودة الثانية للمسيح.

وجَّه الدعوةَ إلى المؤتمر الصهيونيِّ - المسيحي: الدكتور «دوجلاس يونج» مدير المعهد الأمريكيِّ لدراسة الأرض المُقدَّسة، وتَرأسَهُ الدكتور: «فان دير هوفين» رئيسُ الكنيسة الإنجيلية

الهولندية. وحضر المؤتمر التأسيسيَّ: 589 شخصية دينية؛ من الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا، ومن كنائسَ مماثلةٍ في دولٍ إفريقيةٍ وأسيويةٍ أُخرى، بلغ عددها 27 دولة.

ومنذ ذلك الوقت يُعقَد مؤتمراتٌ في شهر آب (أغسطس):

الأول: للحركة الصهيونية ـ اليهودية؛ استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظَّمهُ «تيودور هرتزل» عام 1897 م.
والثاني للحركة الصهيونية ـ المسيحية؛ الذي أعَدَّهُ «دوجلاس يونج».

انبثقت عن مؤتمره عام 1985م منظمةٌ جديدةٌ تحمل اسمَ: (السفارة المسيحية الدولية)، ومهمتها: توظيف النفوذ المعنويِّ والماديِّ للكنيسة (بعض الكنائس الإنجيلية الأمريكية)؛ من أجل تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقةِ بظروف العودة الثانية للمسيح وفقاً لما تقوله هذه النبوءات . .

وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق مُعظم الأهداف التي أعلنتها عام 1985م، ومن أبرزها:

نقل يهود الإتحاد السوفييتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاطعة ضد المصالح الإسرائيلية، وحمل دولة الفاتيكان وإسبانيا الكاثوليكيَّتين على الاعتراف بإسرائيل، وتبادل التمثيل الديبلوماسيِّ معها، والضغط عل دول أوربا الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمةً أبديةً مُوحَّدةً لإسرائيل.

وقد لعبت هذه المنظمةُ الدّورَ الأبرزَ في استصدار القرار الأول عن مجلس الكونغرس الأمريكيِّ (الشيوخ والنواب) في نيسان (أبريل) 1990م، الذي نصَّ على:

دعوة الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام 1995 م بنقل مقرِّ السفارة الأمريكية من تلِّ أبيب إلى القدس . .

صحيح أن الكنيسة الكاثوليكيةَ، والكنيسةَ الأرثوذكسيةَ، وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية تُعارض عمليات التهويد العقائديِّ والسياسيِّ، وتعتبرها تشويهاً للمسيحية

الحقيقية، وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصحيح في الوقت نفسه أن الدور السياسيَّ الذي تقوم به منظمةُ السفارة المسيحية الدولية تحت العباءة المسيحية، يكاد يصبح الدورَ الأهمَّ في التأثير على صياغة القرار الأمريكيِّ من قضايا الشرق الأوسط، والصراع العربي ـ الإسرائيلي.

تبنَّت هذه المنظمة اسمَ السفارة المسيحية الدولية توصيفاً للمهمة التي تقوم بها. وهي أن تكون بمثابة سفارة في مختلف دول العالم للدفاع عن إسرائيل ومصالحها. ولذلك أقامت فروعاً في مُعظم الولايات المتحدة الأمريكية، وأطلقت على رئيس الفرع لقبَ: «قنصل»، ومهمة الفرع: جمع التبرعات لبناء المستوطنات اليهودية، وشراء الأراضي من أصحابها العرب، وبيع سندات الدعم لإسرائيل، والاتصال المباشر مع ممثلي الولايات المتحدة من مستوى البلدية المحلية حتى الكونغرس لحثِّهم على الدفاع عن مصالح إسرائيلَ العامّة: الحيويةِ منها، وغير الحيوية.

وللسفارة المسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالمهمة نفسها.
ويُشكِّلُ المؤتمرُ السنويُّ الذي تَعقدُه في شهر (آب) أغسطس من كلِّ عام مُناسبةً لتقديم المنجزات التي حققتها، ولوضع برنامج عمل للعام الجديد.

وتتولى هذه المنظمة بشكل أساسيٍّ تنظيمَ عمل 250 هيئة وجمعية أمريكية (غير يهودية)، تعمل في الولايات المتحدة الأمريكية على قاعدة تفسيرات صهيونية، لما يُعتقَدُ أنه نبوءاتٌ توراتيةٌ تتعلَّق بعودة اليهود إلى فلسطين، وإقامةُ دولة صهيون: التي يظهر فيها المسيحُ ثانيةً؛ مُخلِّصاً للإنسانية من الشرور التي تَغرَق فيها.

لقد تجاهل العالَمان العربيُّ والإسلاميُّ هذه الحقائقَ منذ أوائل القرن الماضي، ودفعنا جميعاً ـ وما زلْنا ـ ندفع ثمنَ تجاهُلها غالياً جداً.. لقد آن الأوان ـ الآن ـ لأنْ نضعَ حَدّاً لهذا التجاهل، ولمواجهة الحقائق بشجاعةٍ وتصميم وبنفَسٍ طويل.

إن المفتاح الحقيقيَّ لسياسة أمريكية متوازنة في الشرق الأوسط ليس سياسياً، وهو ليس في المصالح الأمريكية في المنطقة.. المفتاح الحقيقيُّ هو: في العقيدة الدينية التي تتحكَّم في صياغة القرارات الأمريكية تجاهَ هذه المنطقة.. فهل هذا يعني أنَّ على العالَم العربيِّ ـ الإسلاميِّ،

الاستسلامُ للأمر الواقع . . ؟ أبداً: إنَّ المجتمع الأمريكيَّ مجتمعٌ مُتديِّنٌ ومُنفتحٌ، وفي الولايات المتحدة الأميركية كنائسُ إنجيليةٌ مُناوئةٌ لهذه العقيدة الصهيونية، وفيها كنائس كاثوليكيةٌ وأرثوذكسيةٌ محليّةٌ قويةٌ وواسعةُ الانتشار؛ تَعتبرُ هذه العقيدةَ تشويهاً للمسيحية وتهديداً لها، ومن خلال التعاون معها يُمكن على الأقل التخفيف من غُلَواء هذا التطرُّف الدينيِّ اليمينيِّ: الذي يَستقوي بآلة إعلامية تلفزيونية ضخمة، تُروِّجُ لأفكاره ولمبادئه، وتُمكِّنُهُ من استخدام حضوره، قوةً انتخابيةً، وقوة ضَغط معنوية مؤثرة في الشارع الأمريكي.

## مُناقشة موجزة:

عندما جعلتُ فاتحةَ كتابي هذا عبارة: «كذب المنجمون ولو صدقوا»؛ كنتُ أقصدُ ما أقول حقاً وعلْماً ومعرفةً؛ لأنَّ الحقائق تحتاج إلى دليل مادي أو برهان ملموس، وهذا ما يُفتقد في هذا السيناريو العجيب الغريب لمعركة (هر مجدّون): التي تكون فيها نهاية الكرة الأرضية العظيمة - كما يُسمِّيها «هال لينسي» -، وقيام دولة إسرائيل، ونزول السيد المسيح للمرة الثانية، والذي جَعلَها كلَّها تقوم على دراسات افتراضية . . !! وحتى عندما يَستشهدُ ببعض الشواهد التوراتية، فإنهُ لا يُقيمها على يقين؛ لأنه يعلم أنما التوراة حُرِّفت، وما جاء فيها كلُّه موضوعٌ: من أوَّله إلى آخره، إمَّا من مدرسة (يهود بابل - عزرا)، وإما من مدرسة (يهود فلسطين). وكلُّه كُتبَ بَعد السَّبي البابليِّ، وفقدان الكتابات الحقيقية لـ"التوراة" عند تدمير الهيكل وحَرْق كلِّ ما فيه، إضافةً إلى تدمير جزئي للقدس أيضاً.

فجاءوا لنا بكتابات توراتية تَعتمدُ على النبوءات . . !! ومتى كانت النبوءاتُ حقائقَ ماديةً ملموسةً . . !!؟. وحتى معركة (هر مجدّون): الذي وَضعَ لها المؤلِّفُ وصفاً صنعه من خيالات فكره بشكل روائيٍّ جذّاب لاستقطاب عقول البُسَطاء والعامِّيِّين من الناس؛ ليُشكِّلَ منهم قاعدةً لأفكاره، وكأنَّ الحُلُمَ الذي راود عقلَهُ بإعادة بناء هيكل سليمان عليه السلام - على أنقاض المسجد الأقصى - ولماذا على أنقاض، وهو يعلم أن الهيكل نفسَهُ، والذي دُمِّر نهائياً قد أقامه عمالٌ، فنيّون صُوريّون: فينيقيّون، وكنعانيّون . . ؟. ومنذ أكثرَ من ثلاثين سنة - بعد حرب 1967م وإسرائيل تَحفرُ وتعملُ حفريات وأنفاقاً في جوانب وتحت المسجد الأقصى، فلم يجدوا أيَّ أثرٍ لهيكلهم المزعوم . . !!

ثم يقود الكاتبَ خيالُهُ إلى خَلْق شخصية فريدة وغريبة؛ عندما يَخلُقُ له خيالُهُ ديكتاتوراً أقوى من «هتلر» و«لينين» و«ستالين» و«ماوتسي تونغ»، يُسيطرُ على كثير من مناطق العالم، ثم يقود جيوشاً جرَّارةً وأسلحةً مدمِّرةً ليُدمِّرَ إسرائيلَ في معركته الخيالية (هر مجدّون)، ولكنه يَفشَل؛ لأنَّ العناية الإلهيةَ ترفع بقدرة إعجازية اليهودَ إلى الأعلى لتُنجيَهم من الموت، عندما يَضربُ الديكتاتورُ أرضَ المعركة بالأسلحة الجرثومية والنووية، فيموت جميع المهاجمين، وتَنصهرُ أجسامُهُم، أمَّا اليهودُ فيَهبطُون إلى الأرض من العُلوِّ الذي كانوا فيه، ثم ينزلُ بعد ذلك المسيحُ من السماء ليحكُمَ مدةَ ألف عام.

ولا أظنُّ أن ديكتاتورَهُمُ المزعومَ، صاحبَ الأسلحة التدميرية والنووية إلاَّ مَن يرون أنه يَحملُ كلَّ هذه المواصفات إلاَّ «صدام حسين»..! حتى «رونالد ريغان» كان يرى ـ ولا يزال ـ: أنَّ كلَّ الظروف والأحوال في هذه الأيام مناسبةٌ لنزول المسيح، وحدوث معركة (هر مجدّون)..!! وكما قال الشاعر السوريُّ عُمَرْ الفرا: جَنَّ العجي...

وكان الأغربَ من هذا..: الحقدُ الدفينُ ضدَّ الإسلام والمسلمين: الذي يسكنُ في نفوسهم متخمراً، ولم يظهر بشكل واضح إلاَّ بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر)؛ الذين سمَّاهم «ابن لادن»: بأنَّهم كوكبةٌ من المؤمنين ـ وهم مجموعةٌ من الأصوليين الذين لا يُشكِّلون ـ من الناحية العددية ـ بالنسبة لعدد المسلمين رَقْماً يُذكر.. ولكن الرئيس العتيدَ «بوش» أنطقهُ الله بما يَجيشُ في صدره من حقد دفين، وأن الإسلام هو الإرهابُ، بل هو الشيطانُ نفسُهُ. فليَته، لو قال: بعضَ المسلمين، أو المسلمين لهان الأمر..!! ولكنه يُصرُّ على أن الإسلام بعقيدته السَّمحاء، وبرَحمانيَّته هو الإرهابُ، وهو الشيطانُ نفسُهُ..!!

أليس ذلك غريباً؛ أن يَصدُرَ مثلُ هذا القول غيرِ العاقلِ من رئيس أقوى دولة في العالَم، أم هو الغرور..؟

وكان الموضوع الآخر في سياسة «بوش» ـ وسياسة مَن قبلَهُ ـ موضوعَ مدينة القدس ـ هذه المدينة المقدسة لدى الأديان السماوية الثلاث: اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام ـ، فلماذا هذا التحيُّزُ الأعمى لصالح إسرائيل..؟. فعلى الرَّغم من تقادم الزمن، وبناء هذه المدينة باسم (أورسالم) في عهد الكنعانيين: الذين سكنوا فلسطين قبل مجيء اليهود إليها بآلاف مؤلفة من السنين ـ 2500 ق.م ـ

ولو أخذنا من عُمُر التاريخ الفترةَ الزمنيةَ منذ الدعوة الإسلامية حتى اليوم ـ 1400 سنة هجرية ، مدينة عربية خالصة بمسيحيها ومسلميها ، تُسقطُ كلَّ ادعاء لليهود في مقولاتهم عن المدينة المقدسة . فقد كان تواجدُهُم الحقيقيُّ فيها : في عهد داود وسليمان ، حتى سقوطها وتدميرها عام 586 ق.م ، أي : حوالي 600 ـ 700 سنة ، فهل يُقاس بعمرها الحقيقي : 2500 سنة قبل الميلاد ، عربيةً كنعانيةً ، و1400 سنة بعد الميلاد عربية إسلامية . . فأين صحة ما يدعون ويقولون ويحرفون . . ؟

## هل الولايات المتحدة دولة إرهابية..؟:

يجيب على هذا السؤال بروفسور اللُّغويّات الشهيرُ «نعوم تشومسكي» بعد أحداث هجمات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ، على مركز التجارة العالمية في نيويورك وواشنطن :

س : هل يمكن الفوز في حرب الأمة على ما يُسمَّى بالإرهاب . . ؟ إذا كان الجواب : نعم ، فكيف . . ؟ وإذا كان : لا ، ماذا عسى إدارة «بوش» أن تفعلَ للحيلولة دون وقوع هجمات كتلك التي حدثت في نيويورك وواشنطن . . ؟

ج / «تشومسكي» : إذا أردنا أن نعتبر هذا السؤال جدياً ، علينا أن ندرك بأن الولايات المتحدة تُعتبرُ في كل أنحاء العالَم تقريباً دولةً إرهابيةً . ولأسباب وجيهة ، يُمكننا أن نتذكر على سبيل المثال : أنه في عام 1986م أُدينت الولايات المتحدةُ من المحكمة الدولية بسبب الاستخدام غير القانونيِّ للقوة (إرهاب دولي) في نيكاراغوا ، ومن ثَمَّ مارست هي حقَّ النقض (الفيتو) على قرارَ لمجلس الأمن ؛ يدعو جميعَ الدول (أي : الولايات المتحدة) بالالتزام بالقانون الدوليِّ . هذا واحدٌ من أمثلة لا حصر لها . . ولكن إذا بقينا في دائرة السؤال الضيق ـ إرهاب الآخرين الموجَّه ضدَّنا ـ نعرف جيداً كيف نُناقشُ القضيةَ ؛ إذا أردنا أن نَحُدَّ من التهديد ، لا أن نُصعِّدَ من وَتيرَته :

عندما كانت قنابلُ الجيش الجمهوريِّ تنفجرُ في لندن ، لم نسمع صيحات تُنادي بقصف بلفاست الغربية أو بوسطن ، التي هي مصدرُ معظم الدَّعم الماديِّ للجيش الجمهوريِّ الأيرلنديِّ . على العكس : لقد اتخذت خطوات لتَعقُّب المجرمين ، وبُذلتْ جهودٌ للتعاطي مع ما يمكن وراءَ اللجوء إلى الإرهاب . . فعندما تَمَّ تفجير بناء فيدراليٍّ في مدينة أوكلاهوما ، تعالت الصيحاتُ

لقصف الشرق الأوسط، وربما كان سيحدث لو أنه تَبيَّن أن المصدر المسبِّبَ كان هناك، عندما تبيَّن أن التفجير كان محلياً، وله علاقة مع مليشيات يمينية مُتطرِّفة، لم تصدر صيحاتٌ لإبادة ولايَتَي مونتانا، وإداهاو. عوضاً عن ذلك، كان هنَاك بحثٌ عن الجاني: الذي أُلقيَ القبضُ عليه، وسيْقَ إلى المحكمةَ، وحُكِمَ عليه، وبُذلت جهودٌ لفهم الظروف الكامنةِ وراءَ تلك الجريمة، ومعالجةِ المشكلات..

وراءَ كلِّ جريمة - سواء أكانت سرقةً في شارع، أو مجازرَ ضخمةً - ثمةَ أسبابٌ كامنةٌ، وغالباً ما نَجدُ أن بعضها خطيرٌ ويحتاج إلى مناقشة. فعندما تعرَّضت نيكاراغوا في الثمانينات إلى هجوم عنيفَ من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية، فإنَّ عشرات الألوف - وليس آلافٌ قليلةٌ - من الناس لَقُوا حَتْفَهم، وتعرَّضتَ البلاد إلى دمار كبير، وربما لن تَتعافى منه أبداً؛ لأنَّ هذا الهجوم الإرهابيَّ الدوليَّ تَرافَقَ مع حرب اقتصادية مُدمِّرة؛ والذي لا يمكن أن تتحمَّله دولةٌ صغيرةٌ معزولةٌ ومحاصرةٌ من قِبَل دولة عُظمى، منتقمة، مثلما أشار بالتفصيل المؤرِّخون الطليعيون لـ: نيكاراغوا، ومنهم: «توماس ووكر»، وكانت التأثيراتُ على هذا البلد أكثرَ قسوةً من المآسي التي حدثت في نيويورك مؤخَّراً، لكنهم لم يردّوا بتفجير قنابل في واشنطن، واتجهوا إلى المحكمة الدولية، التي حكمت لصالحهم، وأمَرت الولايات المتحدةَ بدفع تعويضات كُبرى. لكنَّ الولايات المتحدةَ رَفضَتْ قرارَ المحكمة بازدراء، بل إنَها استجابت عبرَ تصعيد مباشَر لهجومها. بعد ذلك لجأت نيكاراغوا إلى مجلس الأمن: الذي أصدر قراراً يدعو الدُّول إلى مراعاة القانون الدوليِّ. الولاياتُ المتحدةُ وَحدَها استخدمتْ حقَّ النقض (الفيتو)، لكنَّ نيكاراغوا اتجهت إلى الجمعية العمومية، وحصلت على قرار مُشابه، عارضته خلال سنتين مُتتاليَتين كلٌّ من إسرائيلَ والولاياتِ المتحدةِ (انضمت إليهما مرةً واحدةً: السلفادور).

هذه هي الطريقة التي يجب على أية دولة اتِّباعُها.. فلو كانت نيكاراغوا قويةً بما يكفي لكانت أقامت محكمةً جنائيةً أُخرى.

هذه هي الإجراءاتُ التي يمكن للولايات المتحدة أن تَتخذَها، ولا أحدَ سيعترض طريقَها، هذا ما طُلِبَ منها أن تفعله من قبل الناس في كل أرجاء المَنطقة، بمَن في ذلك حلفاؤها.. تذكر أن الحكومات في الشرق الأوسط وشمال إفريقية، مثل: الحكومة الجزائرية الإرهابية، وهي من

أكثرها شَرّاً، ستكون سعيدةً في الانضمام إلى الولايات المتحدة في الوقوف في وجه الشبكات الإرهابية التي تُهاجمُها، إنهم أهدافٌ رئيسيةٌ، لكنهم كانوا يبحثونَ عن بعض دليل، ويريدون أنَ يفعلوها ضمنَ إطار بعض الالتزام البدائيِّ ـ على الأقلِّ ـ بالقانون الدوليِّ. فالموقف المصري مُعقَّد؛ لأنَّهم جزءٌ من النظام الرئيسيِّ الذي نَظَّم القوى الإسلاميةَ الراديكاليةَ، والتي تُمثِّلُ شبكةُ «ابن لادن» جزءاً منها، فكانوا الضَّحايا الأولى لها؛ عندما تَمَّ اغتيالُ «السَّادات»، وهم ضحايا رئيسيون لَها منذ ذلك الحين، هم يريدون سَحْقَها، لكنهم يقولون: فقط بعد الإتيان بدليلٍ حول المتورِّطين، وضمانِ ميثاقِ الأمم المتحدة، وتحت رعايةِ مجلسِ الأمن.

هذا هو المسار الذي يَتبعُهُ المرءُ إذا كانت النيةُ هي وضعَ حدٍّ لاحتمال المزيد من المجازر.

هناك مسارٌ آخرُ، هو: الردُّ بمزيد من العنف، وتوقع تصاعد دائرة العنف، مما يؤدي إلى المزيد من الفظائع، مثل هذا الفعل الأخير، الذي يحث على الدعوة إلى الانتقام.. (كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية، باتخاذ قرارات عدوانية إرهابية قبل أن تتأكد وتتثبَّتَ من الفاعلين، وبدأ التهديد والوعيدُ قبل أن يعرفوا الحقيقةَ، أو أن يقبلوا عرضَ التحقيقِ الدوليِّ. لكنها سياسةُ الغطرسة وفعلُ القوة..)[1].

س: ماذا عن التَّحالُف الذي شُكِّل، والذي تحاول الولايات المتحدة لَمْلَمَتَه؟

ج / «تشومسكي»: علينا أنْ لا ننسى بأنَّ الولايات المتحدةَ الأمريكيةَ نفسَها دولةٌ إرهابيةٌ رائدةٌ. فماذا عن التَّحالُف بين الولايات المتحدة ـ روسيا ـ الصين ـ إندونيسيا، مصر ـ الجزائر، وجميع هذه الدول سعيدةٌ بأنْ ترى نظاماً دولياً يَنبُثقُ، تَدعَمُهُ الولاياتُ المتحدةُ، والذي يُتيحُ لهم ارتكابَ فظائعهم الإرهابية..؟

روسيا، على سبيل المثال: ستكون سعيدةً جداً لحصولها على مساندة الولايات المتحدة في حربها الإجرامية ضدَّ الشيشان، لديك الأفغانُ أنفسُهُم: الذين حاربوا الرُّوسَ، ربما كانوا هم الذين نفَّذوا عملياتَ إرهابية داخلَ روسيا، كما هو الحال ربما في الهند، وفي كشمير، وستكون إندونيسيا سعيدةً لتلقِّي الدَّعم في مجازرها في إقليم آشي، والجزائر ـ مثلما سمعنا مؤخراً ـ ستكون

(1) انظر: الحادي عشر من أيلول والعولمة، نعُوم تشومسكي/ ترجمة: د. عابد إسماعيل: ص 19 ـ 22.

هي الأخرى سعيدةً لإطالة عُمُر إرهاب الدولة الذي تُمارسُهُ، نفس الأمر ينطبق على الصين؛ حيثُ تُحارب ضدَّ القوى الانفصالية في الأقاليم الغربية، ربما في ذلك ضدَّ الأفغان الذين نظَّمتهم كلٌّ من: إيران، والصين؛ لمقاومة الرُّوس منذ أوائل عام 1978م، كما تُشيرُ بعضُ التقارير، وهذا يَسري على مناطقَ أخرى كثيرةٍ من العالم[1].

## وعن تدمير مصنع الشفاء الطبي في السودان يقول:

بعد سنة من الهجوم، ودون توفير الأدوية التي يُنتجُها المصنعُ المُدمَّرُ. فإنَّ عدد الوَفَيات في السودان نتيجةَ هذا القصف، استمرَّ بالارتفاع، ويَنسَق هادئ: بَلغَ عشرات الألوف من الأطفال: الذين عانَوا وماتوا بسبب الملاريا، السلّ، وغيرها من الأمراض القابلة للعلاج.

كان مُفاعلُ (الشفاء) يُوفِّرُ الدّواءَ للناس؛ حيثُ كان يُنتجُ نسبةَ: 90٪ بالمائة من مُنتجات السودان الطبية الرئيسية.. وفرضُ العقوبات على السودان يجعلُ من المستحيل استيرادَ كميات مناسبة من المُتطلَّبات الطبية التي تحتاجُها لسَدِّ النقص الذي خَلّفُه تدميرُ المُفاعل.. والعمل الذي اتخذتَه واشنطن في 20 آب (أغسطس) 1998م لا يزال يَحرمُ الناسَ في السودان من الدواء المطلوب. على الملايين من الناس أن يُعبِّروا عن دهشتهم: كيف يُمكن لمحكمة العدل الدولية في (الهيغ) أنْ تُحْيي هذا المناسبةَ

جوناثان بيلك

بوسطن غلوب، 22 آب (أغسطس) 1999م

يكتب سفير ألمانيا في السودان قائلاً: من الصعب أن تُقدِّرَ عددَ الناس في هذا البلد الإفريقيِّ الفقير: الذين قَضَوا على إثْرِ تدمير مصنع (الشفاء)، لكنَّ عَشَرات الآلاف؛ يبدو رَقْماً غيرَ مُبالَغٍ فيه[2].

مصنع (الشفاء) كان يُزوِّدُ السودانَ بـ: 50٪ بالمائة من الأدوية، وتدميرُهُ تَرْكُ البلادَ بدون دواء (الكلوركين): العلاجِ الوحيدِ لمرض الملاريا، وللأسف فإنَّ الحكومة البريطانيةَ رفضت بعد

---

(1) المصدر السابق ص 36 ـ 37.

(2) انظر: فيرنر دوم، الغرب والكونية، هارفارد إنترناشينال رفيو. صيف 2001م.

عدَّة شهور طَلَبات لإعادة تزويد البلاد بـ: (الكلوركين) على شكل مساعدات إغاثة حتى يَتيسَّرَ للسودانيين إعادةُ بناء المنشأة[1].

مُنشأة (الشفاء) كانت المصنعَ الوحيدَ الذي يُنتجُ عقارَ (TB) لأجل أكثرَ من 100 ألف شخص مريض، بكلفة: جنيه بريطانيٍّ واحد في الشهر، بدل عقارات أكثر كلفة؛ لا تُمثِّلُ خياراً للأغلبية الساحقة منهم، أو لأزواجهم وزوجاتهم وأطفالهم: الذين أُصيبوا بالمرض منذ ذلك الحين. وكانَ المصنعَ الوحيدَ الذي يُنتجُ أدويةً بَيْطريةً في هذه البلاد الشاسعة، التي تعتمد في مُعظمها على الزراعة، وكان مختصاً بإنتاج عقارات تُكافحُ الجراثيمَ التي تنتقل من القطيع إلى الرُّعاة، وهي أكثرُ الحالات المَرَضية المُميتة للأطفال في السودان، وعدد الوفيات لا يزال يرتفع بصمت وسكون[2].

أليست أقوال هؤلاء السياسيين والصحفيين والمُحلِّلين ـ وكلُّهم من الولايات المتحدة الأمريكية، ودول أوربا الغربية ـ دليلاً واضحاً على النَّزعة الدموية والإرهابية القاتلة عند قادة أمريكا السياسيين.. ؟، ومن الصعب على المرء تقديرُ حجم الخسائر نتيجةَ قصف السودان المظلوم من أمريكا القاصفة الظالمة، وحتى بعيداً عن عشرات الآلاف من الضحايا السودانيين الذين قَضَوا على الفور، أليس ينطبق هذا الفعل على فعلٍ إرهابيٍّ واحدٍ مدروس.

فعلى الأقل إذا كنا نمتلكُ أمانةَ تطبيق المعايير التي نُطبِّقُها عادةً على أعدائنا الرسميين، إن ردة الفعل في الغرب تُخبرنا الكثيرَ عن أنفسنا، إذا أردنا أن نُطبِّقَ بديهيةً أخلاقيةً أخرى: أن ننظر في المرآة.. لنرى نتائجَ فظائعِ أعمالنا، وأثرَها في الناس الآخرين. لقد كان قصف وتدميرُ مصنع (الشفاء) الطبيِّ في السودان أسوأ بكثير من الهجوم على البُرْجَين التّوأمَين، وعدد شهداء قصف المصنع أضعافٌ مضاعفةٌ عن قتلى البُرْجَين، ناهيك عن موت الأطفال بسبب انعدام وجود الدواء.

---

(1) انظر: باتريك وينتور، الأوبسرفر، 20 ديسمبر 1998م.

(2) انظر: جيمس آيتل، الغارديان: 2 أكتوبر 2001م.

## القتل المتعمد للشعب الأفغاني:

س: في كتابك «ثقافة الإرهاب»، تكتب: أنَّ المشهد الثقافيَّ مُضَاءٌ بصورة جليَّة بتفكير الحمائم اللِّيبراليِّين: الذين يضعون الحدودَ أمام الانشقاقِ الطبيعيِّ: كيف كان أداؤهم منذ أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر). . ؟

ج: بما أنني لا أُحبِّذ التعميمَ، دعني أضربُ لك مثالاً ملموساً:

في السادسَ عشرَ من أيلول (سبتمبر)، نقلت صحيفة (نيويورك تايمز): أن الولايات المتحدةَ الأمريكيةَ طلبت من باكستان ـ الحليفة ـ أن تقطع مساعدات الأغذية عن أفغانستان، ثم التلميحَ إلى ذلك من قبل، ولكننا هنا نُوردُهُ بكلِّ وضوح ومباشرةً. . ومن بين المطالب التي أصدرتها واشنطن إلى باكستان أيضاً: مُطالَبَتُها بوَقْف قوافلِ الشاحنات التي تنقل معظمَ الأغذية وغيرها من المعونات إلى السكان المدنيين في أفغانستان؛ الأغذية التي تَستُدُّ رُبَّما الملايينَ من الناسِ من خطر المجاعة.

جون بيرنز

إسلام آباد، (نيويورك تايمز)

ماذا يعني ذلك. . ؟ هذا يعني أن عدداً غيرَ معروف من الأفغان الجائعين سيموتون. . هل هؤلاء من الطالبان. . ؟ كلاَّ، بل هم من ضحايا طالبان، العديدُ منهم لاجئون في الداخل مُنعوا من المغادرة. . ولكنْ هنا تصريحٌ يقول: حسناً، دعنا نتابعُ ونقتلُ عدداً غيرَ معروف، رَبما ملايين، من الأفغان الجائعين الذين هم ضحايا لحركة طالبان، ماذا كانت ردة الفعل. . ؟.

أمضيت يوماً كاملاً تقريباً بعد ذلك في الإذاعات والتلفزة حول العالَم، ورُحتُ أُصرُّ على إثارة الموضوع، لا أحد في أوربا، أو الولايات المتحدة الأمريكية استطاع أن يُفكِّر بأية كلَمة من باب رد الفعل. . في أماكنَ أخرى من العالَم كان هناك الكثير من ردَّات الفعل، حتى في الدول المحيطة في أوربا، مثل: اليونان. كيف كان يجب أن يكون فعلنا تجاه ذلك. . ؟ افترض أن قوةً ما قويةً بما يكفي أن تقول: دعونا نفعل شيئاً يجعل عدداً كبيراً من الأمريكيين يموتونَ جوعاً. .

هل تظنُّ أنها مشكلةٌ خطيرةٌ . . ؟ مرةً أخرى : إنها ليست مقارنةً عادلةً ، فيما يتعلَّق بأفغانستان ؛ فإنها تُركت لكي تتعفّنْ بعدما استُبيحتْ ودُمِّرتْ من قبَل الإتحاد السوفييتي ، وتَمَّ استقلالُها لاحقاً من أجلِ حرب واشنطن ، ؛ إذ القسم الأكبرُ من هذا البلد تُرِكَ حُطاماً ، وناسُهُ في حالة يأس ، وهي من أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم .

س : سؤال طرحه «ميشيل ألبير» في : 22 أيلول (سبتمبر) : دعنا نفترضُ جدلاً ، بأن «ابنَ لادن» كان وراءَ الأحداث ، ما هو السبب الذي دفعه إلى ذلك . . ؟ لأنَّ فعلاً كهذا لا يساعد الفقراءَ والمحرومين ، ناهيك عن الفلسطينيين ، وما هو هدفه . . ؟

ج/ «تشومسكي» : على المرء أن يكون حذراً تجاهَ ذلك ، حسب ما يذهب إليه «روبرت فيسك» : الذي أجرى معه حوارات عديدةً ومطولةً ، فإن «ابن لادن» يُشاطر الناسَ الغضبَ في كلِّ أرجاء المنطقة على الوجود العسكريِّ الأمريكيِّ في المملكة العربية السعودية ، وعلى دعم الفظائع المُرْتكبَة ضد الفلسطينيين ، يُضافُ إلى ذلك : التدميرُ الذي ألحقته الولاياتُ المتحدةُ بالمجتمع المدنيِّ العراقيِّ ، ذاك الشعورُ بالغضب يتشارك فيه الغنيُّ والفقيرُ ، وعلى ساحة المشهد السياسيِّ وتنويعاته الأخرى . . الكثيرون مَن هم على دراية بالأوضاع ؛ يُشكّكون بقدرة «ابنِ لادن» على التخطيط لعمَليةٍ مُعقَّدة بشكل لا يُصدق من كهفٍ ما في أفغانستان .

ولكنْ أن تكون شبكَتُهُ مُتورِّطةً فهذا وارد جداً ؛ حيث إنه يُمثِّل الإلهامَ بالنسبة لهم أيضاً ، هذه بنى لامركزية ، وغير هرمية ، وربما تملك قنوات إتصال محدودة جداً فيما بينها ، ومن الممكن جداً أن يكون «ابن لادن» يَنطقُ بالحقيقة عندما يقول : إنه يسمع بالعملية . . ولكن لنضع كلَّ ذلك جانباً ، إن «ابن لادن» واضحٌ جداً فيما يريد ، ليس فقط أمامَ الغربيين : الذين يُجرُون معه مقابلات ، مثل : «فيسك» ، بل وهذا هو الأهم ، أمام جمهوره الناطق بالعربية : الذي يصل إليه عبرَ أشرطةِ الكاسيت الواسعة الانتشار . وإذا تَبيّنا جدلاً صيغتَهُ ، فإنَّ المُستَهدَف الرئيسيَّ هو المملكةُ العربية السعوديةُ وغيرُها من الأنظمة القمعية والفاسدة في المَنطقة ؛ حيثُ إنها من وجهة نظره : غيرُ إسلامية . هو وشبكتُه عاقدان العزم على دعم المسلمين الذين يقاتلون الكفارَ حيثما كانوا : في الشيشان ، البوسنة ، كشمير ، الصين الغربية ، الفيلبين ، شمال إفريقية وغيرها ، لقد خاضوا حرباً مقدسةً ضدَّ الروس وأخرجوهم - وهم بنظرهم أوربيون - من أفغانستان الإسلامية ، وهم الآن أكثرُ

تصميماً على طرد الأمريكيين من المملكة العربية السعودية، وهو بلد أكثرُ أهميةً بكثير بالنسبة إليهم؛ بما أنه الحاضنُ للأماكن الإسلامية المقدَّسة، وقد أضرَّت الهجماتُ الأخيرة ـ على سبيل المثال ـ بالفلسطينيين، ولكنه يبدو بطلاً بسبب مواقفه الشجاعة ضدَّ الأنظمة القمعية المتعاملة مع البلد الإرهابيِّ الأوّل في العالم: الولايات المتحدة الأمريكية.. وتعليق صغير: أليس قَطعُ الأغذية عَمْداً عن الشَعب الأفغانيِّ ـ بالضغط على باكستان ـ يُعتبر عملاً إرهابياً كبيراً.. ؟؛ لأن تنفيذ ذلك بدون سبب يُشكِّل جريمةً كبرى، وإرهاباً، وحقداً.

س: إذا تجاوزنا ردودَ الفعل العامة ـ أي: ضربةَ 11 أيلول (سبتمبر)، برأيك: ما هي الدوافعُ الحقيقيةُ التي تُوجِّهُ السياسةَ الأمريكية في هذه اللحظة.. ؟ وما هي غايةُ الحرب على الإرهاب كما يقترحها «بوش».. ؟

ج: الحرب على الإرهاب ليست جديدةً ـ والجديد هو تصعيدُها إلى أبعدَ من مَداها ـ، وليست حرباً على الإرهاب.

علينا أن نتذكر أن إدارة «رونالد ريغان» الرئيس السابق للولايات المتحدة، جاءت إلى الحكم قبل عشرين عاماً، وهي ترفع شعاراً يقول: (إن الإرهاب الدوليَّ (الذي يشرف عليه عالمياً: الإتحادُ السوفييتي)، هو الخطرُ الأكبرُ الذي تواجهه الولايات المتحدةُ؛ حيث إنها الهدف الحقيقيُّ للإرهاب، مع أصدقائها وحلفائها).

علينا إذن أن نُسخِّرَ أنفُسَنا لحرب تقضي على هذا السرطان، وهذا الطاعون الذي يَتهدَّد الحضارةَ، فالريغانيون ـ نسبةً إلى «ريغان» ـ تصرَّفوا على هدي هذا الالتزام عبرَ تنظيمهم لحملات من الإرهاب الدوليِّ غير عادية من حيثُ نطاقُها وقُدرتُها التدميريةُ، مما أدى إلى إدانة المحكمةَ الدولية للولايات المتحدة الأمريكية؛ بسبب تقديم المساعدة لعدد لا يُحصى من المجموعات، نذكر منها على سبيل المثال: في جنوب إفريقية؛ حيث التدخُّلاتُ التي يَسندُها الغربُ هناك، ساهمت بقتل: مليون ونصف من البشر، وتَسبَّبت بأضرار وصلت إلى: ستين بليون دولار خلال سنوات «ريغان» وحدَها. والهستيريا حول الإرهاب الدولي وصلت ذروتها في منتصف الثمانينات، في الوقت الذي كانت فيه الولاياتُ المتحدةُ وحلفاؤُها في مقدِّمة مَن يُساهمون بنشر هذا السرطان الذي كانوا يطالبون باجتثاثه.

يجب أن نتذكر أيضاً أن أحد مُهمَّات المثقَّفين المُفضَّلة هي : أن يُعلنوا كلَّ بضع سنوات : أننا غيّرنا المسارَ، وأن الماضي خلفنا، ويمكن أن ينسى فيما نَحن نسير باتجاه مستقبلٍ باهرٍ. إنّه موقف ملائم جداً، لكنه لا يكاد يرتقي إلى الموقف الرائع أو المعقول.

س : منذ الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، كان وزير الخارجية «كولن باول» يُلمِّح بأن الولايات المتحدةَ يُمكن أن تعتمد مَوقفاً جديداً تجاهَ محنة الفلسطينيين، ما هي قراءتك . . ؟

ج : قراءتي هي قراءةُ بعضِ المسؤولين بالضبط، وغيرِ ذلك من المصادر مما اقتُبس في قصة على الصفحة الأولى من صحيفة (نيويورك تايمز)؛ إنهم يؤكدون أن «بوش» و«باول» لن يذهبا حتى إلى ما ذهبت إليه اقتراحاتُ «كلينتون» في (كامب ديفيد)، وتَمَّ الترحيبُ بها هاهنا في الأوساط السائدة، لكنها غيرُ مقبولة على الإطلاق؛ لأسباب نُوقشت في إسرائيل بالتفصيل، ومثلما يمكن لأيِّ شخص أن يدرك بمجرد النظر إلى الخريطة . . !! وهذا سببٌ من الأسباب الذي يجعلُ من الصعب جداً العثورُ على خرائطَ هنا في أمريكا . . ؟ وليس في غيرها من الأماكن، بما في ذلك إسرائيل . . ؟. يمكن للمرء أن يعثر على تفاصيلَ أكثرَ حول هذا الموضوع في مقالات نُشرت أيامَ انعقاد مؤتمر (كامب ديفيد)، ومن ضمنها مقالاتي وغيرها، في مجموعة مُختارَة، حرَّرها «رون كيري» في كتابه (الانتفاضة الجديدة).

ومن الجدير بالذكر أن أُحادية «بوش» هي امتدادٌ لممارسة نَمَطية. ففي عام 1993م، أعلم «كلينتون» الأُممَ المتحدةَ : أن الولايات المتحدةَ ـ كما من قَبلُ ـ سوف تتصرَّف جماعياً إذا أمكن، أو أُحادياً إذا دعت الضرورةُ، واستمرَّ على هذا النحو.

هذا الموقف رددتهُ سفيرةُ الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة «مادلين أولبرايت» عام 1999م، ووزير الدفاع الأمريكي «ويليام كوهين» قال الشيءَ ذاتَه؛ عندما أعلن أنَّ الولايات المتحدةَ مُلتزمةٌ باستخدام أُحاديٍّ للقوة العسكرية للدفاع عن مصالحها الحيوية، وهذا يعني : ضمانَ الوصول غير المشروط إلى أسواق رئيسية، ومصادر الطاقة، والموارد الاستراتيجية، والوصول في الحقيقة : إلى أيِّ شيء تُقرِّر الولاياتُ المتحدة أنَّه يدخل ضمنَ أعرافها. ولكن «بوش» تجاوز ذلك، مُتسبِّباً بقلق حقيقيٍّ لدى حُلفائه عن الحاجة الراهنة لتشكيل تحالف يُمكن أن يُخفِّف من لهجة الخطاب، لكنه لن يُغيِّر على الأرجح من السياسات.

يُفترض بأعضاء التحالف أن يكونوا مساندين صامتين ومطيعين، وليسوا مشاركين. الولايات المتحدة تحتفظ لنفسها علانيةً بحق التصرف كما تختار، وهي تتحاشى بكل حذر أيّةَ عودة إلى المؤسّسات الدولية، كما يتطلّبُهُ القانون، ثمّةَ إشاراتٌ باتجاه النقيض، لكنها تفتقر لأيٍّ مصداقية، على الرغم من أن الحكومات ستقبل بها، وتلين أمام القوة، مثلما تفعل بصورة منتظمة لأسبابها الخاصة... لن يربح الفلسطينيون على الأرجح أيَّ شيء، وعلى العكس، فإن الهجمات الإرهابيةَ في: الحادي عشر من أيلول كانت ضربةً مُوجعةً لهم، مثلما أدركوا على الفور ذلك هم وإسرائيل معاً.. لماذا..؟؛ لأنها فرصةُ شارون ـ المُتّفَقُ سراً ـ مع الولايات المتحدة على ضرب الانتفاضة ضربةً قاصمةً، للتحلُّل من اتفاقات أوسلو؛ لأنَ التوسُّعَ الحقيقيَّ لإسرائيلَ لا تقف حدودُهُ حتى عند احتلال الضفة الغربية، وقطاع غزة، بل إلى ما هو أبعدُ بكثير...

## «بوش الأب، والابن» و«كلينتون» وتحييد عقيدة العراق المعادية[1]:

بهدف تحسين الطبيعة الاستراتيجية لنهج الولايات المتحدة الأمريكية السياسيِّ، تعتقد مجموعة الدراسة: أنه من الواجب أَن يكون اتخاذُ خطوات لِلإطاحة بنظام «صدام حسين» هو في قمة الأولويّات الإدارية، في الوقت الذي يجب فيه الحفاظُ على وحدة التراب العراقيِّ وسلامة أراضيه.

يعتبر بقاء «صدّام حسين» على رأس السلطة في بغداد أكثرَ الأمور مَضرّةً على السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط، وفي حين أن حكمة إنهاء حرب الخليج دون الحاجة للإطاحة بنظام «صدام حسين» كانت ـ ولا تزال ـ موضعَ جَدَل. في المقابل نجد أن في دوائر الولايات المتحدة مَن يَعتبرُ أنَّ بقاء هذا النظام إلى هذه الفترة الطويلة على رأس السلطة أمرٌ غيرُ منطقيٍّ أبداً.

وكنتيجة نقول: إن الولايات المتحدة سابقاً وقعت في وضع من التصور أو التخيل أن القضاء على نظام «صدام حسين» لا يَصُبُّ أبداً في مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، أو أنه لن يكون متوافقاً مع الرغبة الدولية، وأنه سيؤثر سلباً على فاعلية قرار الأمم المتحدة، وتغيير هذا التصور يعود لأمور عدّة، منها:

---

(1) بناء الأمن والسلام في الشرق الأوسط/ الأجندة الأمريكية، ترجمة: يوسف جهماني

1 ـ فصدام حسين كان مراراً وتكراراً يَظهرُ بصورته العدائية، ويَنهَجُ نَهْجاً يتوافقُ مع هذه الصورة، الأمرُ الذي عبَّر عنه بالتهديدات والانتهاكات العسكرية ضد الكويت في تشرين الأول (أكتوبر) 1994م، والهجوم العسكري ضدَّ الأكراد، واجتياح مدينة أربيل في آب (أغسطس) 1996م. بالإضافة إلى هذه الانتهاكات العسكرية، رفعت لجنة الأمم المتحدة الخاصة: التي تعمل في العراق (يونسكوم Unscom) تقريراً في كانون الأول (ديسمبر) 1992م مَفادُهُ: أن العراق لم يتوقَّف عن القيام بإصلاح قدرته في التسلُّح الصاروخي البالستي (البعيد المدى)، هذا بالإضافة إلى أسلحة التدمير الشامل (لا سيما: البيولوجية منها)، وأن لجنةَ (يونسكوم Unscom) تعتقد أنَّ العراق لا يزال يحتفظ ببعضٍ من هذه الأسلحة بعيداً عن الأنظار.

أجل إن رغبة «صدام» لا تَصُبُّ في استمرار المقاطعة على العراق، وخطر تصدير البترول المستمر قُرابة الست سنوات منذ وقف إطلاق النار، والذي بنتيجته فقدتْ ميزانيةُ «صدام حسين» مئات المليارات من الدولارات، الأمرُ الذي كان سيساعدُهُ في دَفع الفواتير المستحقَّة للتطوير والحفاظ على أسلحة التدمير الشامل، التي كان يَمتلكُها منذ وقف إطلاق النار في حرب الخليج، وفي ذاتَ الوقت يؤكد نظامُ «صدام حسين» على حقَّه في إعادة تجهيز قُدُراتَه من الأسلحة غير التقليدية (الصواريخ بعيدة المدى).

2 ـ أصبحت تَظهرُ عند حلفاء الولايات المتحدة رغباتٌ في الاستماع إلى الدعاية التحريضية، مثلاً: ضد أفعال لجنة (يونسكوم Unscom)، ويأخذون ما يستمعون إليه على مَحمَل الجدّ؛ لأنَّ هؤلاء الحُلَفاء لم يؤمنوا منذ البداية أنَّ الإجراءات التي تقوم بها هيئة الأمم المتحدة بخصوص العراق ستكون ذاتَ فاعلية عالية. من هؤلاء الحلفاء مَن هو موجودٌ في أوربا، وبعضُهُم الآخرُ في الشرق الأوسط، أما الأخيرون فأخذوا يعتقدون أنه من الحكمة إعادةُ العلاقات مع «صدام حسين»؛ حيثُ هناك العديدُ من الدول كانت قد خسرت ـ وتخسرُ الآن ـ أموالاً كثيرة بسبب هذا الحصار وهذه المقاطعة الطويلة، وكان سببُ صمت هذه الدول هو أنها لم تكن تظنُّ أنَّ الحصار والمقاطعةَ سيستمرَّان طويلاً، كما حدث. فبعد أيام قليلة من صدور قرار مجلس الأمن رقم (986): «النفطُ مقابلَ الغذاء» وذلك لأغراض إنسانية، يَتمُّ نتيجةَ تطبيقه إيصالُ الأغذية للشعب العراقي، بغضِّ النظر عن التزام «صدَّام» ببقية قراراتَ الأمم المتحدة المتَّخذَة بشأن العراق ـ أخذت العديدُ من الدول الأوربية، والشرق أوسطية، تَتذمَّر من هذا الاستثناء الذي

قُدِّم لنظام «صدام حسين» من قبل هيئة الأمم المتحدة، التي طَبّقت مبدأ الانتخاب في تنفيذ القرارات، واتخذ هذا القرارَ مجافاةً للحقيقة التي كانت تؤكد على أن «صدّام حسين» أخذ يُظهرُ جَوْراً أشدَّ، وقَسوةً لا نظيرَ لها، وانتقاماً وحقداً كبيرَين في سياسته الداخلية ضدَّ شعبه، ومُعارضيه بشكل خاصٍّ. وانطلاقاً من هذه الأرضية، وجدت الولايات المتحدةُ صعوبات متزايدةً في الحفاظ على دعم الحلفاء وموافقتهم على فعلَيها العسكريَّين ضدَّ العراق، اللَّذَين قامت بهما في تشرين الأول (أكتوبر) 1991م، وآب (أغسطس) 1996م.

3 ـ كان «صدام حسين» يُشجِّعُ ويَدعَمُ أعمالاً ضدَّ مصالح الولايات المتحدة في أماكن أخرى من الشرق الأوسط، في الخليج هناك حاجة ماسَّة لخَلْق أرضية واسعة من سرعة البديهة؛ للحيلولة دون تأثير الأعمال العدائية الصادرة عن العراق وإيران على توازن واستقرار دول منطقة الخليج، وعلى علاقة الولاياتَ المتحدة بها، لا سيما العلاقات الأمريكية ـ السعودية منها. . وظهر «صدام حسين» بمظهر متصلِّب جداً، على ضوء العمَلَين الإرهابيَّين ضدَّ قواعد الولايات المتحدة العسكرية في السعودية في عامي 1995 و1996م، كما تَجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ هاتين العمليتين خَلَّفتا توتراً في العلاقات بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى أنَّ هنالك خطوطاً في الأفق في أنْ تصبح هذه الأعمال مُؤيَّدةً من الأوساط الشعبية السعودية، وأن تلقى دعماً مستقبلياً من طرفها، والأمر نفسه لن يكون في منأىً عن التأثير على الوضع الداخلي في أمريكا.

وعلى الجانب الآخر: هنالك تركيا؛ التي بلغت خسائرُها، من جرَّاء الحصار الاقتصاديِّ على العراق: (30 بليون) دولار في فترة الستِّ سنوات المنصرمة؛ الأمرُ الذي ساهم كثيراً في وصول (الرَّفاه الإسلاميِّ) إلى السلطة؛ ذلك الحزب الذي يَقِف ضدَّ هذا الحصار الاقتصاديِّ بصوتٍ عالٍ. .

وفي جانبٍ آخرَ مُهمٍّ وهو: الأردن؛ التي بدَورها أخذت تُعاني من الانكماش الاقتصاديِّ بسبب هذا الحصارِ المفروض على العراق، لا سيَّما حينما نعلم أن عملية السلام الذي عقدته مع إسرائيل لم تعوِّض عليها ـ اقتصادياً ـ ما كانت قد خسرته من جرَّاء انكماش وتَأثُّر تجارتها مع العراق ودول الخليج؛ الأمر الذي سيؤثر حَتْماً على وتائر التطبيعِ السياسيِّ بين الأردن وإسرائيل: التي من أهدافها عملية السلام في الشرق الأوسط.

وهكذا نجد أن حلفاءنا العربَ (سلطات وأحزاباً) أخذوا يتذمَّرون شيئاً فشيئاً من هذا الحصار، من جرَّاء مدى تأثيرِه السلبيِّ والضارِّ على مصالحهم.

وقد يكون الأكثرُ خطورةً من هذا جميعه، أن بقاء «صدَّام» سيظلُّ العقبةَ الرئيسيةَ في الطريق إلى احتواء النظام الآخر، الذي كانت مواقفه ـ ولا تزال ـ تُشكِّل تهديداً لمصالح الولايات المتحدة، ألا وهو نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. فمع الانتماء الاثنيني الثلاثي للشعب العراقيِّ: (الشيعة ـ السنة، الأكراد) والقاعدة الاقتصادية المعقَّدة، والموقعِ الجغرافيِّ الحاسم؛ الذي يتوسَّطُ الطرقَ المؤديةَ إلى الخليج، ومَنطقة بحر قزوين، بما فيهما من مصادر طاقة مهمة، فإن إيران تصبح ذاتَ شأن كبير، وإذا بقيت إيرانُ تُكنُّ العداءَ للغرب.. ؟ فإنها ستُشكِّلُ خطَراً كبيراً على مصالحه، وفي الحالة المعاكسة ستصبح ذاتَ فائدة عظيمة له، وهي تحت ظلال الجمهورية الإسلامية، كانت قد اختارت نَهجَها المعادي والمُتحدِّي للولاياتِ المتحدة، ومَصالحِ العرب؛ انطلاقاً من الإرهاب الموجَّه ضدَّ عملية السلام، مروراً بدوام احتلالها لثلاث جُزُرٍ من الجزر التابعة للإمارات العربية المتحدة في الخليج، وتهديدها سلامةَ الملاحةَ فيها، وصَولاً إلى دعمها المُفْرِط للحركات الإسلامية المتطرِّفة في العالَم الإسلامي، وتَبنِّيها لها، إلا أن الأكثر آنيّةً للبحث هو: طبيعة الخطر المُتأتِّي من العراق، وهذا يتضمن: إيرانَ، والكويت، والمملكةَ العربية السعودية، وإسرائيل، وإلى هذه القائمة أحدُهُم قد يستطيع إضافة: الولايات المتحدةَ، بذلك المعنى محاولةُ اغتيال الرئيس السابق «جورج بوش الأب». فصدام خلال فترة تَربُّعه على عرش السلطة شَنَّ حروباً طالت أربع دول مختلفة؛ الأمر الذي جعله يَحجُبُ الأضواءَ عن التهديد والخطر المتأتِّيين من إيران.. ، مع العلم أن إيران تشكل تهديداً للاستقرار في المنطقة على طول الخط، لكننا رفضنا الرأيَ القائلَ: بأنها تسعى إلى التقارب في بعض الأمور من نظام «صدام حسين»: الذي يجب غضُّ الطَّرْف عنه، بل على العكس، فنحن نرى أن أفضل طريقة لاحتواء إيران هي الإسراعُ بعملية استخلاف «صدام» في السلطة في العراق. وفي الحقيقة: ليس هنالك شيئاً أفضلَ من تغيير نظام الحكم في بغداد كوسيلة للضغط والتشديد على إيران.

إنَّ عدم بقاء العراق تحت تأثير العقوبات والمقاطعة الدوليتين، سيُغيِّرُ من موازين القوى في المنطقة؛ الأمرُ الذي سيَجرُّ طهرانَ إلى توليد أو استنباط خيارات سياسية وعسكرية متطرِّفة، وسيصبح أكثرَ حُريّةً في المناورة، وهذا جميعه سوف يأتي انطلاقاً من حجة تعزيز وحمايةِ الوضعِ

الأمنيِّ القوميِّ الإيراني، وهذه الأمور مجتمعةً تُشكِّلُ خطراً جدّياً على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في حال حدوثها.

وعلى المثيل من ذلك: كُنّا قد رفضنا الرأيَ القائلَ: إن بديل، أو وريثَ «صدام حسين» في السلطة، إمَّا أنه سيقوم بتقسيم العراق، أو لن يستطيع الحيلولةَ دون ذلك في الحد الأدنى..

إن الواقع يُشيرُ إلى عكس ذلك تماماً؛ لأن بقاء الهيمنة الصدَّاميَّة على السلطة يُشكِّلُ الخطرَ الأكبرَ على وحدة وسلامة أراضي الدولة العراقية، أما بديلُهُ فسيُقدِّم ما أمكنهُ للحفاظ على وحدة وتكامل التراب العراقيِّ، ليس هنالك لـ «صدام حسين» قبضةً قويةً وصارمةً على السلطة سوى في وسط البلاد.. فلكلٍّ من إيران وتركيا كانت هُناك انتهاكاتٌ عسكريةٌ مباشرة وفاقعةٌ في الأراضي العراقية. فإيران كانت تُقدمُ على هذه الانتهاكات مُستغلةً غيابَ السلطة أو فُقدانها في المناطق المستهدفة. أما تركيا؛ فكانت تتخذ ذريعةً أخرى بالإضافة لما سَبَقَ ذكرُهُ، وهي: الدعمُ السوريُّ لحزب العمَّال الكُردستانيِّ (p.k.k)، المتمثِّلُ في أحد جوانبه في إطلاق الحرية لعناصر هذا الحزب باختراق الحدود إلى الشمال بحرية تامّة، وإنه بمقدار ما يبقى «صدام حسين» مُتربِّعاً على عرش السلطة، بذلك القدر ستزداد الانتهاكاتُ الحدوديةُ لأراضيه، وستزداد مساحة تلك الأراضي المُسيطَرِ عليها من الدول المجاورة..؟

ونعتقد أن الطريقة المُثْلى في الحيلولة دون تقسيم العراق ـ من خلال الخيوط الإثنينية، أو إلى أجزاء يصبحُ كلٌّ منها مدعوماً من طرف خارجي ـ هي: في مجيء سلطة قوية إلى بغدادَ: تكون قادرةً على الحفاظ على الأمن القومي العراقيِّ، وعلى وحدة وسلامة أراضيه بالطرق السلميَّة، بالإضافة إلى مثل هكذا سلطة: يجب أن تتحلَّى بروح العدالة، وبالقُدرة على الإدارة الحكيمة، وهذا الأمر لا يُمكنُ تحقيقُهُ على أرض الواقع إلاَّ بعد الإطاحة بنظام «صدام حسين»[1].

---

(1) انظر: بناء الأمن والسلام في الشرق الأوسط/ الأجندة الأمريكية، ترجمة: يوسف جهماني: ص 8 ـ 86.

## تعليق ومناقشة موجزة:

لمَا جاء في ـ هذه الأجندة الأمريكية ـ التي أظهرت فيها أمريكا نفسَها بأنَّها الدولةُ المُحبَّة للسلام، الحريصةُ على وحدة العراق، والإيحاء بأنها البديل الوحيد لنظام «صدام حسين»، مَن أجل الحفاظ على وحدة العراق الذي يطمع جيرانه فيه، مُستغلِّين ضعفَ سلطة «صدام حسين» الموجودة فقط في وسط العراق.. ؟ وصدق الشاعر العربيُّ عندما قال:

ألقَاهُ في اليَمِّ مكتوفاً وقال له: إيّـاك إيّـاك أن تبتـلَّ بالمـاء

نعم، لقد أخطأ العراق خطأً فادحاً في عدم تفكيره جدِّياً بعواقب هذا الغزو للكويت، ولكنه خطأ أبناء الأمة الواحدة: دِيْناً، ولغةً، وتاريخاً، حتى أن الكويت ـ البلد المُعتدى عليه ـ ترفضُ ضربَ العراق وتقسيمَهُ، والسعوديةُ: التي كانت الحليفَ الأقوى للكويت، تقف اليومَ مُعارضةً ضربَ العراق وشعبه، حتى مصرُ، وسورية ترفُضان الضربَ، علماً بأنهما قد اشتركتا في حرب الخليج الأولى؛ لأنَهما اعتبرتا احتلالَ العراق للكويت ظاهرةً لا سابقةَ لها في دول الجامعة العربية، فلماذا إذن هذا الإصرارُ من الولايات المتحدة على ضرب العراق وتدميره، علماً بأن جميع حلفاء الولايات المتحدة؛ التي ساهمت معها بحرب الخليج وتحرير الكويت من دُوَل أوربا وأمريكا، ترفُضُ مبدأ الضرب، وبخاصة: أنَّ العراق استجابَ لجميع مطالب هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، حتى أن موضوع المفتشين: الذي تتَّخذُ منه الولاياتُ المتحدةُ ذريعةَ لضرب العراق، قد استجابت العراقُ لنداء الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وقَبِلَت دخولَ المفتشين بدون قيد ولا شرط، ـ وهذا الذي كانت تُصرُّ عليه الولاياتُ المتحدة ـ . . .

فيا ترى وقد قال الإمامُ «عليُّ بنُ أبي طالب» كرَّم الله وجهه: ما عدا مما بدا.. ؟ أي ماذا تريد الولايات المتحدة، وقد وافق العراق على استباحة حرمة أراضيه وقصوره ووسائل دفاعه الجوي والبري.. ؟

إذن الموضوع ليس موضوعَ تفتيش، ولا موضوعَ تجريد العراق من أسلحة التدمير الشامل أو الصوارخ البالستية.. ؟ ولا هو مصلحةَ الشعب العراقي وتأمين الغذاء له، بل إن هناك أهدافاً استراتيجيةً خاصةً بالولايات المتحدة في العراق.

وعلى ضوء التَّصريحات والنداءات التي تنادي بها أمريكا يُمكننا أن نُلخِّصَ أهدافَ أمريكا لضرب العراق بالآتي:

1 ـ تغيير النظام السياسيِّ العراقيِّ تغييراً جذرياً، وعلى رأسه «صدام حسين»؛ لأن هذا النظام ـ بغض النظر عن شرعيته أو عدمها ـ يقف حَجَرَ عَثْرة أمام تَطلُّعات الولايات المتحدة المستقبلية، وحجرَ عثرة أكبرَ بالوقوف ضدَّ تنفيذ مخططاته الاستراتيجية، وبخاصة أمنَ إسرائيل: الذي تعتبرُهُ الولاياتُ المتَّحدةُ خطاً أحمر؛ لأن امتلاكَ العراق لأسلحة بعيدة المدى، أو لأسلحة التدمير الشامل ـ يُشكِّلُ خطراً على إسرائيل.. !! علماً بأن قبول العراقَ للتفتيش بدون قيد أو شرط يُعتبرُ دليلاً مادياً ملموساً على عدم وجود هذه الأسلحة عنده؛ لأنه يعلم أن تكنولوجيا التفتيش ـ برعاية أمريكا ـ ستكشف أيَّ نوع من هذه الأسلحة حتماً، ولكنها فلسفةُ أمريكا السياسية، التي تقول: إنَّ «صدام حسين» خطرٌ حتى على أمريكا نفسها.. !! أليس هذا هُراءً.. ؟؛ لأن الحقيقة هي خوفُها على أمن إسرائيل القريبة من العراق نسبياً، ولكن كما يقول المثل: (الحكي إلكْ واسمعي يا جارة..).

إن إسرائيل بلُوبيِّها المسيحيِّ ـ الصهيونيِّ، والصهيوني ـ الماسونيِّ في الولايات المتحدة، هي التي تقوم بعملية التحريض المتحرِّك المستمرِّ ليلاً ونهاراً على استعداء العراق التي هددت أكثرَ من مرة بتدميره وإزالته من الوجود.. ؟ ماذا فعلت أمريكا بإسرائيل عندما هَدَّدت العراقَ بهذا الشكل السافر.. ؟ ثم أليس هذا دليلاً مادياً ملموساً على تملُّك إسرائيلَ للأسلحة النووية، إضافة إلى أسلحة التدمير الشامل وغيرها.. !!؟.

بهذا التهديد الذي هو أوضح من الشمس في رابعة النهار، طبعاً أمريكا لم تُحرِّك ساكناً، وأظهرت أنَّ آذانها من طين ومن عجين، لا بل حتى إنَّ تهديدَها هو دفاعٌ عن النفس، دفاعٌ عن تفكير العراق عندما يُفكِّر ـ إذا كان قد فكّر ـ أنَّ إسرائيل هي مخزنُ الأسلحة النووية، وأسلحة التدمير الشامل في منطقة الشرق الأوسط. فهل هذا مسموعٌ يا سكان الشرق الأوسط، ويا أهلَ الجامعة العربية الأحرار.. ؟

2 ـ السيطرة على بترول العراق، هذا المخزن الهائل الذي يُمكن مُضاعفةُ إنتاجه عندما تُسيطر عليه الولاياتُ المتحدة الأمريكيةُ، حتى تُغرقَ به الأسواق، وترفعَ سيطرةَ منظمةَ (أوبك)

على فرض الأسعار التي تُريدها. فإذا أضفنا إلى هذا: أن الأبحاث الحديثةَ عن بترول العراق واحتياطه دلّت على أنَّ العراق يسبح على بحور عائمة من البترول، وأنَّ مقدر احتياطه منه، يُعتبرُ أكبرَ احتياطيٍّ لأية دولة في العالم. هذه المعلومة الحديثةُ أليست كافيةً أنْ تجعل الولايات المتحدةَ تُعيد تفكيرَها وتفكيرَ حلفائها بموضوع العقوبات، والمفتشين، والأخطار المُنتظَرة من العراق.. ؟ ذرائع، ذرائع، ذرائع لا أوَّلَ لها ولا آخرَ عند الولايات المتحدة، صاحبة الاستراتيجية الكونية ـ العالمية الجديدة.. ثم أليس هذا كافياً لكي تستمرَّ الولاياتُ المتحدةُ بإظهار العراق بأنه دولة عدوانيةٌ، ولا حدودَ لأطماعها في منطقة الخليج؛ لأنَّ خطر عدوانها هو أيضاً خطرٌ كبيرٌ جداً على الولايات المتحدة وأمْنها؛ لأنها لا تَبعُدُ عن العراق إلا بمسافة أكثرَ من عشرة آلاف كيلو متر، وهذا يُشكِّل خطراً كبيراً عليها من العراق.. ؟ حتى الصواريخُ البالستيةُ العراقية ذاتُ الرؤوس العادية ـ إن وُجدت ـ والتي يبلغ مَداها من: 600 ـ 800 كم فقط، فإنها تُشكِّل خطراً هائلاً على الولايات المتحدة الأمريكية، هل تعلمون لماذا.. ؟؛ لأن إسرائيل ـ صنيعةَ أمريكا المُدلَّلةَ ـ هي ولايةٌ من الولايات المتحدة الأمريكية المتقدمة في منطقة الشرق الأوسط، وعليه: فإنه يحقُّ لها ما لا يَحقُّ لغيرها.. ؟ تحت المظلة الأمريكية الظالمة.

3 ـ احتلال العراق: وهذا هو بيتُ القصيد. إن سياسة أمريكا الكونية، تريد فرضَها على جميع دول العالم ـ حتى على حلفائها في أوربة ـ.

الحجَّةُ التي تَستخدمُها أمريكا لتبرير احتلالها للعراق واهيةٌ؛ فهي مرةً: تَتذرَّع بمنع دخول المفتشين، ومرةً: بادِّعائها باحتفاظ العراق لأسلحة التدمير الشامل، متجنيةً على ادعاءات «صدام» وتأكيده على حقِّه بتجهيز قُدُراته من الأسلحة غير التقليدية، أي: الصواريخ بعيدة المدى.

حتى لجنة (اليونسكوم) كانت الإدارةُ الأمريكيةُ تُوجِّهُهم من خلف ستار، ليس ذلك فقط، بل كانت تُلزمُ رئيسَ اللجنة، وآخرينَ غيرَهُ، تَزويدَها بتقارير استخباراتية باستمرار؛ لكي تستطيع تَوليفَ حُجَجها وذَرائعها، بعد تحريفها وتزويرها بما يُدينُ موقفَ العراق من المفتشين، ولو كان ذلك زُوْراً بَوَاحاً. إنها لا تريد مُعارضةً لتعليماتها حتى من قبل لجان التفتيش، ومن حلفائها الثلاثين دولةً التي قاتلت معها، حتى نَفدَ صبرُ معظم هذه الدول من تصرفاتها، وتزوير الحقائق ظُلْماً وعدواناً. وعندما تفقد الذرائعَ تستنجدُ بقاموس الكذب

والتأويل، مثل: قولها: بأنَّ «صدام حسين» ظالمٌ، وجائرٌ، ومستبدٌّ ضدَّ شعبه.. ؟ يا سُبحان الله.. !! مَن الذي أعطى أمريكا حقَّ الوصاية على حكام وشعوب الأرض.. أليس في كلِّ دولة شعباً يستطيعُ النضالَ ضدَّ حُكَّامه إذا تعرَّض الشعبُ للظلم والاضطهاد.. ؟

ثمَّ ما علاقةُ الولايات المتحدة بالأنظمة الاثنينية أو الثلاثية في العراق وغير العراق، ألم تكن هذه الثلاثيةُ متعايشةً مع بعضها قبل غزو الكويت.. ؟ أم أن أمريكا تريد أن تُصرَّ على ما كان يفعلُهُ الاستعمارُ الإنجليزيُّ القديمُ من سياسة: (فرّق تسد). فهَلاَّ خرجت من حصارها للعراق؛ لترى كيف يعيشُ الشعبُ بحبٍّ ووئامٍ.

أما إذا كانت الحجَّةُ: وجودُ «صدام» ونظامه في السلطة، فليتحرَّك الشعبُ وينتفض إذا وجد ذلك ضرورياً، أما أمريكا فلا يَحقُّ لها أن تكونَ البديلَ للشعب العراقيِّ بعلاقاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع السلطة ونظامها.

أما وريث «صدَّام» في السلطة ـ كما تقولُ الولاياتُ المتحدةُ ـ؛ فإنه سيقوم بتقسيم العراق، وإذا لم يَفعلْها فإنه لن يستطيعَ المحافظةَ على العراق بشكله الطبيعيِّ؛ لأنَّه لا يكون حريصاً على وحدة أراضي العراق.. ما هذا الذي اخترعته عقولُ أمريكا.. ؟ وكيف أنها عرفت أنه سيقوم بتقسيم العراق، أو لا يستطيعُ المحافظةَ على وحدته.. !؟ أليس هذا كلُّه تمهيداً لاحتلال أمريكا للعراق، والسيطرة على بترولِه وموقعه الجغرافيِّ المتميِّز في قلب الشرق الأوسط.

أما بالنسبة للأخطار التي تُهدِّد العراقَ من جيرانه: إيران، وتركيا؛ فإنها غيرُ موجودة، ولا مَطمعَ لتركيا أو إيران في الأراضي العراقية؛ لأنه للعراق جذورٌ حضاريةٌ ـ ثقافية ـ سياسيَّة تَحترمُها جميعُ الدول المجاورة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: لقد عاش العراق مع جيرانه منذ استقلاله عن الدولة العثمانية عام 1918م، ولم نسمع من خطر يُهدِّد وجودَهُ من جيرانه.. إلاَّ إذا كان هذا الخطر قادماً من دولة تقودُ محورَ الشَّرِّ في العالم، وتريد أنْ تَفرضَ وُجودَها الاستعماريّ؛ من خلال الذرائع والكَذب على الناس: بأنها تريدُ ذلك لضمان الأمن والسلام في المنطقة، والحقيقة: أنَّها تريد فقطَ الأمنَ والسلامَ لإسرائيل، و لْتَمُتْ كلُّ شعوب المنطقة بعد ذلك.

4 ـ إزالة العوائق عن تحقيق المصالح الحيوية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة :

لقد اعتبرت الولاياتُ المتحدةُ «صدام حسين» بنظامه السياسيِّ المتفرِّد أنَّه يُشجِّع ويَدعمُ أيَّ عمل ضدَّ مصالح الولايات المتحدة ليس في العراق فحسب ، بل في منطقة الشرق الأوسط ، وأيَّة منطقة أخرى في العالَم يستطيعُ أن يؤثر على قراراتها ضدَّ مصالح أمريكا ، أو تؤثِّرَ على توازن المنطقة واستقرارها ، والأغرب من هذا أن أمريكا تتَّهمُ «صدام حسين» بالتصلُّب في مواقفه على ضوء العمليتين التي اعتبرتهما إرهابيتين ، ضدَّ قواعدها العسكرية في المملكة العربية السعودية ؛ لأن هذا الموقف قد يُساعد على فتح خطوط في الأفق تصبح ـ هذه العملياتُ بعدها ـ مُؤيِّدةً من الأوساط الشعبية السعودية ؛ لأنَّه يوجد لأمريكا أربعةُ قواعدَ أمريكية تغطي مساحةَ أراضي المملكة ، مُبتدئةً من (خميس مشيط) على حدود اليمن ، إلى (تبوك) في شمال المملكة ، إلى المنطقة الشرقية و(الظهران) ، إلى منطقة (الخرج) في جنوب شرقي الرياض . .

أما محبة أمريكا لتركيا فهي عجيبةٌ غريبةٌ . . إنها بسبب خسارة تركيا لمبلغ : 30 بليون دولار بسبب الحصار المفروض على العراق ، تُحمِّلُ العراقَ مسؤوليةَ هذه الخسائر لحليفتها الحنون تركيا ، وكأن العراقَ هو الذي فرض الحصارَ على نفسه ، وكأنه هو أيضاً الذي قطع البترولَ عن تركيا ؛ التي وقعت على أثره فريسةً لـ (حزب الرفاه الإسلامي) : الذي وصل بسبب ذلك إلى السلطة . . !! ونادى بأعلى صوته : بأنَّه ضدَّ الحصار الاقتصاديِّ للعراق ، وأعلن سياسةً اقتصاديةً متوازنةً ، جَعلَ أُسُسَها القويةَ مُنطلقةً من علاقات حُسن الجوار مع إيران والعراق ، وهذا ما هزَّ عرشَ أمريكا على تركيا ، وجعلها ـ بقرارات عسكرية ـ تُخرجُ (حزبَ الرَّفاه) من السلطة ، أو بما يُشبهُ الانقلابَ العسكريَّ ؛ لأنها لا تريدُ صوتاً مُعارضاً ، بل صَمْتاً وسكوتاً . وصَدقَ رسول الله (: ((إذَا لم تستحِ فاصنع ما شئت . . )) .

## خطة عمل بشأن العراق:

هذه الخطة وضعتها لجنةٌ أمريكيةٌ ، كسياسة وخطة استراتيجية لتغيير نظام الحكم في العراق ، ولكن هناك عُضوان من مجموعة الدراسة هذه ، يُعارضان السياسةَ المنُوَّهَ عنها سابقاً ، مُعتقدَين أنَّ تهديد العراق لمصالح أمريكا الاستراتيجية ، لا يُشكِّلُ الآن خطراً إقليمياً أو عالمياً هما : «آثرتون» ، و«سودارت» .

عملياتياً: نحن نرى أنَّ الخطةَ اللازمةَ للإطاحة بنظام «صدام حسين» يجب أن تتضمَّن المقاييسَ التاليةَ:

1 ـ يجب على الولايات المتحدة أن تَنْحُوَ سياسةً واضحةً إزاءَ العراق، تتلخَّص في: السعي إلى عدم تخفيض العقوبات الصادرة عن الأمم المتحدة على العراق، أو إلغاء الحصار أو تقليصه، ما دام «صدام حسين» على رأس السلطة في العراق.

هذه السِّياسة قادرةٌ على خَلْق أرضية مُوائمة لإزالة سوء الفهم الموجود عند زعماء عديدين جداً، وشعوب عديدة أيضاً. إن كان في العالَم العربيِّ، أو في أوربا، سوءُ الفهم هذا؛ الذي مَفادُهُ: أن الولايات المتحدةَ حريصةٌ على إبقاء «صدام حسين» على رأس السلطة في العراق، هذا الوهم في الفهم هو من الأولويات التي يستخدمها «صدام حسين» من أجل العودة إلى جامعة الدول العربية كعضو مثلَ سواهُ من أعضائها، وهو أيضاً العاملُ الشديدُ الفاعلية في جَعْل العرب والأتراك والأوربيين (حلفاء الولايات المتحدة) أن يستمعوا بفُتور إلى المطالب التي تصدرُ عن الولايات المتحدة بخصوص العراق، أو حينما تحاول توضيحَ انتهاكات العراق العسكريَّة؛ وذلك باستمراره في بناء قدرته من الأسلحة الـلاَّ تقليدية، الأمرُ الذي كان عاملاً مساعداً في حثِّ رجال الأعمال العرب والأتراك والأوربيين في فتح الطريق إلى أبواب «صدَّام».

نعتقد أن هذا التغيير المُقترَحَ في السياسة المُعلَنة إزاءَ العراق سوف يُحسِّنُ من طبيعة السياسة العامة التي تكون أكثرَ تحديداً في لزوم تقيد العراق التامِّ والكليِّ بجميع قرارات الأمم المتحدة، والتي ستجعل من أفكار ومفاهيم «صدام حسين» أفكاراً ومفاهيمَ مُتعذِّرةً، كما يقول الدكتور «مارتن إندك» المستشارُ الأولُ للرَّئيس «كلينتون» بشؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي؛ الذي صرَّح في أيار(مايو) 1993م، قائلاً:

((إن نظام العراق الحاليَّ هو نظام مجرمٌ بحقِّ المجتمع الدوليِّ، وفي حُكمنا: هو غيرُ قابل للتعديل. فإذا تَمَّ تطبيق ذلك، فإنه سيجعلُ من سياسة أمريكا وُضُوحاً كوضوح الكريستال الشَّفَّاف أمام الآخرين)).

2 ـ إن حلفاء الولايات المتحدة أصبحوا أكثر تَقَبُلاً للاستماع إلى الدعاية العراقية (فيما يَخُصُّ نشاطات لجنة نزع الأسلحة العراقية غير التقليدية؛ الذين بدؤوا يُشكِّكون بأهمية هذا الاستحقاق، ويَكمُنُ سببُ ذلك في أنهم لا يؤمنون بفاعلية الاستجابات المحدودة التي تدافع عنها الولايات المتحدة، فالبعضُ في أوربا، وفي الشرق الأوسط، أصبح على قناعة أنَّه من العقل بمكان إعادةُ بناء علاقاته المنقطعة مع نظام «صدّام»، بالإضافة إلى أنَّ هنالك العديدُ من الدول كانت قد خسرت كميات كبيرةً مَن الأموال جرّاء الحصار والمقاطعة المفروضة على العراق؛ حيثُ فقدت أمريكا الدَّعمَ لسياستها إزاءَ العراق، كذلك الدَعمَ الذي استطاعت أنَ تَستحوذَ عليه قُبيلَ وإبَّانَ ضربتيها العسكريتين ضدَّ العراق في تشرين الأول (أكتوبر) 1991م، وآب (أغسطس) 1996م، رداً على استفزازات النظام العراقيِّ ومضايقته للجنة التفتيش عن الأسلحة العراقية وتدميرها (UNSCOM). . !!؟

3 ـ يجب على الولايات المتحدة أن تتخذ جميعَ التدابير للتأكد من متابعة نشر القوات الأمريكية البرية والبحرية في الخليج، وذلك للحيلولة دون حصول اعتداءات إيرانية أو عراقية، والرد على كل عدوان أو انتهاك عسكري عراقي أو إيراني بضربات عسكرية مؤلمة. وهذا يتضمن المحافظةَ على استمرار حرية العمليات الجوية الأمريكية في المنطقتين الجنوبية والشمالية من العراق، وفي الوقت ذاته، يجدر بالولايات المتحدة أن تتخذ جميع الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون تعرض القوات الأمريكية المتمركزة في الخليج لأي اعتداءات، ومنها: أنْ يَتمَّ التقليلُ ـ ما أمكن ـ من احتكاك أفراد هذه القوات مع السكان المحليين.

4 ـ يجب على الولايات المتحدة أنْ تُصدرَ إعلاناً رئاسياً رسمياً، تُشيرُ فيه بوضوح تامٍّ إلى عدد من الحوافز المفيدة للعراق، في حال استبدال نظام «صدام حسين»، وعلى التوازي مع ذلكَ: التأكيدُ على أنَّه لنَ يجريَ المساسُ بقراراتَ الأمم المتحدة، المتعلقة بالعقوبات المفروضة على العراق، طالما «صدَام حسين» والمقرَّبين منه على رأس السلَطة. وهذهَ الدعوات يَجب أن تتضمَّن الآتي:

آ ـ إصدارَ عفو عامٍّ، والتأكيدَ على أن الولايات المتحدةَ لن توافقَ على بقاء رموز النظام الصدَّاميِّ في مَناصبهم السُّلطوية (في حالة الإطاحة بـ«صدام حسين»)، وتعتبر هذا الأمرَ غيرَ قابل للتفاوض.

ب ـ إعادةَ النظر بقرارات الأمم المتحدة (من جهة تحسينها)، والمتعلقة بتصدير النفط العراقيِّ، واستيراد جميع المواد، ما عدا المواد التي لها علاقةٌ بالأسلحة المحذورة، الكيميائية منها، والبيولوجية والنووية.

جـ ـ تمديدَ فترة وَقْف إطلاق النار (الهدنة)؛ للحدِّ من التدهور، وحدَّة الفقر، وتخفيضَ الاقتطاعات من الأموال المستحصَلَة من التصدير، فيما عدا تلك التي تُصرف على عمليات لجنة التفتيش على الأسلحة في العراق وتدميرها (UNSCOM).

د ـ المحافظةَ على تَعهُّدات الولايات المتحدة بصَوْن وحدة وسلامة الأراضي العراقية. وبهذا الخصوص يَجدُرُ بالولايات المتحدةَ أنْ تؤكِّدَ على موقفها فيما يتعلَّق باعترافها بشرعية حقوق الأكراد: الثقافية، والسياسية، ضمنَ الوطن العراقيِّ الواحد. وفي الوقت ذاته، يَجدُرُ بالولايات المتحدة: أنْ تكون واضحةً جداً في نظرتها إلى برنامج الأممِ المتحدة للتفتيش والرَّقابة على أسلحة التدميرِ الشاملِ، والصواريخِ البعيدة المدى في العراق.

هـ ـ إفهامَ العراقيِّين والعالَم بوضوحٍ تامٍّ، ما هو النظامُ الذي تُرحِّبُ به الولاياتُ المتحدةُ خلفاً لنظام صدَّام حسين..؟

على سبيل المثال: نظامٌ يحترم تَعهُّدات العراق بالحفاظ على استقرار المنطقة، ذلك الذي يعترف بحدوده الدولية مع الدول المجاورة، وضرورة المحافظة على أمن وسلامة واستقلال هذه الدول، وذلك الذي يتبرأ وينكرُ استخدامَ، أو التهديدَ باستخدام أسلحة التدمير الشامل، ويوافق على التمديد اللامحدود لعمل لجنة التفتيش على الأسلحة في العراق وتدميرها، حتى التأكد من أن العراق تَحاشَى استخدامَ الإرهاب بأيِّ شكلٍ كان، ويتعهَّد بعدم القيام بأيِّ عمل من أعمال إرهاب الدولة، أو التصفية في الداخل، وأن يحترمَ الحقوق المشروعةَ للأقليَّات: الأكراد، والشيعة، والتركمان، وأنْ يسمحَ لهم بالتعبير عن مواقفهم: سياسياً، وثقافياً، وبأيِّ شكلٍ من أشكال الحكم الذاتيِّ، ضمنَ بُنية الدولة العراقيَّة الواحدة، وأن يُعلنَ عن تَحمُّله المسؤوليةَ المباشرةَ عن أفعال الإبادة الجماعية، والعدوان والإرهابَ التي أُعدَّت ونُفِّذت في ظلِّ حكم «صدام»، هذا النظامُ فقط يَستحقُّ اعترافَ الولاياتِ المتحدة.

5 ـ يجب على الولايات المتحدة أن تتبنّى وتتخذَ خطوات هجوميةً أكثرَ بما يَخُصُّ الردَّ على انتهاكات العراق العسكرية، والاستعجالَ بالإطاحة بنظام «صدام حسين»، وتقليصَ المساحات من الأراضي العراقية التي يُسمحُ فيها لطيران النظام بالتحليق أو لآلياته العسكرية، وتكون هذه المناطق خاضعةً لمراقبي الأمم المتحدة لنزع السلاح، وإظهارَ «صدام» بمظهر: الجبان الرعديد في أحزانه أكثرَ من أثناء ثورات غضبه. هكذا يجب أن يكون الموقف من «صدام»، خاصة عندما حاول عام 1993م اغتيالَ الرئيس «بوش»، فقُصفَتْ ليلاً مراكزُ المخابرات والثُّكْنات العسكرية قصفاً مُركّزاً. ويجب ضربُ مراكز قيادته الرئيسيةَ، والثُّكْنات، والحرسِ الجمهوريِّ، والخاصِّ، ومراكزِ الاستخبارات عند كلِّ تحدٍّ لأمريكا.

6 ـ يجب على الولايات أن تبارك قائداً عراقياً معارضاً مستقلا، وفي الوقت ذاته أن تضربَ أيَّ خليفة مزعوم لـ «صدام» قد يأتي من قبله، وفي الوقت الحاضر فيما يَخُصُّ الاندفاعَ نحو شمال العراق؛ فإنَّ واشنطن تحتاج إلى مهارة في إيجاد مصادرَ لجهود سرية، لتهيئة ضربة خاطفة ضدَّ «صدام»، من خلال التعاون مع المعارضة العراقية، وهذا جزءٌ كبيرٌ منه يصبح نتيجةً للحاجةِ إلى الثقة والإيمان عند المعارضة في الصدام المميت والحاسم مع النظام، وبحاجتها أيضاً إلى دعم العرب السنَّة ـ وفي المقابل الأكراد ـ؛ من أجل إيقاف عمليات اضطهاد «صدام» للشعب العراقيِّ، استناداً إلى تطبيق القرار: 688 الصادرِ عن مجلس الأمن الدولِيِّ.

7 ـ يجب على الولايات المتحدة تحذيرَ إيران من أيِّ تدخُّل في العراق، حتى باستخدام مجموعات عراقية، مثل: الإتحاد الوطنيِّ الكردستانيِّ، والحزبِ الديمقراطيِّ الكردستانيِّ، أو قوّات المجلس الشيعيِّ العراقيِّ الأعلى؛ حفاظاً على وحدة وسلامة الأراضي العراقية ضدَّ أيِّ تهديد خارجيٍّ يهدِّدها بالقوة، وسوف يترافقُ هذا مع تقديم أعلى مستويات الدَّعم لدول الخليج الجنوبية؛ لتكون على أتمِّ استعداد للتصدِّي لأيِّ عدوان عسكريٍّ إيرانيٍّ، للحيلولة دون تأثير المناوشات السياسية الصادرة عن إيران، مع تقدير أمريكا للإمارات والبحرين اللَّتين قدَّمتا دَوراً فاعلاً للحشد ضد العراق.

8 ـ يجدر بالولايات المتحدة أن تأخذ بعين الاعتبار الدُّولَ الأوربيةَ، والدُّولَ الحليفةَ لها في الشرق الأوسط، والاقتناعَ بأنَّ هنالك حاجةً لتقارب وجهات النظر فيما يخصُّ نظامَ «صدام»؛ تحاشياً لوقوع حمَّامات دمٍ أخرى.

وهنا تعترف مجموعة الدراسة بجاذبية هذه السياسات المُقترَحة، المُصمَّمة للإسراع بالإطاحة بنظام «صدام حسين»: التي لا يَجدرُ أن نُظهرَ تفاصيلَها على العَلَن؛ لأن الجمهور الأمريكيَّ يقف ضدَّ أيِّ شكل من أشكال الاعتراف، أو التعايش مع نظام «صدام حسين» حاضراً أم مستقبلاً، ويرفضَ أيّةَ محاولات لتعديلَ قرارات مجلس الأمن الصادرة بحق العراق، ما دام هذا النظامُ على سُدَّة السُّلطة في بغداد، ومن المحتمل أن يستخدم «صدام» الصواريخَ البعيدةَ المدى، وأسلحةَ الدَّمار الشامل، وهذا إن حدث سوف يرتدُّ إلى مصلحته؛ فترفع من مكانته بين الجماهير العربية كعدو جماهيريٍّ من الدرجة الأولى لأمريكا. إلاَّ أننا نعتقدُ أنه سيكون أشدَّ حماقةً حتى السماح للوقت أن يعمل ضدَّنا، في حين تكون صورتنا الرادعةُ في الخليج تُعاني من تهديد الإرهاب، وتَنامي الاشمئزاز الشعبيِّ في البلدان التي تستضيف القوَّات الأمريكيةَ، بينما يبدأ التحالُفُ العالميُّ ضدَّ العراق بالتآكل تدريجياً، في الوقت الذي يَتصالَحُ الأوربيون والعرب بشكل مضطرد مع «صدام». في مثل هكذا بيئة نحن على قناعة بأنَّ فوائدَ حَقْن شيء من الوضوح في سياسة الولايات المتحدة، مدعوماً باستعداد أعلى للردِّ بقوة على الاستفزازات العراقية، واعتقاداً منّا بحتمية قرب المواجهة المستقبلية مع «صدام»، فمن الأفضل جداً للولايات المتحدة أن تَوضِّحَ أهدافَها، وتأخذَ زمامَ المبادرة الآن، بينما لا تزال أرصدتُها الإقليميةُ قويةً، بدلاً من السماح لـ«صدام» بتحديد وتيرة واتجاهات الأحداث[1].

## مناقشة وتعليق على خطة عمل بشأن العراق:

هذه الخطة الاستراتيجيةُ وضعتها لجنةٌ من كبار المفكِّرين والسياسيِّين في الولايات المتحدة الأمريكية ـ مع معارضة اثنين من أعضاء اللجنة ـ من أجل تغيير نظام الحكم في العراق. وقد استندوا في دراستهم على أُسُس ومبادئَ تُمثِّلُ استراتيجيةَ الولايات المتحدة المستقبلية، لقلب نظام الحكم في العراق وتغييره، بل اقتلاع جُذوره من العراق، بحيث لا يَعُدَّ له وجودٌ في السلطة البديلة التي تُعدُّها الولاياتُ المتحدةُ، تماماً كما فعلت مع أفغانستان ـ قلع جذور طالبان، وتدمير قاعدة «ابن لادن» ـ.

---

(1) انظر: بناء الأمن والسلام/ الأجندة الأمريكية، ترجمة: يوسف جهماني: ص 87 ـ 97.

إن أمريكا تُعِدُّ خُطَّتَها بدراسة مُتأنِّية، محاولةً تَجنُّبَ الأخطاء التي حصلت معها في أفغانستان. ولكن يا ترى هل العراق مثلُ باكستان.. ؟ العراق لديه بُنيةٌ تحتيةٌ قويةٌ، ولديه جيشٌ مُدرَّبٌ قويٌّ، ولديه قواتٌ جويةٌ، وقوّاتُ دفاعٍ جويٍّ جيدةٌ، ولديه خبرةٌ، وممارسةٌ في القتال وإعداد الخُطط، على الأقل من خلال حَربَين خاضَهُما في الخليج. هذا إضافةً إلى ما يُشبهُ الإجماعَ الدوليَّ على منع ضربه من قِبَل الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا، وعلى الرغم من الحشد الهائل الذي تُحرِّكُه أمريكا من الناحية السياسية مع بريطانيا من أجل إقناع الدول الحليفة، والدول الصديقة، ودول الجامعة العربية، فإنها لم تَستطعْ أن تَخلُقَ تأثيراً لرؤيتها - إلاَّ إذا كان هناك أسراراً وراءَ الكواليس - أما المعطياتُ المنظورةُ على جميع المستويات، فإنها تَدلُّ على عدم نجاح خُطَّتها، وخاصةً أنها بَنَتْ مُعظمَ خطتها على معارضة العراق للمفتشين، ومَنعهم من مزاولة مَهمَّتهم؛ استناداً إلى مقرَّرات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدوليِّ.

هذه الخطة التي عَملت العراقُ على تدميرها، وإزالتها جَذْرياً من العقول، بخطة بديلة طَرَحَتها على جميع مَصارعها أمام لجنة التفتيش دون قيد أو شرط، حتى القصور الرئاسية والمعسكرات الخاصة، تستطيع دخولها وتفتيشها كيفما تريد وأنَّى تريد، حتى ولو في رابعة النهار. بهذه الخطة المعاكسة لخطة أمريكا، أسقطت الادعاءات الأمريكيةَ من جهة، وأقامت الحُجّةَ عليها أمام الرأي العامِّ العالميِّ. من أجل ذلك تَخلَّت الدولُ الحليفةُ والصديقةُ عن تأييد أمريكا؛ بسبب مُجانَفَتها للحقِّ وبُعدِها عنه، حتى تنتهيَ اللجنةُ من عملها، أو حتى تبتدئه على الأقل.

وأما إصرار الولايات المتحدة على عدم خفض العقوبات، وإبقاء الحصار الاقتصاديِّ - فهو ظلمٌ واضح فاضحٌ؛ إذ ما هو ذَنبُ أطفال العراق حتى يموتون جوعاً ومرضاً، وما ذنب الشعب العراقيِّ الأعزل أنْ يُعانيَ المصاعبَ الحياتيةَ، والاقتصاديةَ، والسياسيةَ، والنفسيةَ.. ؟ فإذا كانت أمريكا لم تستطع تغييرَ هذا النظام طوالَ اثني عشر عاماً من القتال والحصار، واستخدام كلِّ الأساليب التكنولوجية المتطورة، ومحاولات اغتيال متكررة للرئيس «صدام»، ولم تستطع فعلَ ما يَستحقُّ الذكرَ، أيُطلَبُ من الشعب العراقيِّ الأعزلِ أن يقومَ بهذه المهمة.. ؟.

ثم ما أدراك أن هذا الشعب يريد التغييرَ، وقتلَ الرئيس، وتغييرَ النظام.. ؟ أليس من المستغرب أنَّ هذا الشعب يقف وراءَ هذه السلطة نكايةً بالمواقف الأمريكية الجنائية عليه وحصاره، وقصفه المستمرِّ.. ؟. ثمَّ مَن الذي قَسّم أراضي العراق جوياً وبَرياً، وخَطوطَ عرضٍ شَمالاً للأكراد، وجنوباً لحماية الشيعة.. ؟ أليست هي أمريكا.. ؟ فهلاَّ أخذت موافقةً هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن على ذلك.. ؟ أليست هي سياسة القوة، والظلم، والسيطرة الظالمة.. ؟ لماذا لا تلجأ أمريكا إلى الحلول السلميَّة والديمقراطية.. وهي التي تَدَّعي أنها تقود الديمقراطيةَ العالميةَ.. ولكنها للأسف تقودها على طريقتها الخاصَّة، طريقة التنكيل، والتعذيب والتجويع؛ من أجل الحصول على الطاعة كما ترغب وتُريدُ.. !!؟، وهل قيادتها الديمقراطيةُ تعطيها الحقَّ بالسماحِ لـ«شارون» بتدمير البُنى التحتية للضفة والقطاع، وتدمير البيوت والأحياء والمُخيَّمات، وقَصفها بطائرات (الأباتشي) المَروحية الهجومية، وطائراتِ الـ: (16F) المتطورة، واستخدامِ الدَّبابات والمُدرَّعات، والمدفعيةَ أمام شعبَ أعزلَ؛ يُدافع عن أرضه، وعن وجوده، ويقاومُ الاحتلالَ الذي يَقضُمُ كلَّ يوم جزءاً من أرضه. وإذا كان «صدام» مُجرمَ حَرب ـ كما يقول «د. مارتن إندك» مستشارُ الرئيس «كلينتون» ـ فلماذا لم يعمل على نزع صفة الإجرام عنه، إما بالمحاورة والإقناع، وإما بالقوة والحرب، وفي الحالتين لم يحرك لا «كلينتون» ولا «إندك» ساكناً؛ لافتقارهما إلى الدليلِ الماديِّ الملموسِ الذي يُبرِّر لهما فعلَهُما.

أما القول بأن نظام العراق نظامٌ مجرمٌ بحقِّ المجتمع الدوليِّ، فإنه قولٌ يحتاج إلى الدليل والبيِّنة؛ لأننا لم نجد المجتمعَ الدوليَّ يشكو منه كما تقول الولاياتُ المتحدةُ.

نعم، قد أخطأ باحتلاله أرضَ الكويت، وأوضحنا أسبابَ ذلك، وأدَنَّاه، ولكنَّ الكرة الأرضيةَ مملوءةٌ بالحروب، ودائماً هناك طرفٌ مخطئ، وآخرُ غيرُ مخطئ، أو الطرفان مخطئان نسبياً، ولكنْ بعد الاعتراف بالخطأ، تعود النفوسُ لحالها.

والدليلُ على ذلك: أنَّ ألمانيا التي خاضت حربَين عالَميَّتين، وقد خسرَتْهُما معاً. ولكنْ ما إنْ تَمرَّ عدةُ سنوات حتى يَحلَّ الصلحُ والتفاهُمُ؛ فها هي ألمانيا بعد أقلَّ من عشر سنوات على حرب عالميةٍ قادتها، عادت لحريتها، وتصالحت مع المجتمع الدوليِّ، وعادت إلى هيئة الأمم

المتحدة، وهي اليومَ من أفضل دول العالم ديمقراطيةً، وأكثرها تطوراً، وأفضلها معاشاً، وأحسنها سلوكاً. فهلاَّ غفرت أمريكا ـ رغم ظُلمها ـ للعراق، كما غفرت لألمانيا واليابان وإيطاليا، وأصبحوا من أفضل دول العالم وشعوبها سُلوكاً وديمقراطيةً وعدالةً.. !!؟.

أما ما تقوله أمريكا عن استفزازات العراق للمفتشين، وللطائرات الأمريكية التي تُحلِّق فوق العراق في الجنوب والشمال، هذا العمل ليس استفزازاً، بل دفاعاً مشروعاً عن سيادة الدولة على أراضيها؛ لأنَّ تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام: جنوبي، ووسط، وشمالي، لم يأت عن طريق هيئة الأمم المتّحدة أو مجلس الأمن، بل هو خروجٌ كليٌّ عن ذلك؛ لأن أمريكا ـ بدعم بريطانيا ـ هي التي فرضت هذا الواقعَ ظُلماً وجَوْراً.. فعندما تُنتهَكُ سماءُ العراق بطائرات أمريكا وبريطانيا، يكونُ الحقُّ كلُّ الحقِّ للعراق أن يُدافع عن سمائه، وعن كرامته، وعن وجوده، فهَلاَّ أدركت ديمقراطيةُ «بوش» و«بلير» ذلك.. ؟، أم أنَّ سياسة الحقِّ للقوَّة ـ سياسةُ شريعة الغاب ـ هي ديمقراطيةُ أمريكا وبريطانيا.. !!؟.

وعندما تتحدث أمريكا عن أمْنِ الخليج، خوفاً من اعتداءات إيرانية، فإنَّ هذا الكلام مردود على أمريكا؛ لسببين على الأقل:

1 ـ أنَّ أمريكا كانت هي المُشجِّعةَ الأولى لحرب إيران والعراق، وهي التي غَذَّت هذه الحرب، غَذَّتها بالنسبة للعراق حتى تُضعفَ قُدُراته العسكريةَ ـ التي كانت تَجهلُها في بادئ الأمر ـ وحتى لا تُشكِّلَ قُدُراتُ العراق العسكريةُ خطراً على إسرائيل ـ الولاية الأمريكية المُدلَّلة ـ. ولذلك ناصرت العراقَ؛ ليس محبةً، ولكن لتأجيج نار الحرب ضدَّ إيران.

2 ـ بالنسبة لإيران، وقفت ضدَّها أمريكا لسببين أيضاً:

السبب الأول: الخوفُ من الاستراتيجية الإيرانية الإسلامية:

لأن الإسلام هو البُعبُع الذي تَخافُهُ أمريكا مستقبلاً، وقد صرَّحت عن ذلك أكثرَ من مرّة، كان آخرَها بكلِّ أسف تصريحُ «بوش الابن» عن شَنِّ حرب صليبية ضدَّ الإسلام، ليس بسبب ضربة 11 أيلول (سبتمبر) فقط ـ؛ لأنَّ هذه الضربة جاءت عارَضةً بالنسبة لأمريكا ـ؛ ولكنها اعتبرتها الذريعةَ التي بها تَشُنُّ عُدوانَها على الإسلام: الذي اعتبرته الخطرَ الأكبرَ عليها، وعلى النظام الرأسماليِّ، بعد أن أطاحت بالشيوعيةِ عن طريق تدمير الإتحاد السوفييتي: الذي كان يُنازعُها

السيادةَ العالميةَ، ولا تريد للإسلام أن يكون بديلاً له؛ لأنَّ سياستها تقوم على عدم وجود معارضة لها، بل على الجميع أن يَصمتُوا ويَقبَلُوا ما تقولُهُ هي. ليس الإسلام فقط، بل حلفاءها الكبارَ في: (حلْف النَّاتو) ـ (حلف الأطلسي).

والسبب الثّاني: بالنِّسبة لأمن الخليج، وادِّعاءُ أمريكا بأنها حريصةٌ عليه، وأن إيران دولةٌ معتديةٌ ومحتلَّةٌ لثلاث جزر تابعة لدولة الإمارات احتلالاً غير شرعي..:

هذا الكلام الجميلُ عن الجزر والأمن، أين كان من أمريكا، وقد مضى على احتلال إيران لجزيرَتَي (طُنُب الكبرى والصغرى) أكثرُ من ثلاثين عاماً..!!؟ أما جزيرة (أبو موسى) المسكينةُ، فقد احتلَّتها إيرانُ في منتصف التسعينات، والأساطيلُ الأمريكيةُ تَسرحُ وتَمرحُ في الخليج، فلماذا لم تَمنع هذا الاحتلالَ طالما أنَّه غيرُ شرعي..!!؟، وإذا افترضنا أنَّها لم تُرد التدخُّلَ.. فلماذا لم تَعترض على هذا الاحتلال من منطلق الموقف الحق، أو من منطَلَق الشرعية الدولية، والديمقراطية الأمريكية..؟

وتبقى نقطة رئيسية في الموضوع في خطة أمريكا الاستراتيجية: أن «صدام» قد يستخدم الصواريخَ البلاستيةَ بعيدةَ المدى؛ عند تنفيذ خطة الهجوم والاحتلال وتغيير النظام. المثلُ العاميُّ عندنا يقول: (إن فاقد الشيء لا يعطيه).. فكيف يَضربُ «صدام» الصواريخَ وهو لا يَملكُها؛ لأن لجان التفتيش قد دَمَّرتها طولَ ثمان سنوات من البحث والتدقيق..؟ وحتى لو افترَضنا ـ جدلاً ـ بقاءَ بعضها موجوداً ـ وهو أمر مستبعدٌ جداً ـ فإن لجان التفتيش العائدةَ من جديد سوف تُزوِّدُها الولاياتُ المتحدةُ بأحدث ما توصَّلت إليه من تكنولوجيا، حتى لا تُبقي أثراً لأسلحة التدمير الشامل في العراق، وكان هذا هو قبولَ العراق للِّجَان الجديدة، ودخولها الأماكنَ التي كانت ممنوعةً، مثل: القصور الرئاسية، والمعسكرات الخاصة، ومعسكرات الحرس الجمهوريِّ العامَّة والخاصَّة، إضافةً إلى فتح شامل وكامل أمام هذه اللِّجان، فهل بقي حجةٌ أو دليلٌ لوجود هذه الصواريخ أو لأسلحة التدمير الشامل..؟

أما الخوف من الاشمئزاز الشعبيِّ في البُلدان التي تستضيف القوَّات الأمريكيةَ عندما تتحرَّك حسب خطّتها لتغيير النّظام العراقيِّ، فإنَّ هذا الشمئزاز الشّعبيَّ موجودٌ، بل ليس اشمئزازاً فحسب، بل هو كُرهٌ حكام وقيادات وجيوش العرب للولايات المتحدة في الأراضي العربية والإسلامية، وذلك من قبل غزو الكويت، ومن قبل ظهور مشكلة «صدام» على الساحة العربية.

إنَّ سبب هذه الكراهية يعود:

أولاً: إلى تواجد القوات الأمريكية في بلادنا، حتى ولو كان بطلب ورضى من القيادات السياسية.

وثانياً، وهو الأهمُّ: هو موقف أمريكا المتحيِّزُ جداً إلى إسرائيل؛ بالنسبة للقضية الفلسطينية، وقتل بل ذبح الفلسطينيين، وتدمير بيوتهم بأسلحة أمريكية متطورة. فهل علمت أمريكا الآن لماذا يكرهُ العربُ الأمريكيين.. !!؟

## تشديد الضغط على إيران:

لقد صنَّفت أمريكا إيرانَ مع العراق وكوريا، بأنها محورُ الشرّ الأول، وأشارت بعين كليلة عن مجموعة من الدول الأخرى إلى أنَّها تشكِّلُ محوراً آخرَ للشر، هذه الدول هي: سوريا، ليبيا، السودان، وكما يرى القارئ العزيزُ أنَّ جميع الدول إسلاميةٌ، باستثناء كوريا الشمالية، حتى الدُّول الصديقةُ للولايات المتحدة الأمريكية، بدأت في الفترة الأخيرة تُشيحُ وَجهَها عنها، وتَنتقدُ مواقفَها، لأنَّها شقَّت عصا الطاعة العمياء، مثل: المملكة العربية السعودية: التي تحتوي أراضيها على الأماكن المقدَّسة عند المسلمين؛ فإنها أخذت تهديدَ «بوش» مأخذَ الجدّ، عندما أعلن عن حرب صليبية مُقدَّسة ضدَّ الإسلام والمسلمين. ولو أن «بوش» اكتفى بالمسلمين لهان الأمرُ، ولكنه شَمَلَ بقوله الإسلامَ كعقيدة، وهذا ما لا يَقبلُهُ مسلمٌ على وجه الأرض، ولذلك أخذت الدول الصديقةُ الإسلاميةُ تُظهرُ النُّصحَ لأمريكا، وتُشعرُها بأنَّ تهديداتها بهذا الشكل تُقوِّضُ مشاعرَ المسلمين على الحكام، وبالتالي أرادت تَجنُّبَ الصِّدام مع الشعوب من جهة، ومع الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، حتى لا تَخسرَها كدولة كُبرى صديقة وحليفة.

ثم يؤكد «بوش» وقيادتُهُ، بأنَّهم يعتقدون بأن الجمهورية الإيرانيةَ الإسلاميةَ تُبدي تهديداً كبيراً لمصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط.

وللحيلولة دون هذا التهديد يجب أن تَصُبَّ جهودُ الولايات المتحدة في كبح سياسات إيران العدوانية، التي أظهرتها في الأعوام المنصرمة، وهذه الجهودُ يجب أن تتضمن مقاطعةً تجاريةً عامةً لإيران؛ لإنهاء الوضع الشاذِّ، الذي كانت الولاياتُ المتحدةُ فيه أحدَ أكبرِ شركاء

إيران في التجارة، وبالإضافة إلى جهودنا الكبحيَّة هذه، والإجماع الحاصل في كلاَ مَجلسَي الكونغرس في مقاطعة إيران والعراق في فرض عقوبات على كلِّ شركة من دولة ثالثة تزيد حجم توظيفاتها عن: أربعين مليون دولار في إيران أو ليبيا في صناعتها النفطية.

إنَّ هذه الجهود وغيرَها التي تَصبُّها الولايات المتحدةُ، كان قد تَمَّ التوصُّلُ إليها انطلاقاً من الخبرة الجيدة التي استَقَتْها من التعامل مع هذه الجمهورية الإسلامية، عندما لم تُحرز الجهودُ المبذولةُ في تحديث سياسات القيادة الإيرانية أيَّ نجاح يُذكر، مما أدَّى إلى تَسبُّب كوارث في نتائج مصالح الولايات المتحدة.

وفيما يخصُّ سياسةَ الكبح الفعَّال للسنوات الحاضرة، تؤكد الأحداثُ بأنها ساعدت في عُدُول بعض الحلفاء، كـ: اليابان، عن تقديم قروض امتيازية، الأمرُ الذي كان تأثيره قاسياً على قرارات عدد من الشركات؛ حيث اضطرَّت الأخيرةُ إلَى توقيف، أو تأجيل توظيفاتها في إيران. وكان لهذا تأثيرُهُ في إضعاف اقتصاد النظام الإيرانيِّ، إلى حدٍّ ما، الأمرُ الذي حدَّ من مصادر تحديث السلاح في طهران، وكان له أيضاً بعضُ التأثيرات السلبية الأخرى. وعلى أية حال، وخلال العام المنصرم، كان للنجاحات التي أحرزتها استراتيجيةُ الكبح الأمريكيةُ عاملاً مساعداً في تخفيض المصادر الإيرانية، الأمرُ الذي انعكس في الارتفاع الفُجائيِّ على أسعار النفط.. وفي ذات الوقت كان للجهود التي بذلتها الولاياتُ المتحدة في تقييد التوظيفات في إيران، إثارةٌ تحريضيةٌ سلبيةٌ بين عديد من حلفاء الولايات المتحدة؛ الذين كانوا ـ عملياً ـ يَعتبرون أنَّ مقاطعةَ كلٍّ من إيران وليبيا هو عملٌ من أعمال الانتهاك الخارجيِّ على معايير التجارة الدولية، لكنْ إلى الآن لم يفتح أحدٌ ملفاً ضدَّ الولايات المتحدة مع هيئة التجارة الدولية. ومن جهة المنفعة، فإن جميع حلفاء الولايات المتحدة يُشاركونَها بوجهة نظرها الخالص حول الأخطار المُحدقة على المصالح الغربية، من جرَّاء التهديد الإيرانيِّ ـ تُعدُّ إيرانُ نفسَها لامتلاك أسلحة التدمير الشامل ـ تستخدم الإرهابَ للتصدي لعملية السلام العربيةَ ـ الإسرائيلية، وتهديد الأنظمة المجاورة لها، وتدعمُ الحركات الراديكالية والثورية في العديد من البلدان الإسلامية، سلوكها العسكري في الخليج ورفضها العدول عن الفتوى التي أفتى بها الإمام «الخميني» بوجوب إعدام «سلمان رشدي»، وهنالك أفعال كثيرةٌ أخرى تُقْدمُ عليها هذه الدولةُ في دَعم الإرهاب الفرديِّ. وفيما عدا هذه الإجماعات، فإنَّ كلا من أوربا واليابان عارضت الجهودَ الشاملةَ في كبح إيرانَ، والحيلولة

دون دُخولها في حَلَبة المال وتوظيفاته الدولية؛ التي هي من استراتيجية الولايات المتحدة، وبدلاً من ذلك، كانت سياسة اليابانُ والإتحَاد الأوربيِّ، داعمةً لدرجات مختلفة من التعامل الفرديِّ لشركاتها مع إيران، وهي في خَلْق حوار جدليٍّ مع طهران، يُقدِّمُ فوائدَ لهَا ـ قروض تجارية، امتيازات، قروض ائتمانية ـ كأسلوب لتقوية وتشجيع العناصر (البراغماتيَّة) لدى النظام الإيرانيِّ، وبتلك الوسيلة يعتقدون ـ في أوربا واليابان ـ أنهم يُشجِّعون التغييرات في السلوك الإيرانيِّ. وبأيِّ حال من الأحوال، كانت هذه السياسةُ مُقادةً انطلاقاً من شعور واعتقاد عقلانيٍّ لشحن يُؤثِّر على السلوك الإيرانيِّ، أو بُلطف؛ كغطاء للتأكُّد من رغبة الدول الغربية في المحافظة على الروابط التجارية مع إيران، فإنه ليسَ من الجلِّيِّ، ما هو الوضوح في أنْ تبادل المنافع مع إيران سيُغيِّرُ من سلوكها، وبأنَّ مُقترَحات الحوار الجدليِّ تستطيعُ أن تصبح خَلَفاً لهذه السياسة.

ومهما كانت عليه السياسةُ السابقةُ، والجهودُ المبذولةُ قد قلَّمت «فوائدَ» لإيران في منتصف الثمانينات، فإن الولايات المتحدةَ ـ حسب وجهة نظر مجموعة الدراسة ـ تعتقد بأنَّ السياسة الحاليةَ في كبح إيران تستطيعُ النجاحَ والوصولَ إلى جعل إيران تدفعُ الثمنَ نتيجةً للأخطار التي تُشكِّلُها، ولسياسة التهديدات التي تَتبنَّاها، إلى أن تَتمَّ السيطرةُ على إمكانياتها، وقد تدفع إيرانَ إلى إيقاف سلوكها العدائيِّ. وعلى أية حال ليس هنالك مشكلةٌ في كيفية تطبيق المقاطعة الأمريكية؛ والتي قد تكون من جانب واحد من قِبَل واشنطن، فإن النتيجة سوف تَحُولُ دون حصول إيران على التكنولوجيا، وإلى أسواق التجارة العالمية، وإن الحاجة إلى التنسيق السياسيِّ مع الغرب سوف يُساعدُ الجهودَ الأمريكيةَ، وهذا سوف يجعل الولايات المتحدةَ تقف على أرضية أخلاقية عالية، إلاَّ أنها ستُواجَهُ بإيرانَ أقوى من أيِّ وقت مضى، تلك القادرةُ على ممارسة تأثيرها السلبيِّ في الشرق الأوسط.

فإذا قررت إيران الدخولَ في حوار شامل وصريح الحوار الجدليِّ، يجب عليها إيقافُ وعدمُ تجديد الجهود المبذولة في تطوير القدرة النووية والجهود الأخرى في نشر أسلحة الدمار الشامل، وإعادةُ القدرة التسليحية الأخرى، وإيقافُ دعم الإرهاب الدوليِّ، بما فيها تلك النشاطاتُ المتعلقةُ بتسليح مجموعات، كـ: حزب الله في لبنان، وحركة حماس في فلسطين، وكذلك حركة الجهاد الإسلامي وسواها.

وإذا أصبح هنالك تَحوّلٌ ملموسٌ وواضحٌ في السلوك الإيرانيّ بشأن هذه المواضيع، وليس الوعود والكلام فقط، بعدها يَجدرُ بالولايات المتحدة أنْ تَنحُوَ تدريجياً باتجاه رفع وتيرة الجهود المبذولة في التطبيع مع إيران، تحت ظروف حسنة؛ التي عندها تتحقق المصالحُ الاستراتيجيةُ لكلٍّ من الولايات المتحدة وإيران، بمرور أنابيب نَفط الدول المُشاطئَة لبحر قزوين عبرَ إيران، الأمرُ الذي سيفتح الطريقَ لنَفط بحر قزوين بالتدفُّق خارجَ الأراضي الروسيّة.

أما إذا استمرت بسياستها الإسلامية الحالية، فإنها ستواجهُ مواقفَ مؤسفةً - وعن طريق هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي أيضاً -؛ لأنها تكون قد مَخَّضتْ جُهودَ الأمم المتحدة بالفشل. عندئذ يجب اللجوءُ إلى عمل عسكريٍّ مباشَر، مُؤلَّف من سلسلة من العمليات ضدَّ نظام طهران، الأمرُ الذي يُعتبرُ في هذه الحالة من الأمور الجائزة، ومن الضروريّ عندئذ معرفةُ أنَّ الاستجابة تقوم لتنفيذ عملية قصف أهداف، بحيث توجّه إلى توقُّع أفدح الخسارات العسكرية، وإضعاف البُنية العسكرية الإيرانية، كـ: تدمير الغوّاصات التي تزوَّدت بها من إيران، أو القدرات الاقتصاديَة، مثل: مصافي النفط الرئيسية، وليس القيام بوَخَزات (ضَرَبات) جوية فقط، وتستهدف المواقعَ ذات الأهمية البعيدة، مثل: قواعد البترول، أو المرتبطةَ بحاجة تَجنُّب الإصابات الإنسانيّة الإيرانية.

مَن يقرأ هذا الكلام عن هذه اللجنة المُكلَّفة يُصاب بدهشة غريبة؛ لأنها تُحلِّل الحرامَ وتُحرِّمُ الحلالَ؛ فكلُّ مَن لا يسير تحت المظلة الأمريكية كما تشاء، فإنَّ مصيره التدميرُ الشاملُ للبُنى المدنية والعسكرية، والقُدُرات الاقتصادية، حتى تشلَّ الحياة نهائياً. فما ألطفَ هذا الكلام، وبخاصة عندما ينتهي بعبارة جَميلة: بعد التدمير الشامل.. فإنها - الولايات المتحدة - تتجنَّبُ الإصاباتِ الإنسانيةَ الإيرانيةَ.. !!؟ فهل يُوجد إرهابٌ، وإجرامٌ أكثرُ من ذلك.. !!؟

## هل يملك العرب إعادة الثور الهائج إلى حظيرته:

الجولة التاريخية التي قام بها «بوش الثاني» في أوربا في أواخر أيار (مايو) 2002م كانت مدفوعةً بمبدأ التصدّي القديم للإتحاد السوفييتي، وهو الذي حفَّز أميركا في الخمسينات على إنشاء: (حلْف الأطلسي)؛ لمقاومة امبراطورية الشرِّ السوفيتية. وترغب أميركا + «بوش الثاني» اليومَ بتجديد هذا الحلْف وتفعيله؛ بإدخال روسيا فيه تحت مظهر جديد هو «قيام امبراطورية الشرِّ الجديدة» بزعامة أمريكا.

وباسم محاربة الإرهاب الدوليِّ، الأميركيون والأوربيون: ابتلعوا روسيا لتي تحوَّلت من دون أيَّة مقاومة إلى دولة عادية تَستجدي الوُدَّ الأمريكيَّ.

في نجاح النموذج الأفغانيِّ للعدوان الأمريكيِّ الذي يرغبُ الأمريكيون في متابعته، رُفعت رايةُ التهديد ضدَّ المتمرِّدين، في أوربا: الذين يدعون إلى استمرار قِيَم الحرية، والديمقراطية، والسلام، وسيادة القانون الدوليِّ، بالشعار الجديد: إني خيرتك أيتها الدول فاختاري الموقف بين الجنة والنار. كانَ الردُّ الديمقراطيُّ الأوربيُّ: أن امتلأت الشوارعُ في العواصم التي زارها «بوش الثاني» بكلِّ أنواع الطَّيف السياسيِّ قائلةً: «نعم للحقِّ والقيَم، لا للحرب الأمريكية، لا لهَيمَنة أمريكا، لا لقانون القوَّة، لا لشريعة الغاب»، هذه اللاءات لَم يُسمع منها شيءٌ في الوطَن العربي. المشهدُ ما زال مُرتبطاً باجتياح الخوف من المجهول المُرعب من القوَّة الأميركية ـ الصهيونية على النقطة المضيئة الوحيدة في حياة الأمة العربية، ألا وهي: الانتفاضةُ والمقاومةُ الفلسطينيةُ من أجل الاستقلال الفلسطينيِّ أولاً، والعربيِّ ثانياً. فالرَّماد ما زال يَتراكم على النار، والاجتياح الجديدُ الذي سيتعرَّض له العربُ، سيتقدَّم رافعاً رايةَ الصهيونية الجديدة المتجدِّدة، ولن يكون صعباً عليه أنْ يَفتكَ بنا طالما أننا ما زلنا حتى اليوم، نتأثَّرُ بالمؤامَرة الصهيونية مع اليمين الأمريكيِّ، وبما حدثَ فعلاً في: 11/ 9/ 2001م.

إن الخوف والتبعيةَ السياسيةَ والاقتصاديةَ لأمريكا، تُربةٌ خصبةٌ لنمُوِّ السَّلبيات الضَّارَّة في السياسة العربية.

ارتفع الوعيُ العربيُّ عن حقيقة ساطعة مَفادُها: أن الولايات المتحدةَ شريكٌ قويٌّ للخصم الإسرائيليِّ. والاستنتاجُ البديهي من ذلك: أنَّ قطّاعات شعبيةً واسعةً شَرَعَتْ تطرحُ على أنظمتها أسئلةً مُحرجةً، عن علاقاتها المميَّزة مع واشنطن. فالمطلوب سياسةٌ عربيةٌ حاسمةٌ وصارمةٌ، تُعيد الإدارةَ الأمريكيةَ ـ بصفتها صاحبةَ مصلحة بصداقة العرب ـ إلى جادَّة المصالح المشتركة؛ ذلك أنَّ السياسة الأمريكيةَ تدفعُ مُؤيِّديها في المنطقة العربية إلى عدم الاكتراث بشعوبهم، وأن يَفرضوا الإيمانَ عليها بأنَّ الوجود الأمريكيَّ على الأبواب قَدَرٌ لا مَناصَ منه، والمراقبون الواعون للأحداث في الوطن العربي: الذين يعملون على وقف السقوط، يَرَون أنَّ الاستثمار الحقيقيَّ لهذه الأمة، يجب أن يَنصبَّ على تنمية العلاقات العربية ـ العربية على النحو الآتي:

1 ـ إحياءُ اتفاقية الدفاع العربيِّ المشترَك، وتفعيلُ بُنودها وآلياتها:

والأمر يتطلَّب خطوات كثيرةً تمهيديةً، من أهمها: إعادةُ بناء الثقة بين العرب أنفسهم، بعد أن تزعزعت باحتلال العراق للكويت، وكان هذا مرفوضاً مهما كانت الأسباب.

2 ـ إقامة سوق عربية مشتركة تمكنهم من تنمية التجارة الداخلية بين الأقطار العربية:

وبدلاً من الاستيراد الخارجيِّ نستوردُ من الداخل؛ إذ ثمَّةَ سِلعٌ عربيةٌ كثيرة، ومشروعاتٌ اقتصاديةٌ استراتيجيةٌ كبيرةٌ تنتظر مَن يَتبنَّاها.

3 ـ تنمية الموارد البشرية العربية داخلياً بدلاً من نزيف الأدمغة العربية الذاهب إلى الخارج.

هذه النقاط الثلاثُ يجب أن يُركِّزَ عليها الخطابُ العربيُّ بصفة دائمة، فلربما تتحوَّل إلى ورقة عملٍ جديرة بالتبنِّي، ولن يتحقق ذلك بالاعتماد على العامل الخارجيِّ، بل على ترتيب البيت العربيِّ من الداخل.

وهناك مؤشِّراتٌ مهمَّةٌ جداً في منطقة الخليج العربي.. تَعكسُ الأوضاعَ المتطورةَ في الكويت؛ صورةً حقيقيةً لمقدار الارتباك الذي يشعرُ به أصدقاءُ الولايات المتحدة في الوطن العربي، إزاءَ حاجاتهم المُلحَّة للعلاقة مع واشنطن، وبين مشاعر الشارع الطَّاغية؛ والتي لا تقبل أيَّ لَبْس لجهة إدانتها للدَّعم والتَّواطؤ الأمريكيِّ غيرِ المحدود للعدوان الإسرائيليِّ. مما يُعمِّقُ الكراهيةَ العربيةَ للولايات المتحدة.

كان هناك مَن يتحدَّث في الكويت عن أنْ جُلّ ما تَمَّ أثناء حرب الخليج الثانية كان مؤامرةً محبوكةً؛ للسيطرة على المنطقة بما يَخدُمُ المصالحَ الأمريكيةَ الواسعةَ في الثروة النفطية الأهمِّ في العالم. العلاقة الاستراتيجيةُ مع واشنطن لم تَمنع الكويت من توجيه الانتقاد الضمنيِّ للسياسة الأمريكية؛ سواءٌ عبرَ الموضوع العراقيِّ: عندما عارضت الكويتُ علانيةً توجيهَ ضربة عسكرية للعراق، أو تجاهَ الموضوع الفلسطينيِّ (الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي): عندما جاء على لسان مسؤولين كويتيين مراراً وتكراراً، دعوةُ واشنطن لكبح إسرائيلَ؛ كي تُوقفَ عُدوانَها على الشعب الفلسطينيِّ..

الكويتُ لم تُظهر أيَّ قُصور عن التزاماتها القومية منذ الاستقلال، كما أنَّ صندوقها لم يَبخل على الدول العربية في مشاريعها الإنمائية في إطار الجامعة العربية، أو في إطار كونها أحدَ أهمِّ الدول المانحة للسلطة الوطنية الفلسطينية منذ (اتفاقية أوسلو). لكل هذا.. ألا يَستحقُّ العرب أنْ يَستثمروا المناخَ العربيَّ ـ البَينيَّ، والكويتي ـ العراقيَّ الذي أصبح مناسباً للعودة إلى العلاقات الطيبة بين البلدين الشقيقين: الكويت والعراق، وذلك في ابتكار مُقترَحات، وعَقد نَدَوات لتطبيع العلاقات الكويتية ـ العراقية، والبحث التالي يدخل في هذا الإطار إن شاء الله تعالى.

يوجد عنوان بارزٌ يُعطي مؤشِّرات على تضخُّم غرور القوة التفرُّدية الأمريكية؛ إنه تقرير المعهد الدوليِّ للدراسات (الشرق الأوسط على شفا مرحلة تغييرات):

لقد حذَّر تقريرٌ صادرٌ عن معهد الدراسات في لندن يقول: ((إن معركة الولايات المتحدة لكسب عُقول العرب وقلوبهم خاسرةٌ، وإنَّ أيَّةَ ضربة للعراق ستثير عداءاً كبيراً لها ولبريطانيا.

واعتبر التقرير: أنَّ إدارة «بوش الابن» تتباطأ في مجال عقد العلاقات السياسية والاقتصادية الإيجابيَّة المفيدة للأطراف المتعاقدة، بل إنَّ أمريكا تُفضِّل التركيزَ على المجال الحربيِّ.

وقال التقرير: إنَّه لا يجب إرباك الانتصار في العراق بالإطاحة بالرئيس «صدام حسين»، مُعتبراً أن الاستراتيجية العسكريةَ، والتخطيطَ السياسيَّ لا يمكن أن ينفصلا في هذا المجال.

ورأى التقرير: أنه على الدول الغربية أنْ تسعى إلى تشكيل «حكومة ديمقراطية مستقرَّة في العراق، لا تُهدِّد جيرانَها، أو الولايات المتحدة، وتعملُ لمصلحة العراقيين على اختلاف انتماءاتهم: الشيعية والسنّية»، إلاَّ أنَّه اعتبرَ أنَّه من الصعب التوصُّلُ إلى اتفاق داخل الإدارة الأمريكية، على القيام بعمل عسكريٍّ لتحقيق هذا الهدف؛ «بسبب التحفظات أمام المخاطر المُحتمَلة على المدى القريب في الدول العربية الأخرى».

وأوصى التقرير: باعتماد خيار إرسال مُفتِّشين دوليين إلى العراق، إلاَّ أن ذلك المطلبَ لم يَعُد مانعاً من العدوان الأمريكيِّ، حسب التصريحات الأمريكية الرسمية.

واعتبر التقرير أنه: إذا لم تَتمَّ السيطرةُ على طُموحات العراق النووية، فسيكون من الصعب احتواءُ الطُّموح الإيراني في هذا المجال، مشيراً إلى أنَّ السعودية والإماراتَ العربيةَ المتحدةَ، في هذه الحالة يُمكن أن تَحصَلا على أسلحة نووية من دولٍ أخرى.

في موازاة ذلك اعتبرَ التقريرُ: أنَّ انسحاب القوات الأميركية من السعودية من دون تغيير النظام في العراق سيؤثِّر «بشكل جدّي في الأمن السعودي»، لافتاً إلى أنَّ المملكة عاجزةٌ عن حفظ أمْنها الداخليِّ؛ إذ أنَّها ما زالت تعتمد في هذا المجال على واشنطن، رغم ارتفاع نَفَقاتها العسكَرية.

وأشار التقرير: إلى أنَّ الموازنة العسكريةَ السعوديةَ ارتفعت بشكل هائلٍ؛ لتَصِلَ عام 2001م إلى: 27 مليار دولار.

ولاحظ التقرير فارقاً في تقويم الخطر الإرهابيِّ بين الولايات المتحدة وأوربا، الأمرُ الذي يُشكِّل عُقدةً جديدةً يُمكن أنْ تؤثِّر في العلاقات بين ضفَّتَي الأطلسيِّ، وذلك نابع من أنَّ الولايات المتحدةَ، وليست أوربا، هي الهدفُ الرئيسيُّ لتنظيم القاعدة.

إن النصر الذي يُمكنُ أنْ تُحقِّقَه لحملة ضدَّ الإرهاب يتمثَّلُ في جَلْب ثمار النظام الرأسماليِّ الديمقراطيِّ إلى الدول التي لم تَتمتَّع بها بعدُ، وهذه المَهمَّة تعود في نهاية الأمر إلى السياسيين وليس إلى الجنرالات.

هذا هو المُلخَّص الذي خرج به التقريرُ الاستراتيجيُّ السنويُّ للمعهد الدوليِّ للدراسات الاستراتيجية. إذاً ما هو الدرسُ المستفادُ من الجانب العربي.. ؟

العراق أدرى بشؤونه، وهو يُرتِّبُها الآن بطريقةٍ بَنَّاءة، ويجب توفير الفرصة له لتحقيق ذلك بأقرب الآجال.

في المؤتمرات الشعبية التي عُقدت أخيراً في آذار (مارس) 2002م، وفي مطلع شهر أيار (مايو) 2002م، كثيرٌ من المؤشِّرات الطيبة: التي تُؤذنُ بصمود قويٍّ للشعب العراقي الصابر، ولكن ما هو دورُ الروابط واللِّجان العَربية التي أُنشئت في كلٍّ من: الأردن، وسوريا، ولبنانَ، ومصر وغيرها؛ لمساندة العراق ورفعِ الحصار عنه. أم هي لجان على الورق.. ؟

أمريكا وبريطانيا تسعيان باستمرار إلى دقّ الأسافين في العلاقات العربية ـ العراقية، وخصوصاً بعد أن وصلت التبادلات التجاريةُ مع المملكة العربية السعودية إلى أكثرَ من مليار دولار في العام الواحد، وهذا الخطُّ العربيُّ الأصيل الذي اعتاد عليه العراق منذ زمن بعيد قد عاد العمل فيه، وقدَّم ما يُمكنُ اعتبارُهُ فوائدَ إيجابيةً للعلاقات العراقية مع الجيران، بالرَّغم من أنَّ مصدراً مسؤولاً في وزارة التجارة العراقية أعلن في مطلع أيار (مايو) 2002م: أنَّ المندوبَين؛ الأمريكيَّ والبريطانيَّ في لجنة 661 عَلَّقا: 15 عَقْداً جديداً، أغلبُها مع الدول العربية والمجاورة، للحؤول دون تحسين علاقات الجوار العربيِّ، وهو ما دَرجتْ عليه اللجنةُ في عُقود سابقة، قيمتها: 2,5 مليار دولار.

ويُقال: إن القرار 1409 قد فتح الطريقَ لتنفيذها. وأوضح المصدرُ: أنَّ العقود تَخصُّ شركات مصرية، وسورية، وأردنية، وفيتنامية، وروسية، وفرنسية، وهندية، وتركية، وسعودية، مشيراً إلى أنَّ العقود تتعلَّق بتوريد قطع غيار لمنظمة الطاقة الكهربائية، وشاحنات، وسيارات نقل، ومنظومات ريٍّ ثابتة، وبطاريات، ومُستلزَمات طبية، وأدوية، وركائزَ حديدية، ترى بريطانيا وأميركا أنَّ كل ذلك ذو استخدام مُزدَوج.

ثمَّةَ دولٌ عربيةٌ تُؤمنُ قلباً وقالباً بدعم العراق بكلِّ الوسائل، وهي لا تحتاج إلى حشد الطاقات والتوعية، بل إلى تدفُّق المعلومات المتوافرة عن النشاط العدوانيِّ: الأمريكيِّ ـ الصهيوني، ضدَّ العراق، والعملِ على إفشاله، ولا بُدَّ من استخلاص النتائج في هذا الصدد. فاليوم العراقُ، وغداً سورية، وبعدها السعوديةَ وغيرها..

إنَّ مجرد السماح بمناقشة الإطاحة بالنُّظُم، سوف تقودُ إلى سابقة خطيرة تُلغي القانونَ الدوليَّ، ودَور الشعوب في تحمُّل مسؤولياتها ومُقدّراتها، وهو أمرٌ مبدئي وأخلاقيٌّ، ويفتح المجالَ أمام الفوضى والخراب في المنطقة.

في الوقت الراهن يتوجَّبُ على الروّاد والرَّوابط واللِّجان والهيئات السياسية المعروفة بمساندة العراق ـ أنْ تضع خُطّةً مشتركةً للعمل على إقامة نَدوات ومُؤتمرات يَنشَطُ فيها الحَوارُ لبناءَ الثقة بين العراق وجيرانه، وخصوصاً الكويت، والمملكة العربية السعودية. ويمكن أن تكون دمشقُ، أو القاهرةُ، أو بيروتَ مَقراً لذلك النشاط. ويجب الانتباهُ إلى أنَّ علاقات العراق مع المعارضات العراقية الداخلية، يجب أنْ تَسودَها المودَّةُ، والتَّفاهم أمام الخطر الخارجيِّ المُحتمَل.

أما المعارضات المتعاونةُ مع أمريكا الشريرة فيجب إسداءُ النصيحة لها، فإذا لم تستجب فيجبُ تَقزيمُها؛ لأن نواياها أصبحت عدوانيةً ضدَّ وطنها، بسبب تنسيقها مع الدولة الاستعمارية الأولى في عالم اليوم.

وبقي الأمر المهمُّ جداً؛ الذي يجب أنْ يبدأ فوراً ودون تأخير: حوار عربي عراقيّ ـ كرديّ، يُشارك فيه جميعُ أنواع الطَّيف السياسيِّ. فالأخوَّة العربيةُ ـ الكرديةُ تاريخيةٌ ناصعةٌ، وليس للأكراد في الظروف الحالية التي تُهيمن فيها أمريكا على الكثير منهم، مصلحةٌ في حرب ضدَّ بغداد؛ يكونون وَقُوداً لها على النحوِّ الأفغانيِّ. لذلك فمن المصلحة أنْ تَتدعَّم علاقاتُهُم ببغدادَ بمعونة أدبية عربية تُتيحُ الفرصةَ للتفاهم في المنطقة، يمتدُّ من إيران إلى لبنان، يستطيع صَدَّ المغولية الأمريكية: التي تُقوِّي اليومَ نفوذَها في آسيا الوسطى. فقد أُعلن أخيراً عن مشروع مدِّ أنابيب غازَ تركمانستانية عبرَ أفغانستان إلى الهند والمحيط الهندي، تَربُّصاً للوقت المناسب للسَّطو على الوطن العربي.. فعلى مدى السنين السابقة أوجدت الأحداثُ مفارقةً محورُها: أنَّ مسؤولَين عرباً وروساً وأوربيين، أبدَوا قَلقَهم، وعَبَّروا عن هواجسهم من السلوك السياسيِّ الأمريكيِّ الدوليِّ بصدد قضايا دولية مختلفة، وسرعان ما كان يَتبدَّد ذلك القلقُ وتلك الهواجس، فيما تمضي أمريكا في تَفرُّدها غير العابئ بالآخرين ومصالحهم، وتصنعُ الوقائعَ على الأرض، في الوقت التي تذهب اعتراضاتُ الآخرين أدراجَ الرياح.

ويقيناً: إنه آنَ الأوانُ كي تتحوَّلَ الهواجسُ رموزاً لمؤشرات فعل يُلزم أمريكا باحترام رُؤى الآخرين ومصالحهم، وكلُّ المؤشرات تقول: إن جولةَ «ديك تشيني» في المنطقة لم تكن تستهدفُ تقويمَ المواقف العربية من مسألة الاستهداف الأمريكيِّ للعراق؛ لأنَّ بعض هذه المواقف العربية أضحَتْ معلومةً، ومعارضةً ليس فقط لاستهداف العراق، وإنَّما لاستهداف أيِّ دولة من دول المنطقة في المطلق. وانطوى هدف الجولة على محاولة اكتشاف أيِّ مَيل عربيٍّ لإعاقة عربية للعمل العسكريِّ الأمريكيِّ ضدَّ العراق. فنائب الرئيس الأمريكيِّ يُدرك أنَّ المواقفَ الأوَّليةَ التي يُعلنُها أصحابُها ليست المواقفَ نفسَها التي يَتخذونَها عندما تبدأ أمريكا بتنفيذ أعمالها الحربية (نظرية المحادثات في الغرف المغلقة).

إنَّ الإجابة عن هذه الطروحات هي على الأرجح ما تبحث عنه الإدارة الأمريكية. فمدير التخطيط السياسيِّ في وزارة الخارجية الأمريكية «ريتشارد هاس»: الذي جال في المنطقة أيضاً،

خرج بانطباعات متباينة: بعضُها أشار إلى أنَّ رَدَّ فعل الدول العربية لن يكون أكثرَ من الرفض الإعلاميِّ والدبلوماسيِّ، وربما ارتقى عند بعض الدول نحوَ الإدانة والشَّجب، فيما أنبأت انطباعاتٌ أخرى: أنَّ العرب قد يُقدمون على تعويق العمل العسكريِّ الأمريكيِّ..

في الواقع إذا وُجدت الإرادةُ تُوجَد القدرة؛ لأن الاجتياح العدوانيَّ الأمريكيَّ للعراق يحتاج إلى تسهيلات ودعم على الأرض، فإذا امتنعت الدول العربيةُ عن تقديم هذه التسهيلات، تكون بذلك قد عَوَّقت العملَ العسكريَّ الأمريكي، خصوصاً أن المؤشرات الراهنةَ بالنسبة إلى إيران تُنبئُ بأنَّها لن تُقدِّم أيَّ خدمات من أي نوع لأمريكا في إطار هذا العمل، وقد أصابتها مشاعر الإحساس بالغدر من واشنطن عندما ضَمَّتها إلى «محور الشر» إلى جانب كوريا الشمالية، والعراق؛ على قاعدة ما قدَّمته من خَدَمات لأمريكا في إطار الحرب على أفغانستان. ولذلك أطلقت أمريكا أخيراً ما يُنبئ عن رغبتها في تغيير النظام العراقيِّ دون تقسيمه: بفرض النظام الفيدراليِّ عليه، وذلك لإدخال الارتياح على مَن يرغبُ به من الجيران..

إن الاقتناع السائدَ لدى النخبة الحاكمة في طهران: أنَّ دور إيران سيأتي بعد العراق، وهذا الاقتناعُ يَستوجبُ منها العملَ على إفشال أيِّ عمل عسكريٍّ أمريكيٍّ ضدَّ العراق من تحقيق نتائجه، وتصريحات وزير دفاعها «شمخاني» شاهدٌ على ذلك..

أما بالنسبة لتركيا، فتسودُ الرؤيةُ القائلة: إنَّها تُحاولُ اللَّعبَ على الحبال للحصول على ثمن عالٍ لإسهامه في أيِّ عمل عسكريٍّ أميركيٍّ ضد العراق. ومن الطبيعي أن يؤديَ امتناعُ الدولِ العربية عن تقديم تسهيلات لأمريكا سيساعد تركيا على اتخاذ مواقفَ أكثرَ صلابةً ضدَّ العدوان العسكريِّ الأمريكيِّ في ظل المعارضة الدولية الواسعة النطاق للتوجه الأمريكيِّ، بما في ذلك أعضاء (الناتو)، عدا بريطانيا.

وعلى أيِّ حال، بالإمكان رؤية موقف عربيٍّ يُعيدُ الثورَ الأمريكيَّ الهائجَ إلى حظيرته، وذلك: بالتشديد على معارضة أيِّ عدوان عسكريٍّ ضدَّ العراق، والامتناع عن تقديم أيِّ تسهيلات له، ومعالجة المسألة العراقية في إطار الأمم المتحدة وفقَ المضمون القانونيِّ للقرارات الدولية ذات الصلة من دون تحميلها أيَّ مضامينَ سياسية.

كما يمكن للعرب أن يتخذوا مبادرةً في هذا الصَّدد مع : روسيا ، والصين ، ودول الحياد الإيجابيِّ ، ودول الاتحاد الأوربيِّ خاصةً ؛ لتَبنِّي إعادة المفتشين الدوليين إلى العراق لمدة مُحدَّدة يُتَّفقُ عليها ، لإنهاءَ مهمتهم في إطار رؤية تجنحُ إلى جعل هذه العودة مرتبطةً بتدمير أسلحة التدمير الشامل في العراق ، وكلِّ المنطقة بأسرها ، ثم رفع الحصار عن العراق وفقاً للقرارات الدولية . فليس العراقُ وحدَه المُستهدَف ، وإنَّ ضربَه هزيمةٌ لكل العرب ، وبدايةُ هيمنة مطلقة على مواقعهم ، ومواردهم ، وثَرَواتهم ؛ لتثبيت إمساك الولايات المتحدة بمُقدَّرات العالَم بمَن فيه حلفاؤُها من العرب ، لكن ليسَ إلى ما لا نهاية ، بل لَعلَّ في ذلك بدايةً نحو «عالمٍ آخرَ مُمكنٍ مِن دون أمركة» ؛ تَسُودُ فيه الحريةُ واستقلالُ الشعوب .

ولكن : هيهات ، هيهات ، هيهات . سارعوا يا عرب على حماية أنفسكم ، واتَّخذوا موقفاً قوياً داعماً للعراق ، وهَدِّدوا مصالحَ أمريكا تصريحاً لا تلميحاً ، فلعلَّها ترتدعُ . . وإلاَّ فانتظروا مقولةَ الثور الأبيض : «ألا إنِّي أُكلتُ يومَ أُكلَ الثور الأسودُ . .»

ومما يُبشِّر بالخير نجاحُ حزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية في تركيا ، وحصولُهُ على الأغلبية المطلَقة ، وتَبنيه شعارَ عدمِ ضَربِ العراق ، وتَوجُّهاتُه الإسلاميةُ المجيدةُ : التي سوف يكون لها نتيجة إيجابيةٌ لصالح الصِّراع في منطقة الشرق الأوسط .

## «بوش» يتدارس ضرب العراق:

جاء عن وكالات الأنباء/ الإتحاد : أنَّ «بوش» يتدراس مع «فرانكس» آخرَ خُطط ضرب العراق ، وقد برزت خلال الساعات الماضية أكثرَ من أيِّ وقت مضى ، نُذُرُ مُواجهة عسكرية محتومة بين الولايات المتحدة والعراق ، مع بدء الاستعدادات الفعلية لها في كلٍّ من واشنطن وبغداد ؛ حيث راجع الرئيسان «جورج بوش» و«صدام حسين» خُططَ الحرب ، وربما أقرَّاها في صورتها النهائية . . فيما لا يزال حوارُ الرسائل بين بغداد والأمم المتحدة يراوح مكانَه ، بسبب تشدُّد الموقف الأمريكيِّ الرافضِ لأية تسوية سلمية للمسألة العراقية . فقد تدارس الرئيس الأمريكيُّ مع قائد القيادة المركزية الجنرال «تومي فرانكس» : الذي أدار الحربَ في أفغانستان ، وسيُديرُ الهَجَمات على العراق .

هذه آخرُ خُطط وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، لاستخدام القوة العسكرية من أجل إسقاط الرئيس العراقيِّ، ولم يَتَّضح على الفور ما إذا كان «بوش» قد اتخذ قراراً بتحديد موعد الضربة العسكرية خلال الاجتماع أم لا . . ؟

وقد أفادت وكالة (أسوشيتد برس) الأمريكيةُ للأنباء: أنَّ تصورات مختلفةً ما زالت قيدَ الدراسة. وقالت ـ نقلاً عن خُبراء عسكريين ـ: إن الولايات المتحدةَ تستطيع شَنَّ هجوم سريع على العراق؛ عبرَ حشد خمسين ألف جنديٍّ في الخليج خلال أسبوع واحد، بعد نقلهم بالطائرات، وجَلْب دبَّاباتهم ومُعدَّاتهم العسكرية الثقيلة على متن السفن، لكنَّ مسؤولين مُشرِّعين أمريكيين عديدين يعتقدون أنَّ مهمةَ إزاحة الرئيس العراقيِّ «صدام حسين» تحتاج لأكثرَ من مائتي ألف جنديٍّ، وهذا ما يتطلَّب وقتاً أطولَ، وربما عدَّة أشهر لنقلهم إلى المنطقة.

وأوردت مجلة (نيوزويك) الأميركيةُ: أنَّ مصانع الذخيرة الأميركية تعمل نَوبات إضافيةً؛ لإعادة بناء الأسلحة التي استُنفذَت خلال الحملة على أفغانستان. كما قالت: إنَّ عدة مئات من العسكريين الأمريكيين يعملونَ كفرَق طليعية في الأردن ودول أخرى في المنطقة؛ حيثُ يُقيِّمونَ الحاجةَ لمطارات جديدة وطُرُق أكبرَ. وتردد أنَّ وزارةَ الطاقةَ تعمل على زيادة احتياطات النفط الاستراتيجية لطاقتها القُصوى: التي تبلغ سبعمائة مليون برميل، وهو ما يكفي لسدِّ حاجة الولايات المتحدة من الطاقة لما يزيد عن ثمانين يوماً.

وقال «بوش» ـ خلال اجتماع انتخابيٍّ للحزب الجمهوريِّ في (بتسبرغ) شمال شرق الولايات المتحدة: ((سنأخذ وَقتَنا لنكون واثقين من أنَّ سياستَنا صائبةٌ. لكنَّ التاريخ يدعونا إلى العمل للدفاع عن الحرية. إن علينا واجباً حيالَ المستقبل، وهذا البلد العظيمُ لن يتراجعَ أمام مسؤولياته)).

وقبل ذلك بقليل أكد «بوش» مُجدَّداً تصميمَهُ على عدم السماح لأسوأ القادة في العالم بابتزاز الولايات المتحدة، وأصدقائها، وحلفائها بأسوأ الأسلحة في العالم؛ في إشارة واضحة إلى العراق، وقال: ((إنني رجلٌ صبورٌ، لديَّ العديدُ من الوسائل: سياسيةً، واستخباراتيةً وعسكريةً، إضافةً إلى الكثير من الأصدقاء)).

وفي سياق التشدُّد: رفض كلٌّ من وزير الدفاع الأمريكيِّ «دونالد رامسفيلد»، والمُتحدِّثُ باسم مجلس الأمن القوميِّ للبيت الأبيض «شون ماكورماك»، ونائب المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية «فيليب ريكر» وزعماءُ الكونغرس الأمريكيِّ، مبادرةَ العراق باستقبال رئيس لجنة مفتشي الأسلحة الدولية: «هانس بليكس»، ووَفد من الكونغرس، زاعمين أنَّها نكتةٌ، ومُراوغةٌ، ومحاولةُ تضليل. وفي الوقت نفسه بدأ مسؤولو الإدارة الأمريكية اجتماعات مع أعضاء وفد المعارضة العراقية الموجود حالياً في واشنطن لبحث التنسيق بين الجانبين أثناء غزو العراق، ومن المقرَّر أن يستقبلَهُم وزيرُ الخارجية «كولن باول» بعد غد الجمعة. وفي بغداد: التي استشعرت جديةَ التَّهديدات الأمريكية، حَثّ «صدام حسين» قادةَ الجيش العراقيِّ على الاستعداد للحرب، ونقلت وسائل الإعلام العراقيةُ عنه قولَهُ ـ خلال استقباله كبارَ مساعديه العسكريين مساءَ الأمس الأول ـ:

«إنَّ عدوَّكم متطوِّرٌ، لكنَّه بتطوره يجعلكم تتطوَّرون، وتَعصرون القُدرة إلى أقصاها؛ لكي تُدافعوا عن بلدكم، فأصحابُ الهمم ترتقي همَّتُهم في الصراع مع عدوٍ متطور».

كما تَمَّ أمس الأول تنظيمُ عرض عسكريٍّ للعراقيين المتطوِّعين للدفاع عن بلادهم ضدَّ أيِّ هجوم أمريكي.

وبدأت الدول المجاورةُ تتحسَّبُ للموقف أيضاً؛ حيث هرع وزير الخارجية العراقيُّ «د. ناجي صبري» والتركي «سكرو سينا جوريل» إلى عمَّان أمس، والتقيا العاهلَ الأردنيَّ الملك «عبد الله الثاني»، وتباحثا مع نظيرهما الأردنيِّ الأستاذ «مَروان المعشِّر» كلٌّ على حدَة. وقد تركَّزت على التهديدات الأمريكية للعراق، وقُبيلَ مغادرة أنقرة إلى العاصمة الأردنية، نَفى «جوريل» في تصريحاتَ للصحفيين نفياً قطعياً وجودَ اتفاق سرّي بين بلاده وروسيا على العمل من أجل منع قيام دولة كردية منفصلة في شمال العراق في حالة التدخل العسكريِّ الأمريكيِّ، كما أفادت صحيفة «راديكال» التركيةُ أمس؛ والتي ذكرت: أنَّ الاتفاق تَمَّ خلال زيارة نائب وزير الخارجية الروسيِّ «الكسندر سلطانوف» إلى أنقرة آخرَ الأسبوع الماضي. وقال: «إن هذا التقرير لا يَعكسُ الواقعَ، وإنْ كُنّا قد تقاسمنا القلقَ مع روسيا ـ كدولة جارة وصديقة ـ تجاهَ موضوع العراق». وأشار إلى أن زيارته للأردن تندرجُ أيضاً في إطار قلقِ تركيا، والعديدِ من الدول الصديقة تجاهَ تطورات العراق.

وفي نيويورك، كشف الأمينُ العامُّ للأمم المتحدة «كوفي أنان» ـ خلال اجتماع مجلس الأمن الدولي مساء أمس الأول لمناقشة المبادرة العراقية بدعوة «بليكس» إلى بغداد ـ: عن أنَّه تلقَّى عرضاً ثانياً من العراق لاستئناف المحادثات حول التفتيش عن الأسلحة بعد العرض الأول الأسبوعَ الماضي، ووعد بالرَّد على ذلك، وقال: «إنَّ جميع أعضاء مجلس الأمن يَتفقون على أنَّه يجب علينا عملُ كلِّ شيء من أجل عودة المفتشين، وإذا كان العراق مُستعداً لقبول هذه الفكرة، ستكون هناك أسسٌ للتحرُّك إلى الأمام». وأعلن «أنان» بعد غداء مع أعضاء مجلس الأمن الدوليِّ: أنَّه سيَرُدُّ على الرسالة التي وَجَّهها الأسبوعَ الماضي وزيرُ الخارجية العراقيِّ، مُوضحاً أنَّ الرسالة التي سيُوجِّهها إلى بغداد لا تُشكِّلُ رفضاً للدعوة العراقية، بل طلب ضروري لتقديم توضيحات.

ولم يَستبعد أن يؤدّيَ تبادلُ الرسائل ـ وحسبَ الردِّ ـ إلى محادثات على مُستوى فنيٍّ. وعَلَّق مصدرٌ ديبلوماسيٌّ حضر الغداء: أنَّ أعضاء مجلس الأمن لم يكونوا متفقين، مُوضحاً أن الولايات المتحدةَ رأت أنَّه ليس هُناك تغير في الموقف العراقيِّ، بينما رحبت الصين، وروسيا، وفرنسا بالموقف العراقيِّ، ورأوا فيه تطوراً إيجابياً.

أما الحكومة العراقية، فقد وجَّهت أمس الأول إلى الأمم المتحدة مُذكَّرةً، أوضحت فيها شروطَ دعوتها لـ «بليكس»، ولماذا لا تُعتبرُ برأيها مخالفةً للقرارات السابقة.

ومن جانبه رأى «بليكس» أنَّ العقوبات الدوليةَ على العراق لن يَتمَّ رَفعُها حتى إذا سَمحتْ بغدادُ بعودة مفتشي الأسلحة، وسَهَّلت قيامَها بمهمَّاتهم. وقال في حديث لإذاعة سويدية أمس: «إنَّ التأكد من انصياع العراق ربما يَستغرقُ أكثرَ من ستة أشهر، وأنَّه قد يحتاج لعدَّة أشهر من أجل تشكيل وإعداد فريقه إذا ما توصَّل «أنان» إلى اتفاق مع العراق على استئناف التفتيش». وتابع: «حينئذ، سوف نُسافرُ إلى العراق لمدة شهرين، ثم نعود إلى مجلس الأمن الدوليِّ باقتراح.. إنهم يحتاجون إلى التعاون معنا لمدة نصف عام قبل أنْ يَرفعَ المجلسُ العقوبات».

وأوضح «بليكس» أن دعوة العراق لإجراء مباحثات جديدة معه، تشير إلى أن بغداد مازالت تُصرُّ على استيضاح الأمر بشأن ما تَبقَّى دون إنجاز حتى 1998م.

عندما غادر فريق التفتيش السابق التابعُ للأمم المتحدة البلاد، وأشار إلى أن بغداد كرَّرت رَغبتَها أيضاً في حلٍّ شامل يَشمَلُ قضايا، مثل: حظر جميع الأسلحة النووية في الشرق الأوسط. إلاَّ أنه قال: إن الأمم المتحدةَ تريد محادثات بشأن خطوات محددة لاستئناف عمل فرق التفتيش، مضيفاً: أن المطلوب ترتيباتٌ عمليةٌ، وتحديدُ كيفية انتقالاتنا، وبمَن سنلتقي.

## بغداد تزيد أسعارَ نِفْطِها المباعِ لأمريكا /لندن - رويترز:

أفاد ديبلوماسيٌّ بالأمم المتحدة أمس: أن العراق عَدَّل بالزيادة أسعارَهُ لمبيعات النفط الخام للولايات المتحدة في شهر تموز (يوليو)، بعد أنْ رفضت الأمم المتحدةُ المستويات الأوليةَ التي قدَّمتها بغدادُ قائلة: إنَّها لا تَعكسُ بدقة أحوالَ السوق. وأضاف الدبلوماسيُّ: وصلتَ للتوِّ أسعارُ العراق الجديدةُ لشهر تموز (يوليو)؛ لإقرارها اليومَ، ومن المرجَّح أن تَتمَّ الموافقةُ عليها. وأضاف: إنَّ العراق رفع السعرَ المُقترَحَ لمبيعات خام البصرة الخفيف للولايات المتحدة بواقع: 35 سَنْتاً، ليَصلَ إلى سعر خام غرب تكساس الوسيط، في عقود تسليم بعد شهرين ناقصاً: 3,25 دولار. كما رفع سعرَ خام كركوك في عقود تموز (يوليو): 15 سَنْتاً، ليَصلَ إلى سعر خام غرب تكساس، تسليم الشهر الثاني ناقصاً: 2,90 دولار. ويتعيَّن حصول أسعار النفط العراقيِّ على موافقة رسمية من لجنة عقوبات العراق التابعة للأمم المتحدة التي تُشرفُ على صادرات النفط العراقية بموجب اتفاق: النِّفط مقابل الغذاء. وتؤجِّل اللجنةُ بشكل دائم الموافقةَ على الأسعار إلى ما بعد مواعيد تحميل الناقلات بالنفط؛ تَمشِّياً مع سياسة أمريكية-بريطانية، تَهدُفُ منعَ بغداد من فرض رسوم إضافية غير مشروعة على مبيعات النفط.

## القيادة العراقية تَعفُو عن سُجَناء بغداد - وام:

أصدر مجلسُ قيادة الثورة العراقيِّ قراراً، أعفى بمُوجبه فئات من السُّجَناء العراقيين عن المُدَد المتبقية من محكوميَّاتهم. ويتضمَّن القرارُ:

إعفاءَ كلِّ مَن أمضى سنةً في السجن إذا كان حُكم عليه بالحبس دون خمس سنوات، ومن أمضى سنتَين إذا كانت المدةُ المحكومُ بها لا تتجاوز العَشرَ سنوات، ومَن أمضى خمسَ سنوات من مدة محكوميته إذا كان الحكمُ عليه صدَرَ بمدة تتجاوز عشرَ سنوات.

واستثنى القرارُ من الإعفاء، المحكومين بالإعدام ممَّن تمَّ تخفيضُ عقوباتهم إلى السِّجن المؤبَّد في السابق، والمحكومين في جرائم المخدرات والتجسُّس والسَّرقة المُقترنة بالقتل، وجرائم القتل العَمْد، التي لم يتمَّ دفع الديَّة فيها، كما نصَّ على تخفيض الأحكام بالإعدام إلى السجن المؤبَّد عدا الجرائم المذكورة.

## التعليق:

الغريب أن هذا التقرير، لا يَعتبرُ «صدام» أسوأ قائد فقط، وإنَّما يتَّهمُه بابتزاز الولايات المتحدة، ومَن هو الذي يستطيع ابتزازَ الولايات المتحدة - حتى ولو كان منَ الدُّول العُظمى في مجلس الأمن - فكيف يستطيع «صدام حسين» ابتزازَ أمريكا ببلده الصغير، وقُدُراته المتواضعة أمام قُدُرات الولايات المتحدة وجَبروتها.. !!؟ فمن يصدق هذا يا رئيسَ أقوى دولة في العالم، ألا تعتقد أنَّ مَن يسمع هذا الكلام.. يَتيقَّن ويتأكَّد من تحامل رئيس أقوى دولة، على رئيس دولة عادية، ثم يَتَّهمُهُ باحتواء أسوأ الأسلحة في العالم.. !!؟؟

لو افترضنا أن هذا الكلام صحيح.. أليس ما عند «صدام» من هذه الأسلحة هو جزءٌ تافهٌ جداً جداً، وقليل جداً جداً مما في مستودعات الولايات المتحدة الأمريكية، وحليفتها بريطانيا، ومُدَلَّلتها في الشرق الأوسط إسرائيل.. ؟ أم أنَ هذا حلالٌ لكم مُحَرَّمٌ على غَيركم، أَفدنا يا رعاك الله إنَ كنت مؤمناً بالله.... !!

أما تحديد أسعار البترول، فهذا حقٌّ لكل دولة أنْ تطلُبَ ما لا يُناقضُ منظمةَ (أوبك) والأسعارَ العالميةَ، ولا أظنُّ العراقَ بسعره الجديد المُقترَح قد تجاوز المنظمةَ والأسعارَ السوقيةَ، علماً بأن البترول العراقيَّ يُعتبر من أجود أنواع النفط في العالَم، وبكل أسف: حتى لجنة العقوبات التابعة للأمم المتحدة تخضعُ لابتزاز الولايات المتحدة في تحديد الأسعار.. !!

## «بوش» يَقرَعُ طبولَ الحرب:

أرسل الرئيس الأمريكيُّ «جورج بوش» خمسةً من كبار وزرائه ومستشاريه إلى محطَّات التلفزة خلال الأسبوع الماضي، ليُقدِّموا موعظةً خاصةً بالشعب الأمريكيِّ والعالَم بأسره، تَنُصُّ على: قُدسية أيِّ عملٍ عسكريٍّ تقوم به الولايات المتحدةُ ضدَّ العراق؛ على اعتبار أنَّ مَثلَ هذا

العمل يُمثِّلُ وسيلةً للدفاع عن النفس، قبل أن يصل الأمرُ إلى حصول العراق على أسلحة دمار شامل تُهدِّد الأمريكيين في عُقْر دارهم..

وتأتي هذه الحملة المنسَّقةُ لإقناع الشعب الأمريكيِّ: الذي يبدو أنَّ حوالي: 47٪ منه يُعارض أيَّ عمل عسكريٍّ منفرد ضدَّ العراق.

كما تأتي هذه الحملة من كبار الوزراء كرَدٍّ على انتقاد وَجَّهَه الزعماءُ الديمقراطيُّون خلال الأسبوع الماضي لسياسات «بوش» في الشرق الأوسط، وخاصةً: في العراق؛ حيثُ كَتب الرئيس «كارتر» مقالاً مميزاً في: (واشنطن بوست) في 15 أيلول (سبتمبر)، يَنتقدُ فيه التوجُّهات السياسيةَ المتطرِّفةَ للجماعات اليمينية المتطرِّفة المهيمنة على السياسة الخارجيةَ في عهد الرئيس «بوش الابن»، وكذلك كتب الرئيس «كلينتون» في مقال مُشابه. وتأتي هذه الانتقاداتُ في أعقاب انتقادات أخرى أقلَّ حدّةً، وَجَّهها أركانُ الإدارة الكبار في عهد «بوش الأب»، منهم: مُستشار مجلسَ الأمن القوميِّ الأسبق «سكوكروفت»، و«إيجل بيرجر» وزير الخارجية الأسبق، وكذلك «جيمس بيكر» مهندسُ حرب تحرير الكويت عام 1991م. وكلُّهم كانوا يدعون «جورج بوش الابن» إلى التريُّث والعمل من خلال الأمم المتحدة، بدلاً من العمل بشكل منفرد. وقيل: إنَّ هذه الانتقادات المُوجَّهةَ من قِبَلِ أركان الإدارة للجمهوريين السابقين تُمثِّلُ رأيَ «جورج بوش الأب»، وأنَّها قد تُخفِّفُ من الضغوط التي يقوم بها «ديك تشيني» نائبُ الرئيس، في سبيل حمل حكومة «بوش» الحالية على توجيه ضربة عسكرية قوية إلى العراق.

ولعلَّ المُلفتَ للنظر في هذه التصريحات الإعلامية هو: أنَّ «كولن باول» وزيرُ الخارجية الحاليُّ، قد ظهر على شاشات التلفزيون كي يُدافعَ عن قرار على وشك الأخذ من قِبَل الرئيس «بوش» نفسه، وهو ما يُمثِّلُ تراجعاً في موقف «باول» الذي كان يُقال: إنَّه يُعارضُ أيَّ عمل عسكري ضدَ العراق في الوقت الحاضر.. وتحاول «كوندوليزا رايس» مستشارةُ الأمن القوميِّ الحالية أنْ تُمارسَ ضغطاً على الكونغرس كي يَتخذَ قراراً بدعم الحرب قبل أن يذهب «بوش» في إجازته الانتخابية قبل الرابع من نوفمبر المُقبل. وتُحاول الإدارة الأمريكية الحاليةُ استغلالَ ذكرى الحادي عشر من سبتمبر، كي تستفيدَ من الزَّخَم العاطفيِّ المُصاحب لتلك الذكرى الأليمة في نفوس الأمريكيين... وبظهور هذه المقالة بين يدي القارئ سيكونَ «بوش» قد ألقى خطابَه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. ويتوقع أن يُصرَّ الرئيسُ على: أن الحكومة العراقية تُمثِّل خطراً

على جيرانها، وعلى الولايات المتحدة، وسَيَدَّعي أنَّها تَبني أسلحةَ دمار شامل: كيمياويةً وبيولوجيةً، وأنها لم تتقيَّد بشروط وَقف إطلاق النار عام 1991م، ولا بقرارات الأمم المتحدة، وبذلك؛ فإنَّ على الولايات المتحدة الأَمريكية أنْ تتصرَّف بمُفرَدها، أو بمساعدة الآخرين على التخلُّص من النظام الحالي. . . وتحاول الولَايات المتحدةُ في الوقت الحاضر تخفيفَ حدَّة المعارضة المُرتَقبَة لحملتها العسكرية على العراق، وهي في هذا الصدد قد نجحت في عمل الزَّعيمين الكرديَّين: «جلال الطالباني، ومسعود البرازاني» على دفن خلافاتهما القديمة، وقد وافقا مُؤخَّراً عل التعاون، وإحياء أعمال البرلمان الكرديِّ المُجمَّد في شمال العراق.

كما أنَّ تركيا، التي يُتوقَّع أن تقوم بدور رئيسيٍّ في مؤازرة أيِّ عمل عسكريٍّ في شمال العراق، تُطالب واشنطن بدفع الثمن لمشاركتها في مثل تلك الحروب، ولن يقبلَ الأتراكُ بالمبلغ الذي وافق الكونغرس على تَحمُّله بدلاً من الفوائد المترتبة على الديون التركية؛ والذي يصل إلى: 228 مليون دولار. بل إنَّ أنقرةَ تُطالب واشنطن بتخفيف أعباء دُيونها، والتي تصلُ إلى: ستةَ عشرَ مليار دولار، لإنقاذ الاقتصاد التركيِّ المنهار. ومع وصول حزب العدالة والتنمية الإسلاميِّ للسلطة، فقد يتغيَّر كلُّ شيء. ؟ وقد تكون تركيا الجديدةُ حجرَ عثرة أمام ضرب العراق من قواعدها الجوية. .

والسؤال الأكبر هو: هل ستكتفي أنقرةُ بثمن اقتصاديٍّ بَحْت مقابلَ زوال تَحفُّظها على الاشتراك في الحرب. فهناك بعضُ قادة الجيش التركيِّ ممن يريدُون أن تصبح تركيا شريكاً استراتيجياً للولايات المتحدة في المجالَين: العسكريِّ والسياسيِّ، وعلى قَدَم المساواة مع إسرائيل، كما أنَّ هناك أصواتاً خاصَّةً بين الصفوة العسكرية التركية، بدأت تُطالب بضَمِّ شَمال العراق، وإقليم كردستان العراقيِّ إلى تركيا. . !!؟.

ولعلَّ مثلَ هذا الطموح لا يَعكسُ بالضرورة الموقفَ الرسميَّ للحكومة التركية الحالية، ولكنه قد يَعكسُ تَوجُّهَ بعضَ الأحزاب اليمينية في تركيا، وبعض العسكريين المُتعاطفين معها. وأعتقد أنَّ كل هذه الاحتمالات سوف تتغيَّر مع وصول حزب العدالة والتنميةَ الإسلاميِّ إلى سُدَّة الحكم.

والحقيقة: أنَّ السؤال الأكبرَ الآن هو ليس في القيام بالضربة العسكرية، وتَوقيتها، بل في: ماذا ستقوم به القواتُ الأمريكيةُ بعد احتلالها لبلد مُترامي الأطراف، مثل: العراق، وهل ستكتفي

باحتلال شمال العراق وجنوبه، وحرْمان بغداد من النفط وحُقوله، أم أنَّ الأميركيين سيَحتلُّون بغدادَ فعلياً، وسيُقيمون حكومةً بديلةً . . !؟؟

وهناك أسئلةٌ كثيرةٌ عن مدى قدرة العراقيين على الدفاع عن أنفسهم أمام الهجمة الأمريكية، وهل سيقومون بإحراق آبار النفط العراقية بدلاً من تسليمها سليمةً للأمريكيين . . ؟ وماذا ستكون آثارُ ذلك على أسواق النفط العالمية . . ؟

كما أن الأسئلة الاستراتيجيةَ الكبرى ستَطرحُ: مدى تأثير مثل هذه الحرب على مواقع الدول، والقوى الوسطى في العالم، مثل: أوربا، وروسيا، والصين، في تعاملها المستقبليِّ مع زعامة الإمبراطورية، خاصّةً إذا نجحت في تحقيق نصرٍ سريعٍ . . ؟

أما إذا فشلت حكومةُ «بوش» والعسكريون الأمريكيون في تحقيق نصر عسكريٍّ سريع، ونجحت المقاومةُ العراقيةُ في إلحاق خسائرَ بشرية في صفوف الجنود الأمريكيين، فإن آثار هذه الحرب على إدارة «بوش» وعلى الإدارة الأمريكية، قد تقود إلى فيتنام جديدةٍ في المنطقة العربية.

وستكون الإدارة الأمريكيةُ الحاليةُ ـ بحربها على العراق ـ قد ارتكبت خطأً استراتيجياً جَسيماً. وستُعرِّضُ المصالحَ الأميركيةَ واستقرارَ المنطقة لهَزّة عنيفة، ولا زالت النافذةُ الزمنيةُ المحدودةُ مفتوحةً أمام العراق للسماح بعودة مُفتِّشي الأمم المتحدة، ونَزعِ فتيلِ هذه الأزمة قبل فوات الأوان.

## التوضيح والتعليق:

كتب هذا الموضوعَ المُقتَضبَ عن طبول الحرب الأمريكية على العراق، الدكتور: «صالح عبد الرحمن المانع»، أُستاذُ العلوم السياسية ـ جامعة الملك سعود، بتاريخ: 14/ 9/ 2002م. وسوف أحاولُ بإيجاز أنْ أُوضِّح بعضَ المواضيع التي مرَّ عليها الدكتور «صالح» مروراً سريعاً، وعدمَ ذكر بعضٍ من أسباب هذه المواضيع:

لقد ناقض الرئيس «بوش» نفسَه في معالجة بعض الأحداث، ممَّا كشف سوءَ نيَّته، واختلاقه لبعض النقاط الهامَّة في هذا التقرير، وكان أوَّلَ ذلك: أنَّه ذكر أنَّه يقوم بما يُؤمَنُ به للدفاع عن النفس، وقبل أن يصل الأمرُ إلى حصول العراق على أسلحة دمار شامل تُهدِّد الأمريكيين في عُقْر دارهم.. ؟ وهذا اعتراف صريحٌ من الرئيس «بوش» بعدم وجود أسلحة دمار شامل عند العراق؛ لأنَّه يقول ـ وهو الخبير العليمُ ـ: ((قبل أنْ يصلَ الأمرُ إلى حصول العراق على أسلحة دمار شامل)). معنى هذا: أنَّ العراق إلى لحظة خطاب «بوش» بتاريخ: 14/ 9/ 2002م، لا يَملكُ أسلحةَ دمار شامل، وهذا كلام الرئيس وليس غيره. فطالما أنَّ العراق لا يَملكُ مثل هذه الأسلحة، فلماذا هذه الضجَّةُ، ولماذا افتعالُ الأحداث، واختلاقُ الأكاذيب للدِّفاع عن النفس، أي: للدفاع عن أمريكا؛ التي تَبعُدُ عن العراق والشرق الأوسط أكثرَ من عشرة آلاف كيلو متر.. !!؟، فهل لدى العراق صواريخُ عابرةٌ للقارَّات، ومُزوَّدةٌ برؤوس نووية، حتى تستطيعَ تهديدَ الولايات المتحدة الأمريكية فعلاً.. !؟ وإذا كانت العراق تَملكُ مثلَ هذا الأسلحة، فلماذا صَبرتْ عليها الولاياتُ المتحدةُ حتى تُنجزَ هذه الصناعةَ الخَطيرةَ.. علماً بأنَّ لجانَ التفتيش كانت قبل عام 1998م قد دَمَّرت الصواريخَ البلاستية العاديةَ: ذات المدى الذي يَصلُ إلى ألف كم برؤوس عادية، ودَمَّرت أسلحةَ التدمير الشاملِ تدميراً تاماً، بما في ذلك أسلحةُ القصور الرئاسيَّة ـ إن وُجدت ـ.. ؟

فهل استطاعت العراقُ خلال الحصار والجوع والفقر والمرض من عام 1998م، حتى عام 2002م أن تُصنِّعَ الأسلحةَ النوويةَ، وأسلحةَ التدمير الشامل.. !!؟، كيف يَتمُّ هذا كلُّه، ثمَّ يسمحُ العراقُ بدخول المفتشين بدون قيد أو شرط إلى جميع المناطق والقصور والمعسكرات.. ولولا أنه واثقٌ من صحة ذلك، لَمَا دَعا المفتشين وهو يعلم أن وراءَ المفتشين هذه المرةَ التكنولوجيا الأمريكية، التي تنتظر خَطأً بسيطاً من العراق، أو إزعاجَ مفتشيه حتى تَضربَ وتُدمِّرَ وتُشفي غَليلَها من العراق؛ الذي تَعلَمُه أمريكا، ويَعلَمُه العالَمُ أجمع، أنَّ كلَّ ذلك يَتمُّ بتحريض من إسرائيل، ومن اليمين الصهيونيِّ ـ المسيحيِّ في الولايات المتحدة، وصَدَقَ المثلُ الذي يقول: (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت).

إنَّ حقدَ «تشيني» و«بوش» على العراق أعمى بصائرَهُم، وجعلَهُم يتصرَّفون بطَيشٍ من جهة، وغَطْرَسةٍ من جهة أخرى، والتهديد بتنفيذ القرارات دون العودة إلى هيئة الأمم المتحدة

ومجلس الأمن، ممَّا جعل معظمَ عناصر الإدارة الأمريكية يَنتقدون هذه التصرُّفات والتهديدات، وهم المسؤولون مع الرئيس عن السياسة العامّة للولايات المتحدة خارجياً وداخلياً. . حتى أن الرئيس «كارتر» مهندسَ اتِّفاقيات (كامبَ ديفيدَ) ـ حصل على شهادة (نُوبِّل) مؤخراً؛ بسبب مَواقفه المُؤيِّدة للسلام ـ نَقَدَ سياسةَ «بوش» نقداً لاذعاً، وكتب مقالاً مُطوّلاً في (واشنطن بوست) يَنتقدُ فيه سياسةَ «بوش» الداخليةَ والخارجيةَ، ويُندِّد بشدَّة توجُّهَ الجماعات اليمينية المتطرِّفة، التي تُهيمنُ على السياسة الخارجية في عهد «بوش الابن»، حتى الرئيس «بيل كلينتونَ» الرئيسُ السابقُ، نَقدَ سياسةَ «بوش» أيضاً، وطالَبَه بعدم التسرُّع في اتخاذ القرارات وضرب العراق، ولم يخلُ الأمر أيضاً من كبار القيادات الإدارية والسياسية في عهد «بوش الأب»، مثل: «جيمس بيكر» و«إيجل بيرجر» و«سكوكروفت»: الذين طالَبوا «بوش الابنَ» بعدم التسرُّع، وجَعل القرارات تَمرُّ من خلال الأمم المتحدة بدلاً من العمل المنفرد؛ لإضفاء الصِّفة الشرعية على هذه القرارات التي ربما قد تكون مَصيريّةً، ويتوقَّف عليها تغييراتٌ هامّةٌ على المستوى العالمي، والتي يسعى إليها نائبُ الرئيس «تشيني» بكلِّ ما أُوتيَ من قوة، يُؤيِّدُها في هذه السياسة «كوندوليزا رايس»: التي تريد تثبيتَ أقدامها كمستشارة للأمن القوميِّ في عهد «بوش الابن»؛ بإصرارها على الطلب من الكونغرس لكي يَتخذَ قراراً بشأن الحرب ضد العراق، وقبل أن يذهب الرئيسُ إلى أجازته الانتخابية، ولكنَّ هذا الضغطَ منها على الكونغرس لم يَجد قَبُولاً من قِبَل الغالبية الديمقراطية في الكونغرس، وخاصّةً رئيس الديمقراطيين، وبعض أعضاء الكونغرس من الجمهوريين.

هذا وقد أكَّد الرئيسُ «بوش» على الخطر العراقيِّ على جيرانه من جهة، وعلى الولايات المتحدة من جهةٍ أخرى.

لو كان هذا الكلام صحيحاً، أو دقيقاً، لَما وَقفتْ جميعُ الدول المجاورة للعراق ـ وبدون استثناء ـ ضدَّ توجيه هذه الضربة التي تُلوِّحُ بها الولاياتُ المتحدة لتدمير العراق، فأيُّ منطق هذا الذي يُقال. . إذا كان صاحبُ العمل مقتنع بعمله، فهل من المنطق أن يأتيَ صديقُهُ ناصحاً إيّاه بترك عمله، والتفتيش عن عمل آخر أفضل. . ؟

هذا هو منطق «بوش» في هذا التقرير. الدول المجاورةُ للعراق: الكويت ـ البحرين ـ السعودية ـ إيران ـ تركيا ـ سوريا ـ الأردن، جميعُها بدون استثناء، أجابت الوفودَ الأمريكيةَ،

والبريطانيةَ، والأوربيةَ: أنَّها تَعترضُ بشدة على توجيه ضربة ليس للعراق فحسب، بل لأيَّة دولة عربية وإسلامية، . . حتى تركيا الحليفةُ الوفيةُ لأمريكا، لا تُريد ولا تُوافقُ على ضربَ العراق. . فماذا تريد أمريكا غيرَ ذلك من الدول المجاورة للعراق. . !؟

أما أنَّه سيدَّعي: أنَّ العراق تبني أسلحةَ دمار شامل: كيمياويةً وبيولوجيةً. . !؟ فيكون هذا تناقضاً آخرَ جديداً؛ لأنَّه في أوّل الخطاب قال: ((قبل أنْ يُصنِّعَ العراقُ أسلحةَ الدمار الشامل))، وهنا يقول: ((إنَّه سيَدَّعي))، وهذا معناه: الادِّعاءُ الكاذبُ لتبرير الضرب لا أكثرَ ولا أقلَّ.

أما ادعاؤُهُ: بأنَّ العراق لم يَتقيَّد بشروط وَقف إطلاق النار، ولا الالتزام بقرارات الأمم المتحدة. . ؟ فهذا يُكذِّبه الواقعُ؛ لأنَّ العراق كان يُنفِّذ وقفَ إطلاق النار، وقرارات الأمم المتحدة تنفيذاً حرفياً، تَعرفُه اللجانُ المختصةُ، وهيئةُ الأمم المتحدةُ. أما إذا كان المقصود بعدم التزامه بوقف إطلاق النار، بما صنعته اليدُ الأمريكيةُ، والبريطانيةُ بتقسيم العراق إلى ثلاث مناطق: جوية ـ جنوبية، ووسطى، وشمالية. فهذه صَنعَتها اليدُ الأمريكيةُ الآثمةُ، وليست هيئةُ الأمم المتحدةَ: التي لم تَتعرَّف على هذا الإجراء؛ لأنَّه بدون موافقتها، وبالتالي يكون من حقِّ العراق التصدِّي للطيران الأمريكيِّ الذي تخترقُ طائراتُهُ المجالَ الجويَّ في الجنوب أو في الشمال (منطقة الأكراد)، وبذلك يكون العراق هو الملتزمَ بقرارات هيئة الأمم، والولاياتُ المتحدةُ هي المعتديةُ؛ باختلاقها مناطقَ ومجالاتٍ جويةٍ بدون إذن الأمم المتحدة.

وإذا كانت سياسة «بوش» استطاعت أنْ تُزيلَ الخلافات ـ ظاهرياً ـ بين حزب العُمَّال الديمقراطيِّ، بقيادة: «مسعود البرازاني»، والحزب الكرديِّ الديمقراطيِّ، بقيادة: «جلال الطالباني»، من أجل تهيئة الجوِّ لغزو العراق من الشمال بالاتفاق مع الحزبين المذكورين، فلا أظنُّ أن ذلك يَنطلي على هذَين القائدَين اللَّذَين يؤمنان بعراق مُوحَّد، حَسبَ أحدث تصريحات لهما في إذاعة (الجزيرة) من قطر. . فماذا سيكون مَوقفُهُما إذا شاركا بغزو العراق، وفَشلَ هذا الغزوُ. . ؟، فنجاح «بوش» بالمُصالَحة بين «جلال» و«مسعود» من أجل العودة إلى المجلس التشريعيِّ الكردستانيِّ بمنطقتهما، لا يُعتبرُ نجاحاً لـ«بوش» في عملية الغزو، علماً بأنَّ تركيا المجاورةَ لن تسمحَ بقيام مشروع دولةٍ كرديةٍ في شمال العراق؛ لأنَّ ذلك يُهدِّد شرقَ تركيا بكامله بأغلبيته الكردية.

وإنْ كانت تركيا قد تشترك أو تُسهِّلُ غزوَ العراق، فيجب أن تكونَ فاتورةُ الحساب من الولايات المتحدة مُغرِيةً . . ؟

والنقطة الأخيرةُ والمُهِمَّةُ في هذا التقرير هي : ماذا ستفعل أمريكا إذا نجحت بغزو العراق واحتلّته . . !!؟

الجواب : إنَّ غزو العراق واحتلالَه لن يكون نُزهةً للقوّات الأمريكية . فالعراق خاض حروباً عديدةً، ولديه خبرةٌ طويلةٌ، وجيشٌ قويٌّ وبُنيةٌ تحتيةٌ جيدةٌ، وأسلحة متنوعة، والأهم من هذا كلّه : الإرادةُ، والصمودُ . فالإرادةُ العراقيةُ على المستوى العسكريِّ جيدةٌ، وعلى المستوى المدنيِّ : يتمتّعُ الشعبُ العراقيُّ بروح معنوية عالية .

وهناك نقطة مهمة في هذا المجال، هي : الكرهُ الشديدُ لأمريكا ولكلِّ أمريكيٍّ؛ ليس في العراق فحسب، بل في جميع بلدان العالَم العربيِّ والإسلاميِّ، حتى الدولُ الصديقةُ - بحُكّامها - لأمريكا، مثل : المملكة العربية السعودية، ومصر، والأردن، وكلُّ شعوب الخليج، كلُّ هذه الشعوب تكرهُ أمريكا لدرجة الحقْد، ليس فقط : لغَزوها العراقَ؛ بل لأنَّها الدولةُ المنحازةُ شيطانياً، وسياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً لإسرائيل : التي تَقتلُ الفلسطينيين كباراً وصغاراً، وتُدمِّرُ بُيوتَهم، وتَهدمُ مَساكنَهم، وتَقتلعُ أشجارَهم، وتُصادرُ أراضيهم . كلُّ ذلك بأسلحة أمريكية فَتّاكة، تُعطيها أمريكا لإسرائيل بحجَّة الدِّفاع عن الأمن، فتَستخدمُ هذه الأسلحةَ من : طائراتٍ، ودَبّابات، ومدافعَ من أجل قتل المدنيين، وتَدمير بُيوتهم على يد السَّفّاح المُجرم : «أرييل شارون» . وبكلٍّ أسف، فإن «بوش» يُبرِّرُ هذه الأفعالَ لـ«شارون» ويَعتبرُها دفاعاً عن النفس، تَماماً كما يُدافع عن الولايات المتحدة بغزو العراق وتدميره . فإذا فشل بوش بتحقيق نصر سريع - وما أظنُّه إلاَّ فاشلاً بإذن الله - فسوف تتحوَّل العراقُ عندئذ إلى مقبرة للأمريكيين، وتكونُ حرباً ثانيةً على أمريكا، مثلَ الحرب الفيتنامية : التي هَزَّت المجتمعَ الأمريكيَّ، وجعلت الجيشَ ينسحبُ مع أذيال الخيبة من فيتنام .

**أوروبا وإيران تَرفُضان كلامَ «بوش» عن ( دول محورِ الشر) / عن جريدة الحياة - بيروت، تاريخ 2002/2/7م:**

تفاوتت التصريحاتُ أمس، والمواقفُ المتعلّقةُ بالتجاذُبِ الأمريكيِّ ـ الإيرانيِّ، والتهديداتُ الإسرائيليةُ ـ الإيرانيةُ المُتبادَلةُ بين موقف أوربيٍّ معارضٍ للسياسة الأمريكية حيالَ إيران، وموقف أمريكيٍّ غيرِ مُرتاح للتصريحات الإسرائيلية ضدَّ طهرانَ، وكذلك بَرزَت في تلّ أبيب أصواتٌ معارضةٌ لتلك التهديدات، في حين بقيت إيرانُ على موقفها.

وقد أكَّد الإتحادُ الأوربيُّ مُعارضَتَه أُسلوبَ السياسة الأمريكية حيالَ إيران، وجدَّد تَمسُّكَه بمواصلة «الحوار البنَّاء» معها، وقال المتحدث الرسميُّ الأوربيُّ «غونار فيغاند»: إنَّ المُفوَّضيةَ الأوربيةَ تنتظرُ أنْ يُوافقَ وُزراءُ خارجية البلدان الأعضاء، على توصية التفاوض التي عَرَضتها من أجل بَدء مفاوضات (مباحثات) مع الجانب الإيرانيِّ، تَهدُفُ إلى إبرام اتفاق للتعاون الاقتصاديِّ، ورَفضَ وَصفَ المسؤولين الأمريكيين سياسةَ الحوار الأوربيِّ ـ الإيرانيِّ: بـ: السياسة الفاشلة..

وفي طهران: اعتبر وزيرُ الخارجية الإيرانيُّ «كمال خرازي» أنَّ الاتهامات الأمريكيةَ والإسرائيليةَ لإيران ذريعةٌ من أجل تنفيذ المُخطَّط الأمريكيِّ الهادف إلى إيجاد عالَم أُحاديِّ القُطب، تَعملُ من خلاله الإدارةُ الأمريكية على فرض سياستها على العالم بالقوة، وهذا أمر مرفوضٌ على المستوى العالميِّ. ووصف قولَ وزير الخارجية الإسرائيليِّ «شيمون بيرز»: بأنَّ إيرانَ زَوَّدت «حزبَ الله» بثمانية آلاف صاروخ (كاتيوشا) بأنَّه: روايةٌ قصصيةٌ من حياكة الكيان الصهيونيِّ، وهي ليست الأولى، ولن تكونَ الأخيرةَ؛ إذ له باعٌ طويلٌ في نَسج القصص ذات الطَّابَع الدِّعائيِّ، ورأى أنَّ من الطبيعيِّ أنْ تُعاديَ إسرائيلُ «حزبَ الله»؛ لأنه دَحرَ قُوّاتها من جنوب لبنان..

وأكَّد وزيرُ الدفاع الإيرانيُّ الأميرال «علي شمخاني»: أن بلادَه سترُدُّ في شكل لا يَتصوَّرُهُ أحدٌ على أيِّ اعتداء قد تتعرَّض له، مُؤكِّداً عَزمَها على الاستمرار في تطوير قُدُراتها الصاروخية والدفاعية ضمن إطار القرارات والقوانين الدولية..

أما في إسرائيل فقال «بيريز» لـ(إذاعة الجيش): إنَّ إسرائيل لا يُمكنُها تجاهلُ التهديدات الإيرانية. وعندما نَشُمُّ رائحةَ «هتلر» لا بُدَّ من رفع صوتنا.. وفي المقابل نقلت الإذاعة عن

مُوظَّفين في الخارجية الإسرائيلية انتقادَهُم لـ «الهجوم الكلاميِّ على إيران، وإسماعَ أصوات حربٍ لا داعيَ لها»؛ لأن إطلاق حملةٍ ضدَّ إيران لَا يُساعدُ في تهدئة الأوضاع..

وأفادت صحيفةُ (هآرتس): أنَّ واشنطن غيرُ مرتاحة للتصريحات الإسرائيلية العربيدية ضدَّ إيران، وتدعو إلى خفض لهجة التهديد، والتزام الهدوء؛ لتتمكَّنَ من إدارة حربها على (محور الشرِّ) الذي تَعرِفُهُ هي لا غيرُها..

وقالت صحيفة (يد يعوت أحرونوت): إنَّ الإدارة الأمريكية تخشى أن تدفع التصريحاتُ الإسرائيليةُ إيرانَ إلى رُدودٍ غيرِ مرغوب فيها ضدَّ إسرائيل.

وقال رئيس أركان الجيش سابقاً «أمنون ليبكين شاحاك»: إنَّ إيران لم تُهدِّد إسرائيلَ بمهاجمتها، وإنَّ وزير دفاعها «علي شَمْخاني» أطلقَ تصريحاته، رَدّاً على سؤال صحافيٍّ عن موقف بلاده في حال تعرَّضَ مُفاعلُها النوويُّ لقصف إسرائيليٍّ. وسأل: لماذا هذا التهويل..؟ ومَن قال: إنَّ إسرائيل هي الهدفُ من تَسلُّح إيرانَ بصواريخ، ويقُدُرات نووية..؟، مُوْضحاً: أنَّ إيران سَعَت أصلاً إلى التزوُّد بهذه الأسلحة في أعقاب الحرب الطاحنة بينها وبين العراق. وناشد «شاحك» أقطابَ الدولة مُعالَجةَ المشكلات الساخنة التي تؤثِّرُ في الحياة اليومية، وفي مستقبل الدولة العبرية بدلَ البحث عن أعداءَ بعيدين. ونصح القائدُ السابقُ لسلاح الجو «إيثان بن إلياهو» مسؤولي حكومته، بالتنسيق الهادئ مع الولايات المتحدة حيالَ التصدِّي للتسلُّحِ الإيرانيِّ، ودَعمِ طهرانَ لحزب الله وتنظيمات فلسطينية.

وقال الأستاذُ الجامعيُّ «زئيف معوز»: إنَّ إسرائيل فَشلتْ سياستُها النووية، ولم تَردع جاراتها، بل سرّعت في التسلُّح في منطقة الشرق الأوسط، وَآمُلُ بأنْ تُشكِّلَ قُدُراتُ إسرائيلَ النوويةُ أساساً لمفاوضات جدّية في المستقبل على نزع السلاحِ النوويِّ في الشرق الأوسط.. وقد حان الوقتُ لبعض التواضع..

إلى ذلك غادر رئيسُ الحكومة الإسرائيلية «آرييل شارون» أمس إلى واشنطن للقاء المسؤولين الأمريكيين، وأفاد المُعلِّق السياسيُّ في صحيفة (هآرتس)، «ألوف بن»: أنَّ «شارون» سيُطالبُ الولاياتِ المتحدةَ بالضغط على إيران، لتُخرِجَ عناصرَ حرس الثورة الإيرانية من جنوب

لبنان، وتسحبَ الصواريخَ التي نَصَبَتها؛ والقادرةَ على الوصول إلى جميع البلدات شمال إسرائيل. وزاد: إنّ «شارون» يَتَّهِمُ إيرانَ بالسعي لتطويق إسرائيلَ بأذرعٍ أخطبوطية عبرَ دَعمها لحزب الله، وتنظيمات إرهابية فلسطينية، واختراقِ صفوفِ عربِ الداخل، فضلاً عن برنامَجِها لتطوير أسلحةٍ نوويةٍ وصواريخَ بعيدةِ المدى،

وأضاف المُعلِّقُ: أنَّ «شارون» يرى في العملية الأمريكية التي تَتمُّ بَلوَرَتُها «فرصةً لن تتكرَّر، لإزاحة التهديدات الإيرانية على إسرائيل. وعليه: فإنه على استعدادٍ لتجنُّبِ تصعيد القمع ضدَّ الفلسطينيين، بناءً لرَغبة الوِلايات المتحدة؛ في مقابل أنْ تأخذ الوِلاياتَ المتحدةُ في حساباتها في تحديد الدول المُستهدَفة في الحربِ على الإرهاب، مصالح إسرائيل ومخاوفها.

وبحسب (هاآرتس): فإنَّ «شارون» سيُبلِّغُ الرئيسَ الأمريكيَّ: أنَّ إسرائيل لن تقفَ مكتوفةَ الأيدي في حال رَدَّ العراقُ على هجومٍ أمريكيٍّ عليه بصواريخ إلى المدن الإسرائيلية..

وفي بيروت رأى السيد «محمد حسين فضل الله»: أنَّ التهديدات الأمريكيةَ الجديدةَ ضدَّ المنطقة وبعض الدول المعارضة لسياستها، وخصوصاً: إيران، هي بمثابة هَديَّة يُقدِّمُها الرئيسُ «جورج بوش الابن» إلى رئيس حكومة العدوِّ «آرييل شارون»، مُؤكِّداً بنفس الوقت: أنَّ إيران ليست أفغانستان.

## ما بين زُكام «شارون» وعُطَاس «بوش»:

في أيِّ سياقٍ يَحسُنُ أن نضعَ تردُّدَ «شارون» المتوالي على البيت الأبيض - بلغ عدد زيارات «شارون» حتى تاريخ اليوم 17/ 10/ 2002م، سبعَ زيارات والحبلُ على الجرَّار - . . ؟ فلماذا ينجح في كلِّ زيارةٍ في الظَّفر بالمزيد من الدَّعم الأمريكيِّ. . ؟

كانت زيارةُ «شارون» للرئيس «بوش» في الأسبوع المُنصرم الزيارةَ السابعةَ، وهذا الرقمُ قياسيٌّ لم يُسجَّل لغير «شارون» من لدن رؤساء الدول أو الحكومات، ما يعني: أنه لا يغيب عن البيت الأبيض إلاَّ بمُعدَّل شهرَين حتى يُعاودَ الزيارةَ، وينزلَ ضيفاً مُكرَّماً مُرحَّباً به من لدن الرئيس «بوش»، ولم تَخبْ مساعيه - ولا مرةً واحدةً - في إقناع الرئيس بمطالبه، أو شروطه، بل كانت

زياراتُهُ ناجحةً في المطلق، ومُحقِّقةً أهدافَها بدون استثناء. فهل أنَّ الرئيس «بوش» هو الذي يدعو كلَّ مرَّة مُحاورَه الإسرائيليَّ ليَطَّلِعَ مباشرةً ومشافهةً على ما يجري في حلبة الصراع بين إسرائيل وفلسطين، ويتزوَّدَ منه بالمعلومات التي تُمكِّنُهُ من التعرُّف على الحقائق رغبةً في استكمال ما يعتزمُ طرحُهُ من مُبادرة لتحقيق السلام.. ؟ أم أنَّ «شارون» هو الذي يَحرصُ على أن يضع في أذن الرئيس مباشرةً المعلومات التي يحتاجها ليُسارعَ بتقديمها له طريّةً في حينِها؛ حتى لا تضيع بالبلى والتَّقادُم، وحتى يَتلافَى بشأنها كلَّ تحريفٍ من لدن الوُسَطاء، وعبرَ التقارير الديبلوماسية.. ؟؟

فلو كان وراءَ استقبال الرئيس الأمريكي لـ«شارون» كلَّ مرة هاجسُ البحث عن الحقيقة، أما كان عليه أن يسمعَ الحقيقةَ الأخرى من لدن الرئيس «عرفات»: الذي لم يستقبله ولو مرةً واحدةً.. ؟ ولماذا قرَّر سَلَفاً منذ أنْ وَطِئَتْ قدماه البيتَ الأبيضَ: أن يُقفلَ في وجه الرئيس الفلسطينيِّ الأبوابَ، ويُصدِّقَ بشأنه ما يَحملُهُ «شارون» إليه من أحكام مُسبَقَة يُلقي بها جُزافاً عليه وعلى السلطة الفلسطينية لغايةٍ في نفس إسرائيل.. ؟

إنَّ أقلَّ ما تَفرضُه على الرئيس الأمريكيِّ مسؤوليةُ رعاية مسلسل عمليَّة السَّلام التي يُصر على الانفراد بها ويُقصيَ منها غيرَهُ، أن يسمع الحقيقةَ، والحقيقةَ الأخرى، وأنْ يُنصتَ إلى الرأي والرأي الآخر. أليس القاضي مجبورٌ على أنْ يسمعَ من الخصمَين.. ؟ وعلى خلاف ذلك فإنَّ هذا القاضي - أو راعيَ السلام الوحيدَ - لا يَرُدُّ زائرَهُ ولو مرةً واحدةً، خاويَ الوفاض فيما تُصدرُهُ محكمتُهُ الابتدائيةُ على الخصم الغائب.. ؟ فهو يُعلنُ مرةً: أنه يتفهَّمُ مشروعيةَ دفاع إسرائيلَ عن نفسها؛ باقتحامها الأراضي الفلسطينية، وإعادة احتلالها، وقتلها الأطفالَ والمدنيين، واغتيالاتها المنهجية، واعتقالاتها الجماعية، ثم يُعلنُ مرةً أخرى: أنَّ إسرائيلَ على حقٍّ في محاولتها إقصاءَ «عرفات» عن الساحة السياسية، وإنَّما يخالفها في تصفيته جسدياً. وحين يسارع «شارون» إلى تضليل العالَم؛ بأنَّه يَقبَلُ عقدَ مؤتمر إقليميٍّ ومشاركةَ إسرائيل فيه للاتفاق على حلٍّ سلميٍّ تُفرغُهُ من محتواه الشروطُ والإملاءاتُ الإسرائيليةُ، تُسارعُ الديبلوماسيةُ الأمريكيةُ إلى الإعلان عن تأييدها لاقتراح «شارون» في تلٍّ أبيب بعد ذلك: عن تخلِّيه عن اقتراح عَقْد المؤتمر، يُبادرُ الرئيس الأمريكيُّ في واشنطن إلى التصريح: بأن إعداد المؤتمر يحتاج إلى وقتٍ وأنه غيرُ واردٍ الآن.. ؟

أما في زيارة «شارون» قبل الأخيرة ـ الزيارة السادسة ـ فإنَّ الرئيس الأمريكيَّ سارع قبل وصول «شارون» إلى تقديم هدية ثمينة له؛ عندما أعلَنَ أنَّه لا يُوافقُ الرئيسَ «حسني مُبارك» على وضع جدول زمنيٍّ لمسلسل عملية السَّلام، وإعلان الدولة الفلسطينية، وهو ما كان أعلَنَه حرفياً «شارون» من تلِّ أبيب قبل التوجُّه إلى واشنطن.

وعندما قدّم «شارون» شرطَهُ لأنْ يَسبقَ إصلاحُ وإعادةُ هيكلة السلطة مفاوضات السلام، ردَّد في نفس اليوم الرئيسُ «بوش»: أنَّه لا مُفَاوضات بدون تحقيق الإصلاح، الذي يُمكِّنُ الرئيسَ «عرفات» من القيام بواجبه، واجب مُكافحة الإرهابِ، أي: المقاومة. ولم يلبث الرئيس «بوش» أن ردَّد قبل وصول «شارون» إلى البيت الأبيض ما قَالَهُ هذا الأخيرُ عن وصف تغيير الحكومة الفلسطينية: بأنَّه سطحيٌّ وغيرُ مُوْفٍ بالمراد، وأضاف عند استقباله لـ «شارون» في البيت الأبيض: إنه لا يَثِقُ بالحكومة الفلسطينية الجديدة، ولا يَطمئنُّ إلى حُسن نيَّة «عرفات». وقد تَسرَّبت أنباءٌ إثرَ عودة «شارون» من زيارته، تُفيدُ: أنَّه أسرَّ للرئيس «بوش» بتخوُّفه على أمن إسرائيل من إقامة دولة فلسطينية كيفما كان شكلُها، وأنَّه لا يَقبلُها.

وقد يكون الرئيس قد اقتنع بوجهة نظر مُحاوره. ومن يدري.. فقد يُفاجئُ العالَمَ: بأنَّه يُشاطرُ «شارون» مَخاوفَهُ، وأنَّ حلَّ المشكلةَ يجبَ أَن يتحقَّق بدون إقامة دولة، كما كان رأيُ الرؤساء السابقين ـ ولكن «بوش» بهذه الحالة سوف يُناقضُ نفسَهُ عالمياً بشكلٍ مُزْرِي، وهو لا يريد ذلك ـ ولذلك لم يُعط إجابةً صريحةً لـ«شارون» كما طلب منه.

هكذا يظهر بوضوح تَطابقُ وجهة نظر الزائر والمزور، بما يجعلُ منهما رُوحَين سَكَنَا بدناً واحداً. وبذلك نَفهمُ: لماذا كلَّما أُصيبَ «شارون» بزُكَامٍ في تلِّ أبيب، أسرع الرئيسُ «بوش» إلى العُطاس في البيت الأبيض.

هذا ويُفسِّرُ بعضُ المُحلِّلين هذه الظاهرةَ الغريبةَ: بأنَّ حُسنَ نية الرئيس الأمريكيِّ إلى حدِّ السَّذاجة هو الذي يجعلُهُ يقبلُ ويَتبنَّى جميعَ أُطروحات «شارون». ويقول آخرون: إنَّ نقصَ خبرته بخَبايا اللُّعبة السياسية هو السببُ، بينما يَميلُ مُحلِّلون آخرون إلى: أنَّ الرئيس مقتنعٌ بأن تجديد انتخابه لولاية جديدة على رأس البيت الأبيض لا يُمسِّكُهُ بقبضته إلاَّ اللُّوبي الإسرائيليِّ المستحوذُ على مقاليد الأمور في الولايات المتحدة. وأنْ لا مناصَ للرئيس من أن يكون عند

حُسن ظنٍّ هذه القوَّة الضاغطة، حتى لا يَحصلَ له ما حصل لوالده: الذي خاب في الحصول على ولاية ثانية؛ لأنَّ اللُّوبي الصهيونيَّ ـ الإسرائيليَّ خَذَلَه، وآثرَ عليه الشابَّ الوسيمَ «كلينتون» المتعاطفَ أكثرَ مع إسرائيل..

والواقع أن هذه التأويلات لا تُصيبُ كَبِدَ الحقيقة، ولا يتمحَّصُ واحدٌ منها لاستكناه ما وراء الأكَمة.

إنَّ المؤكّدَ هو: أنَّ تعامل الرئيس الأمريكيِّ مع النزاع العربيِّ ـ الإسرائيليِّ، يخضعُ لإكراهات الحلْف الاستراتيجيِّ الذي يَربطُ بين إسرائيل وبلاده، والذي أصبح بعد حرب مكافحة الإرهاب أقوى أحلاف الولايات المتحدة على الإطلاق.

ومنذ أنْ شنَّ الرئيس «بوش» حربَهُ على الإرهاب، راهنَ على أنْ تكسبَ إسرائيلُ حربَها على إرهاب فلسطين، وأولاهَا دَعمَه غيرَ المشروط؛ لأنه اعتبر أنَّ حرب إسرائيل حربٌ ضدَّ الإرهاب، وأنَّ رئيس الحكومة الإسرائيلية هو حليفُهُ الموضوعيُّ في محاربة إرهاب منطقة الشرق الأوسط.. وهو ما تَمظهَرَ في تعاطُف وجهتَي النظر بين الجانبين، خاصةً بعد أنْ قام «شارون» بعملية إسقاط كاملة لحرب الإرهاب الدولية على حرب الإرهاب التي أعلنها في فلسطين.. أقنع «شارون» البيتَ الأبيضَ: أنَّ السلطة الفلسطينيةَ، وعلى رأسها «عرفات» بالأخصِّ، هي الأختُ الشقيقُ لحكومة طالبان، وأنَّ إرهابها يُضاهي إرهابَ «ابن لادن» وطالبان، وأنَّ حكومة «عرفات» يجب أن يُقضى عليها كما قُضي على حكومة طالبان، وأنَّ محاربة الإرهاب تقضي بأنْ يُصبحَ على رأس فلسطين قيادةٌ جديدةٌ، ورئيسٌ جديدٌ؛ كما تَغيَّر حُكمُ طالبان بحُكم الرئيس «كرزاي». وأنَّ تُدخَلَ على تنظيمات السلطة الفلسطينية إصلاحاتٌ، كإصلاحات «كرزاي»: التي تقطع الصلةَ بالماضي، وأنْ تُقْمَعَ حركةُ ـ بل حركات ـ المقاومة الفلسطينية، وتُكتسحَ الأراضي الفلسطينية، مثلما فَعلَت الولاياتُ المتحدةُ بطالبان ومقاتلي القاعدة، وأنْ لا تتقيدَ إسرائيلُ بفلسطين حكومةً مُواليةً لها، على غرار حكومة أفغانستان الموالية للولايات المتحدة الأمريكية، وأنْ لا تتقيدَ إسرائيلُ ـ مثلُ أمريكا ـ بنصوص القانون الدوليِّ في قمع مُتمرِّدي فلسطين، وفقاً لمَا تَمَّ في قمع مُتمرِّدي القاعدة.. وحيثُ أبقى المجتمعَ الدوليَّ على الخَلْط الذي اكتنفَ مَفهومَي

الإرهاب، ومقاومة الاحتلال الأجنبيِّ، فإنَّ إسرائيل أسقطت هذا الخلطَ على حربها وعلى المقاومة الفلسطينية، ولم يَسعَ الرئيس «بوش» إلاَّ الانخراطَ فيه.

ولا بد أنْ نَتلمَّسَ أيضاً أسبابَ التطابق بين وجهتَي النظر في سعي الرئيس الأمريكي إلى تكريس القُطبية الأُحادية، وإعلاء قرارات الولايات المتحدة على قرارات الشرعية الدولية، وإعطاء «شارونَ» سلطةً مُفوَّضةً لممارستها ـ بالنيابة عنه ـ في تخليق منطقة الشرق الأوسط. . ومنذ نشأة إسرائيل، وزَرعها في المنطقة العربية جسماً غريباً، وهي مُرشَّحةٌ للقيام بدور الشُّرطي حامي مصالح الغرب. لكنَ بعد 11 أيلول (سبتمبر)، أخذت إسرائيلُ تُمارسُ هذا الدورَ بقوة وشَراسة، وفي مأمنٍ من كلِّ تدخُّلٍ للولايات المتحدة: التي أمضَتْ لها على صَكِّ التفويض الشامل.

## التعليق والتوضيح:

لقد تعوَّدنا انحيازَ الولايات المتحدة لإسرائيل، ومعاداتَها للقضية الفلسطينية، وللعروبة والإسلام، أمَّا أن يصلَ الانحيازُ إلى درجة العمى، فهذا الذي ما كُنَّا نتوقَّعُه، حتى وصل الأمر بين الطَّرفين: عندما يَتغيَّر الطَّقسُ ويُصاب «آرييل شارون» بالزكام، فإن «بوش» يُجاوبُهُ بالعُطاس من الولايات المتحدة. ولعلَّنا لم نسمع عن أيِّ رئيس دولة في العالم يزورُ دولةً أخرى بمُعدَّل شهرَين أو أقلّ بين الزيارة والأخرى، فهل هو الحبُّ القاتلُ ـ الذي يقول فيه المثلُ العربيُّ: (ومن الحب ما قتل). . !!؟ ـ أم هي المصالحُ المشتركةُ بين الدولتين. . ؟، أم زيارةُ الطفل المدلَّل لأبيه. . ؟، أم اشتياقُ الأب لابنه ليُزوِّدَه بالنُّصح والإرشاد. . ؟ ولعلَّنا نجدُ هنا العكسَ تماماً: أنَّ الولد المدلَّلَ هو الذي يُوجِّه الأبَ السَّاذَجَ، الذي يحتاج إلى الترشيد والتوجيه. والغريب في هذه الزيارات: أنَّها جميعها وبدون استثناء ناجحةٌ، يَظفرُ منها «شارون» بكلِّ احتياجات الولد المُدلَّل.

الذي لا شَكَّ فيه أنَّ سبب هذه الزيارات المكُّوكيَّة ـ التي سبق فيها «شارون» «كيسنجر» زمانه ـ يعود لسببين:

1 ـ القضية الفلسطينية ـ الإسرائيلية، التي بلغت مَداها في عهد «شارون»: الذي قضى نهائياً على اتفاقية (أوسلو)، وقيام الدولة الفلسطينية من خلال حُكمٍ ذاتيٍّ مُوسَّع، ينتهي بالاستقلال، وإقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غَزَّة.

تَمَّ تدميرُ البُنية التحتية نهائياً، مع هدم البيوت، واقتلاع الأشجار، والاعتقال لكل مقاوم أو مناضل، أو كل مُصنَّف أنَّه عدوٌّ ومُقاومٌ للاحتلال.

2 ـ قضية العراق، ونقل المعلومات، والتحريض على تدميره نهائياً؛ لأنَّه الخطرُ الوحيدُ على الوجود الإسرائيليِّ، بسبب ادعاءات إسرائيلَ وأمريكا حيازَتَه لأسلحة التدمير الشاملِ وحتى النوويِّ.

ـ إن الانتفاضة الفلسطينيةَ أَقْضَّتْ مضاجعَ كلٍّ من «شارون» و«بوش الابن» بصُمُودها، وقَبولِها للتَّضحيات التي لا تُقدَّر بثمن، بإرادةٍ حديديةٍ، ومعنوياتٍ عالية.

الأمرُ الذي رفضته الدولُ الحليفةُ لأمريكا هو إصرار «بوش» عدمَ مقابلة «عرفات» ومُصافحَته، بل يستقبلُ «شارون» سبعَ مرَّات متتالية. فهل هكذا يكون الحكمُ يا «بوش».. !؟ وصَدَق الشَّاعرُ العربيُّ «المتنبي» عندما قال:

يا أعدلَ الناس إلاَّ في مُعاملَتي ... فيك الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكَمُ

فلماذا يُقفلُ في وجه الفلسطينيين البابَ ـ بابَ البيت الأبيض ـ ولا يريد أن يسمع حُجَّتهم، أو وجهةَ نظرهم في قضية هزَّت قلوبَ العالَم من تَصرُّفات إسرائيلَ الحمقاء في القتل، والتدمير، والذبح، والتهجير. فهل يتصرَّف «بوش» من خلال القَناعة المُسبَقة، التي لا تَقبلُ نقاشاً، أو سماعاً لوجهة نظر الآخر. أليس المعقول ممَّن يدَّعي أنَّه راعٍ أوحدُ للسَّلام في صراعٍ بين خصمَين، أنْ يسمعَ الطَّرفَين بدون انحياز، ثمَّ يُعطي قرارَهُ وحُكمَهُ حتى لو كان مُنحازاً إلى جانب دون الجانب الآخر.. !؟، المُهمُّ أن تَشعرَ الأطرافُ أنه قاضٍ ولو نَظرياً، أمَّا أن يَسُدَّ البابَ في وجه، ويفتحَهُ على مصراعَيه في الوجه الآخر، فإنه بذلك يكون قد أثبت انحيازَهُ وحماقتَهُ، وأنَّه لا يَستحقُّ هذا المَنصبَ.

عندما يدَّعي أنه يتفهَّم مشروعيةَ دفاع إسرائيلَ عن نفسها، وأنَّها تَقتحمُ الأراضيَ الفلسطينيةَ لتُعيدَ احتلالَها، وتقتلَ الأطفالَ والنساءَ والكبارَ، وتَهدمُ البيوتَ، وتُفَجِّرُ الأبنيةَ، وتعتقل الفلسطينيين بالجملة وبدون تمييز، ثم يقول: إنَّها بكلِّ هذه الأفعال على حقٍّ؛ لأنها تُدافعُ عن نفسها، يكون بذلك عدواً حقيقياً للفلسطينيين.

ولكنه عندما لا يَسمح لـ«شارون» بتصفية «عرفات» جسدياً، بل يقبلُ منه الحصارَ، والتجويعَ، والإذلالَ مع قتل كلِّ مَن يُساندُ «عرفات»، فإنَّه يكون بذلك قد عَملَ عملاً إيجابياً لصالح القضية الفلسطينية. . ، وطبعاً: الهدفُ من عدم موافقته على التصفية الجسدية لـ«عرفات»، ليَكسبَ الحلفاءَ والأصدقاءَ إلى جانبه، لعمله الإنسانيِّ المتميز الذي لا تُقبلُ فيه إزهاقُ روح «عرفات». . ولكنَّ إزهاقَ أرواح النساء والأطفال والرجال مسموحٌ به لـ«شارون»؛ لأنه دفاعٌ عن النفس؛ لأنَّ النساء قد تَلدُ الرجالَ، والأطفالُ سيَكبَرُون فيُشكِّلونَ خطراً على إسرائيل بعد مدة عشر أو عشرين سنة. . ولذلك يجب قتلُهُم قبل أن يَكبَرُوا ويشكلوا خطراً على أمن إسرائيل. . ؟

حتى المؤتمراتُ السلميةُ عندما يطرحُها «شارون»، مثلَ طرحه لمؤتمرَ إقليميٍّ، ثم يَنسحبُ من طرحه، فإن «بوش» يُبرِّر له ذلك ويقول: إنَّ إعدادَ مؤتمرٍ كهذا يحتاج إلى دراسة وإلى وقتٍ أطول، وهو الآن غيرُ وارد. . !!

بارك الله لك يا «شارون» بهذا المحامي البارع؛ الذي يُحضِّر لك الأعذارَ، ويُحلِّلُك من الوقوع بالأخطاء. .

وحينما يُطرح على «شارون» وضعُ جدول زمنيٍّ لمسلسل عملية السلام، وإعلان الدولة الفلسطينية، ويَطلبُ التريُّثَ للدراسة والتفكير، فإن «بوش» يُجيب عنه في واشنطن: إن هذا الطرح مرفوض لأنَّه يُكبِّل القيادةَ الإسرائيليةَ بقيود هي في غنىً عنها. . ؟. ويتعجَّبُ «شارون» من سرعة بديهة «بوش» وإجابته التي تناسب إسرائيلَ، ولكن «شارون» حتى لا يظهرَ بمظهر العاجز، أو الفاشل أمام الإجابات الاستراتيجية عن دولته، فإنه يقول: لا مانع من طرح الرئيس «مبارك» لجدولة زمنية من أجل قيام الدولة الفلسطينية، ولكن بشروط إسرائيلَ المتمثِّلة بقيام السلطة بعملية إصلاحية، وإعادة هيكلة السلطة، والقضاء على الإرهاب الفلسطينيِّ، وعندما يجيب عرفات بـ: نعم للإصلاح، والهيكلة، ولحكومة جديدة، يُجيبُهُ كلٌّ من «شارون» و«بوش»: يا حضرة الرئيس «عرفات»: بصريح العبارة، نحن لا نُريدُك رئيساً للدولة الفلسطينية، ولا نريدك مُفاوضاً؛ لأنَّك عدوٌ لإسرائيل، فارحل

فإنَّ وجودك يُمثِّلُ حَجرَ عَثرة في المفاوضات، وفي قيام الدولة الفلسطينية؛ لأنَّ اللُّوبي الصهيونيَّ في أمريكا لن يُعطيَ أصواتَهُ الانتخابيةَ إلاَّ لمن يرضى عنه «شارون» واليهود في أمريكا، فوجودُك مزعجٌ لنا في إسرائيل، ومزعج أكثرَ لـ«بوش» واللُّوبي في أمريكا.

وفي إثارة حماس «بوش» لإسرائيل، يُشبِّهُ له «شارون» الفلسطينيين بطالبان في أفغانستان، و«عرفات» بـ«ابن لادن»، فلنقتسم الغنيمةَ يا صديقي «بوش»: أنت قضيتَ على طالبان والقاعدة في أفغانستان، وأنا سأقضي على الفلسطينيين و«عرفات» في فلسطين، فنكون قد قضينا على الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط بكامله.

أما العراق فيجب أن نتعاون للقضاء عليه، ويجب علينا أنْ لا نلتزمَ بالقرارات الشرعية

المختار لإسرائيل ـ تَجعلُنا فوق القوانين الدولية، فلنكتسح نحن فلسطين، كما اكتسحت يا «بوش» أفغانستان، ولنقمع حركات الإرهاب العربية الإسلامية ـ الفلسطينية، التي يُسمُّونها مقاومةَ الاحتلال المشروعة. فالشرعية للقوة، ولِمَن يستطيعُ أن يعملَ بها.

ولتكن يا سيدي «بوش» أنتَ شرطيَّ العالَم في قارَّة آسيا، وأنا شرطيَّ إسرائيل لمنطقة الشرق الأوسط.. فأفيقوا يا عرب.. !!

## أمريكا وأدلتها الكاذبة ضد العرب والمسلمين:

الإدارة الأمريكية تُعلن: أنَّ الأمة العربية مُستهدَفةٌ في هذه الحرب القَذرة، ولكي تُبرِّرَ استمرارَ عُدوانها، تُقدِّمُ كلَّ يوم أدلةً كاذبةً عبرَ الفضائيات. ثمَّ تَلحَسُ تلكَ الأدلةَ:

عَقدَ وزير العدل الأمريكيِّ وعددٌ كبيرٌ من مسؤولي وكالات الاستخبارات الأمريكية، مُؤتمراً صحافياً للإعلان عن اعتقال مواطن أمريكيٍّ من أصل عربيٍّ، يُدعى «عبد الله المهاجر» في شهر أيار (مايو) المُنصَرم، وبعد شهر كامل من التحقيقات معه، وُجِّهت إليه تُهمةُ الإعداد لصُنعِ قُنبُلة إشعاعية؛ لإلقائها على مدينة شيكاغو.

قبلها: صَدرَ قانون أمن الدولة الأمريكيِّ الموجَّه بالأساس ضدَّ العرب، والذي أثار موجةَ غضب واسعة وسطَ العرب الأمريكيين، ووسط مُنظَّمات حقوق الإنسان في الولايات المتحدة، الذي اعتبرته قانوناً عُنصرياً، ومُنتهِكاً للدستور الأمريكيِّ نفسه.

وبعدها اتَّضحت صورةُ «عبد الله» الإرهابيِّ؛ بأنَّ المخابرات الأمريكيةَ قد انتزعت منه اعترافاً بأنَّه اعتقلَ لمجرَّد التفكير، لمجرَّد أن المخابرات الأمريكيةَ أجبرته على التفكير؛ بأنَّه ينوي صُنعَ قنبلةَ يحلُمُ بأن يُلقيَها على أحد المراكز الصناعية الأمريكية، وأن عملَهُ هو جزءٌ من مُخطَّطات القاعدة: التي يقودها «أسامة بن لادن». وتَذكَّرت قصةَ ذلك المُعتَقَل في أحد الدول العربية بتُهمة أنَّه حَلَمَ بانقلاب ضدَّ النظام، وعَجزَ ذلك المُعتَقَلُ ـ وَسطَ أنواع التعذيب الوحشيِّ ـ عن تذكُّر اسم قائد الانقلاب، فبقي في السجن حتى يستعيدَ ذاكرَتَه.. !!. بعدها أعلن وزير الدفاع الأمريكيِّ عن الأخبار التي وصلت إليه: عن تَسلُّل قوات القاعدة إلى كشمير الباكستانية لشَنِّ الهَجَمات ضدَّ القوات الأمريكية.. وخلال زيارته إلى عدد من دول مجلس التعاون الخليجيِّ، أعلن وزير الدفاع الأمريكي: أنَّ حكومتَه باتت مقتنعةً بأنَّ العراق يُطوِّرُ أسلحةَ الدمار الشامل، وأنَّه يتعاون مع قوات القاعدة، وبالتالي: فإنَّه ينوي، أو تنوي قواتُ القاعدة توجيهَ ضَرَبات للولايات المتحدة ـ تَماماً كمَن حَلَمَ بوقوع الانقلاب ـ وعلى واشنطن، أياً كانت وجهةُ النظر للشعب العراقيِّ في هذه القيادة المحمولة بالصواريخ الأمريكية، والمُلطَّخة بدماء أطفال العراق. ولم يفت الوزير الأمريكيَّ ـ في مؤتمره الصحفيِّ الذي عَقدَه على متن سفينة قيادة الأسطول الخامس ـ القول: بأنَّ مَهمَّتَه تَمتدُّ أيضاً للحديث حول وسائل، وقَنَوات التَّمويل للمنظمات الإرهابية. وقد فَهمَها الناسُ في البحرين بأنَّها تعني: التبرُّعات التي قام بها شعبُ البحرين وأشقاؤُه في دول مجلس التعاون خلال الأشهر الماضية للمنظمات الجهادية الفلسطينية، كحركة حماس، والجبهة الشعبية، وحركة فتح، وحركة الجهاد الإسلاميِّ، فكلُّها مندرجةٌ في قائمة الإرهاب.

فمنذ اعتداءات الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)، تَشُنُّ الولايات المتحدةُ حرباً عالميةً ضدَّ عدوٍّ تُسمِّيه «الإرهابَ الدوليَّ»، وتُعبِّرُ عنه بوضوح: بأنَّ المقصود به: هم العرب، وليس المسلمين. فالاعتقادات متركزةٌ في أوساط عرب شبه الجزيرة العربية، ومصر حتى

المغرب، وحتى الحرب التي شَنَّتها على أفغانستان، وأبادت فيها مُدُناً وقُرىً كاملةً. (يجري الآن تحقيقٌ في مجزرة ارتكبها الجيشُ الأمريكيُّ قُتل فيها ثلاثةُ آلاف من الشعب الأفغانيِّ، وقد تكون غالبيتُهُم منَ العرب الموجودين هناك).

كان التركيز فيها على العرب، وكانت غالبيةُ الأسرى الذين أخذتهم القواتُ الأمريكيةُ إلى جوانتانامو في كوبا من العرب. وأتبعَتْ حربَها المذكورةَ بإعطاء الضوء الأخضر لـ«شارون» ليَشُنَّ العدوانَ المُكثَّفَ على شعب فلسطين؛ حيثُ وَصفت الإدارةُ الأمريكيةُ جميعَ التنظيمات الثورية والجهادية المناضلة لتحرير فلسطين: بأنَّها إرهابيةٌ، وبالتالي فإن الجيش الصهيونيَّ هو جزءٌ من الجيش العالميِّ الذي تقوده الولايات المتحدة في الحرب ضدَّ الإرهاب العربيِّ في فلسطين، أما فرق (إف. بي. إي) المنتشرةُ في غير مكان، فإنَّها تقوم بأدوار لا تَقِلُّ أهميةً عن الأدوار التي تقوم بها جيوشُ الحلفاء الغربيين في ساحات المعارك العسكرية.

تعلن الإدارة الأمريكية وتتصرَّف مع القادة العرب ـ مَن زارها ومَن لم يَزُرها ـ: إنَّ الأمة العربيةَ مُستهدَفةٌ في هذه الحرب القذرة، ولكي تُبرِّرَ استمرارَ عُدوانها تُقدِّمُ كلَّ يوم أدلةً كاذبةً، ومعلومات كاذبةً عبر الفضائيات، ثم تَلحَسُ تلك الأدلةَ، بعد أن تكون ـ هذه الأدلَّةُ ـ قد أعطت مفعولَها داخلَ الولايات المتحدة لشَحنِ الأمريكيين، وإقناعهم بعدالة الحرب القذرة التي تَشُنُّها حكومَتُهم.

وحيث أعلنت الشعوب العربيةُ خُطَّتَها للدفاع عن النفس، بالمقاطعة للبضائع الأمريكية والصهيونية، وتَضامُنها المُطلَق مع شعب فلسطين، وعدم تَردُّدها عن توأمة الأُسَر الفلسطينيةَ والعربية الأخرى، وإرسال المساعدات المالية وسواها، فإنَّ بعض الحكومات العربية تتوهَّمَ بأنها قادرةٌ على إقناع الإدارة الأمريكية بالوقوف إلى جانب الحقِّ العربيِّ، وأنَّها ستُقدِّمُ لشعب فلسطين دولةً مستقلةً، مؤقتةً بعض الوقت منزوعةَ السلاح طولَ الوقت، بعد أن يَتمَّ ترتيبُ البيت الفلسطينيِّ؛ ليكون قادراً على الإسهام في مكافحة الإرهاب... !!

بعد كل هذا: إلى متى سيبقى الملوكُ والرؤساءُ العربُ غارقين في سُباتهم، حالمين بالتحرير وهم يَغُطُّون في سُبات عميق.. أفيقوا يا عربُ من النوم، قبل أن يأتيَ موعدُ شَهر الصوم.. ؟ـ وشرُّ البليَّة ما يُضحِكُ.. !!!

## الحملة العدائية ضدَّ مصر والسعودية:

ـ تزايدت الحملة العدائيةُ الغربيةُ والصهيونيةُ ـ الأمريكيةُ على مصر والسعودية، فما هو تفسير ذلك يا تُرى:

الحقيقة: أنَّ هذه الحملةَ على مصر والسعودية يقف وراءَها اللُّوبي الصهيونيُّ ـ واليمينُ المسيحيُّ المتطرِّفُ في أمريكا؛ لأنهما أكبرُ دولتَين عربيَّتين وإسلاميَّتين، ولأن التنسيق بينهما قويٌّ، ورؤيتَهُما متطابقةٌ ومتفقةٌ على رفض الممارسات، والتسويف، والمماطلة الإسرائيلية في عدم تطبيقها للاتفاقيات والالتزامات، وانتهاكها كافةَ حقوق الإنسان في فلسطين، كما أنَّ من أسباب الحملة حمايَتُهُما للإسلام، والقيَم الإسلامية في العالَم الإسلاميِّ، وهما في الحقيقة من رُوَّاد صَدّ هذه الهجمة الظالمة على الإسلام والعروبة، كيف لا.. وهما قلبُ العالَم العربيِّ والإسلاميِّ.

لذلك فلا بُدَّ من ضرورة التفاف كافة شعوب الدول العربية والإسلامية حول قيادتها، لمواجهة التحدِّيات التي تُواجهُ الأمةَ؛ لأنَّ مواقف أمريكا من العرب والمسلمين، والعروبة والإسلام، وما تفعله إسرائيل في فلسطين، حَمَّسَ الكثيرين من علماء الدين الإسلاميِّ، والمسلمين في بلدان العالَم على تنفيذ المقاطعة الشاملة لإسرائيل في فلسطين، ومقاطعة المنتجات الأمريكية، وكذلك يجب على المسلمين في بلدان العالَم على تنفيذ المقاطعة الشاملة لإسرائيل، ومقاطعة المنتجات الأمريكية، وكذلك يجب على المسلمين فعلُ ذلك حتى في قلب الولايات المتحدة الأمريكية. صحيحٌ أنَّ الأمر صعبٌ، ولكن هناك الكثيرُ من النوافذ الجانبية التي يستطيع المسلمون النفاذَ منها، وذلك: بتَصيُّد الأخطاء التي تقع فيها المؤسَّساتُ والشركاتُ الأمريكيةُ مع القائمين عليها حينما يُسيئون للإسلام والمسلمين في أمريكا. عند ذلك يجب تشجيعُ المقاطعة من أجل هذه الإساءات، واتِّهامهم بالتمييز العنصريِّ؛ بأنَّهم ضد الإسلام والمسلمين والعرب. هذا ويجب أن يُنادى ويصوت عال: بحق تقرير الشعوب الضعيفة والمظلومة، ومنها: الشعب الفلسطينيُّ، الذي يجب أنْ يُحدِّد هو كيف يُقرِّرُ مصيرَهُ، وأنَّ له حقَّ الدفاعَ عن نفسه، وعن وطنه، بالطريقة المناسبة، طالما أنَّ إسرائيل لا تستجيب لحقوقهم المشروعة.

هذا، وفي سؤال عن المطالب المطلوبة من العالَم الإسلاميِّ ومؤسَّساته الإسلامية والسياسية، أجاب المسؤول: يجب المطالبةُ بدور سياسيٍّ أكبرَ لمنظمة المؤتمر الإسلاميِّ، مثل: دور جامعة الدول العربية في مناصرة حقوق الشعوب العربية الإسلامية، ومناصرة حقوق الأقلِّيَّات المسلمة والعربية في جميع أنحاء العالم، خاصةً في: الهند، والصين، وأوربا، وأمريكا، ونُوجِّهُ أهميةً متميزةً إلى قضية: فلسطين، والعراق، وكشمير؛ لأنهم في هذه البلدان يعيشون تحت ظُلم وإجحاف، وبخاصة الظُّلم الذي يواجِهُهُ الشعب العراقيُّ نتيجةً للحصار الطويل، والأمراضِ الفتَّاكة بهم.

ويجب أن تُطالَب الدولُ العربيةُ والإسلاميةُ، والمنظماتُ الإسلامية العربية، وغير العربية، الحكوميةُ وغيرُ الحكومية، أن تتدخَّل لنصرة الأقلِّيات العربية والإسلامية في أمريكا، والدول الغربية، وخاصةً بعد أن صدرَ قانون الإرهاب الأمريكيِّ عامَ 1996م، وعام 2001م، الذي فصَّلتهُ أمريكا إجحافاً ضدَّ العرب والمسلمين.. أفلا يَستحقُّ هؤلاء التحرُّكَ من أجلهم..؟

## إصرار أمريكا على الإرهاب وتَحدِّي العالَم وهيئةِ الأمم:

إنَّ الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكتف بإصدار القوانين الإرهابية ضد العرب والمسلمين، بل ضدَّ العروبة والإسلام، بل راحت تَتهدَّد وتَتوعَّد، وتُلاحقُ الناسَ على الشبهة دون البيِّنة. فهل هذا هو العدل، وهل هذه هي الحريةُ، وهل هي هذه المساواةُ والشعاراتُ التي تَدَّعيها الولاياتُ المتحدةُ..!!؟، ليس ذلك فقط، بل إنَّها نَصَبَتْ على مدخل أهمِّ مدينة أميركية تمثالاً تَشعُّ منه الحريةُ.. الذي أصبحت تَشعُّ منه الآن النزعةُ الإرهابيةُ، والسلطة التسلُّطيَّةُ إلى جميع البلدان العالمية. متَّهمين العراقَ بأنه يُهدِّدُ أمريكا، ويُهدِّدُ بريطانيا، ويهدِّدُ السلام العالميَّ؛ لأنَّه يُفكِّرُ ـ مجرَّدَ التفكير ـ بالصناعة النووية..

في خطاب مشهور بتاريخ 17/ 9/ 2002م، للرئيس «بوش الابن»، و«توني بلير» رئيس وزراء بريطانيا، جاء فيه الآتي ـ نقلاً عن: مؤسسة الأهرام / واشنطن، من هدى توفيق ـ:

حذَّر الرئيس الأمريكيُّ «جورج بوش»، ورئيسُ الوزراء البريطانيُّ «توني بلير» مما وَصَفاهُ بالتهديد الحقيقيِّ الذي يُمثِّلُه العراقُ للعالَم كلِّه؛ بسبب امتلاكه أسلحةَ الدمار الشاملِ

ـ والتفكير بالسلاح النووي ـ، وطالَبَا بضرورة الردِّ على ذلك التهديد، والسعيِّ إلى تشكيل أكبر تحالُفٍ دوليٍّ ممكنٍ لمواجهته.

ووصف المتحدِّثُ باسم البيت الأبيض اللِّقاءَ الذي عُقِدَ في (كامب ديفيد) أمس بين «بوش» و«بلير» بأنَّه: كان ممتازاً، وقالَ: إنَّ الزعيمَين تباحثا في التهديد الذي يُشكِّلُه «صَدَام حسين» على السلام العالميِّ، وفي أهمية إقناعِ المجتمع الدوليِّ بهذا التهديد.

وأضاف المتحدثُ: أنَّ «بوش» و«بلير» اتفقا خلال الاجتماع ـ الذي استغرق أكثر من ثلاث ساعات ـ على أنَّ «صدام» ونظامَهُ يُمثِّلان مُشكلةً ليس فقط للولايات المتحدة وبريطانيا، بل للمجتمع الدوليِّ الذي يتحدَّاه «صدَّام حسين» منذ أكثر من عشر سنوات.

وذكر «بوش» من جانبه: أنَّ مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية أعلنوا منذ أربعة أعوام: أنَّ العراق بحاجة إلى ستة أشهرٍ لاستكمال جهوده بشأن تطوير أسلحة نوَوية، وقال: أتريدون أدلةً أخرى بعد ذلك.. ؟ وأضاف «بوش»: يجب أن نَحُلَّ المشكلةَ للمحافظة على الأجيال المقبلة.

أما «بلير» ـ الذي عاد أمس إلى بلاده ـ فقد قال: إنَّ اعتماد سياسة عدم التحرك هو كأمر لا يُمكن الموافقةُ عليه؛ إذا أردنا أن نكون مسؤولين، وإنَّ التهديد العراقيَّ حقيقيٌّ ليس للمنطقة فقط، بل لمجمل المجتمع الدوليِّ. وأكَّد «بلير» ضرورةَ وجود تفتيش دوليٍّ فاعلٍ تماماً على برنامج التسلُّح العراقيِّ.

أما «كولن باول» وزيرُ خارجية أمريكا، فقد أكَّد أنَّ حكومته تبحث كلَّ الخيارات بشأن العراق، وأنَّه أيّاً كان القرارُ الذي سيتَّخذُهُ «بوش»، فإنه يَعتزمُ طرحَ القضية أمام المجتمع الدوليِّ. وذكر «باول» في تصريحات لهيئة الإذاعة البريطانية أمس: أنَّ العراق لا يزال ينوي الحصولَ على السلاح النوويِّ، لكنه يحتاجُ إلى تسعة أعوام قبل أن يتمكَّن من إنتاجه.

وقال «باول»: إنَّ «بوش» لم يُقرِّر بعدُ القيامَ بعمل عسكريٍّ ضدَّ العراق. وأضاف: إنَّ العراق أضعفُ حالياً بكثير عمَّا كان عليه خلال حرب الخليج، وإنَّ قدرة الجيش العراقيِّ تساوي ثُلُثَ، أو ما يزيدُ بقليل عمَّا كانت عليه منذ 12 عاماً. غيرَ أنَّه شدَّد على ضرورة عودة مفتشي الأسلحة الدوليين إلى العراق لمعرفة ماذا فعل العراقيون منذ عام 1998 م.. !!؟

وجدَّد «باول» اعترافَهُ: باستمرار وجود خلافات داخلَ الإدارة الأمريكية بشأن كيفية التعامل مع العراق، وقال: إنَّ مستشاري «بوش» لديهم آراءً مختلفةٌ، لكنهم يتحاورون معاً بشتّى الطرق، وأضاف: إنَّ «بوش» يَدرُسُ جميعَ الخيارات السياسيةِ والديبلوماسيةِ والعسكرية.

ومن ناحية أخرى، ذكر مسؤولون أمريكيون: أنَّ العراق كَثَّف مُحاولاته للحصول على أسلحة نوويةً؛ من خلال البحث عن موادّ لصنع القنبلة النووية. وقالوا في تصريحات لوكالة (رويتر): إنّه خلال الشهور الأربعةَ عشرَ الماضيةَ، حاول العراقُ شراءَ آلاف من أنابيب خاصَّة، مصنوعة من الألمنيوم، يُعتقدُ أنها تستخدم كمُكوِّنات لصنع اليورانيوم المُخصَّب، ثم أضافوا: إنَّ «صدام» التقى في الأشهر الأخيرةِ عدّةَ مرات مع كبار العلماء النوويين العراقيين؛ حيثُ أشاد بعملهم..؟

وأشار المسؤولون إلى أنَّ مُنشقِّين عراقيين كانوا مشاركين فيما مضى في برنامج الأسلحة النوويِّ العراقيِّ، أبلغوا الإدارةَ الأمريكيةَ: أنَّ الحصول على أسلحة نووية أصبح مرةً أخرى إحدى أهمِّ أولويات العراق.

ومن جانبها أكَّدت «كوندا ليزا رايس» مستشارةُ الأمن القوميِّ الأمريكيةُ: أنَّه ينبغي عدم التهاون إزاءَ التهديد الذي يُمثِّلُه العراقُ، وإلاَّ ستكون العواقبُ وخيمةً على الجميع وليس على الولايات المتحدة وحدَها.

ومن جانب آخر: ذكر متحدِّثٌ باسم هيئة الطاقة الذرية أمس: أنَّ الصور التي نشرتها الصُّحُفُ الغربيةُ أخيراً: التي التُقطت بالأقمار الصناعية، وأظهرت وجودَ عمليات بناء جديدة في مواقع عسكرية، هي صورٌ قديمةٌ، أذاعتها الوكالةُ في شهر يوليو الماضي، وقالَ المتحدث: إنَّ الوكالة لم تُصدِّر تقريراً جديداً عن أسلحة نووية، أو محاولات عراقية لإنتاج هذه الأسلحة، وأضاف: أنَّ هذه الصور لا تَدلُّ على أنَّ العراق استأنف العمل ببرامجه النوَوية.

وعلى الرغم من اعتراف وزير الخارجية الأمريكيِّ «كولن باول» و «سكوت ريتر» رئيس فريق التفتيش الدوليِّ السابق: بأنَّ العراق ضعيفٌ، ولا يَملكُ أسلحة نووية.. ورغم التحذيرات الدولية المتواصلةِ من مَغبَّةِ أيِّ هجومٍ عسكريٍّ على العراق.. فقد أكَّد الرئيس

الأمريكيُّ «بوش» ورئيسُ وزراء بريطانيا «توني بلير»، أنَّ لندن وواشنطن تتقاسمان العزمَ نفسَهُ لمواجهة ما سَمَّياهُ: الخطرَ الذي يُمثِّلُه العراق. . وقد أعلن «باول»: أنَّ العراق قد يكون بحاجة إلى تسع سنوات قادمة كي يتمكَّنَ من إنتاج السلاح النوويِّ ـ إذا توفرت له الموادُّ الأوليةُ من خلال الحصار ـ وهو حالياً أضعفُ بكثير ممَّا كان عليه قبل 12 عاماً. ثم أضاف «باول»: إنَّ الرئيس «بوش» يحتفظ بخيار التحرُّك من طرفٍ واحد.

أمَّا «سكوت ريتر» فقد قال: إنَّ ما يحدث الآن ناجمٌ عن الوضع الداخلي الأمريكيِّ، وإنَّ الولايات المتحدةَ أساءت استخدامَ عمليات التفتيش سابقاً، وأعتقد أن الطريق الوحيد لتفادي الحرب هي في عودة المفتشين إلى العراق، من خلال آلية جديدة، يُشرفُ عليها راعٍ نزيهٌ، مُكوَّنٌ من دولة أو مجموعة دول ضمنَ حدود صلاحيات مجلس الأمن الدوليِّ، ودونَ مَساس بسيادة العراق وكرامته وأمنه الإقليميِّ. ثم أكَّد «ريتر»: أنَّ العالَم برُمَّته سوف يسقطُ في أحضان الفوضى إذا غزتَ الولاياتِ المتحدة العراقَ؛ لأن هذا الغزو سيؤدي إلى تدمير مبادئ القانون الدوليِّ، ويُبيِّنُ للعالَم أنَّه لا نيَّة للولايات المتحدة للالتزام بالمواثيق الدولية. وهذا ممَّا يُفقدُها مَكانَتَها وزَعامتَها وديمقراطيَّتها إلى الأبد.

في ألمانيا: جدَّد المستشارُ الألمانيُّ «غيرهارد شرويدر»، والرئيس الفرنسيُّ «جاك شيراك» رفضَهُما لأيَّة ضربة عسكرية للعراق، وكرَّر «شرويدر» موقفَهُ الرافضَ للعمل العسكريِّ الذي تقوده الولايات المتحدةُ، وقال: أبلغت الرئيسَ «شيراك» أن ألمانيا لن تُشاركَ في أيِّ عمل عسكريٍّ من هذا القبيل.

في فرنسا: قال الرئيس «شيراك» في مؤتمر صحفيٍّ مشترَك مع «شرويدر»: إنَّ ألمانيا وفرنسا مُتفقتان على معارضة أيِّ عمل عسكريٍّ ضدَّ العراق، وتُشدِّدان على أنْ تلعب الأممُ المتحدةُ دوراً في هذه القضية، وأضاف قائلاً: يوجد موقف أوربيٌّ موحَّدٌ بهذا الشأن.

في تركيا: قال رئيس وزرائها «بولند أجاويد»: إنَّ تركيا لا تريد حرباً في المنطقة، مؤكِّداً الأهميةَ الكبيرة التي تُوليها بلادُهُ لموضوع العراق. في حين جَدَّد وزير الدفاع التركي «صباح الدين شكماك أوغلو» رفضَ تركيا لأيِّ عمل عسكريٍّ ضدَّ العراق وقال: إنَّ تركيا تعمل على سياسة بديلة تحمي مصالحَها.

في فنلندا: أعلن وزير خارجيتها «إيركي توميوجا»: أنَّه لا تُوجدُ أيّةُ أدلة تَدعَمُ المزاعمَ القائلةَ: إنَّ للعراق صلةً بالإرهاب، وأنَّ أيَّ عمل ضدَّ العراق يجب أنْ يَحْظى بموافقة الأمم المتحدة. . ثم قال: إنَّ تغيير الحكومة العراقية لا يُسوِّغُ شَنَّ حرب ضد العراق.

في أثينا: استبعد «كوستاس سيميتيس» رئيسُ الوزراء اليونانيُّ أيَّ مشاركة لبلاده في الهجوم على العراق، وقال: إنَّ مثل هذا الهجوم الأمريكيِّ سيُثيرُ المَزيدَ من التوتُّر في الشرق الأوسط، خاصةً أنه ليس هناك مُسوِّغاتٌ كافيةٌ تَدعَمُ شَنَّ هذا الهجوم.

عن أوروبا: قال «خافيير سولانا» مسؤولُ السياسة الخارجية في الإتحاد الأوربيِّ: إنَّ عملاً عسكرياً ضدَّ العراق سيُثيرُ مشكلات أخرى، وأنَّ الإتحاد الأوربيَّ يُفضِّلُ أن يكون القولُ الفصلُ في هذه المسألة للأمم المتحدة.

عن مصر عربياً: حذَّر السيد «أحمد ماهر» وزير الخارجية المصريُّ من توجيه ضربة عسكرية للعراق من قِبَل الولايات المتحدة الأمريكية، مُؤكِّداً أنَّ الرفض الدوليَّ يتزايد بشأن هذه المسألة، وشدّد «أحمد ماهر» في تصريح له أمس، على ضرورة التحرُّك من خلال الأمم المتحدة، وحلِّ الأزمة العراقية سلْمياً، وعدم التصرُّف بشكل فرديٍّ مُخالف لميثاق الأمم المتحدة، وطالبَ «ماهر» المجتمعَ الدوليَّ باتخاذ موقف يَنسَجمُ مع مبادئ العدل والإنسانية تجاهَ العدوان الإسرائيليِّ المتواصل على الشعب الفلسطينيِّ، محذراً من استمرار السياسة الإسرائيلية الحالية التي تَنتهكُ كلَّ القوانين الدولية وقرارات الشرعية الدولية.

في كندا: قال رئيس وزرائها «جان كريتيان» في تصريحات للصحفيين: إنَّه لم يرَ بعدُ أيَّ دليل على نوايا «صدَّام»، مؤكِّداً أنَّ الأمم المتحدةَ هي المكانُ الذي يجب تسويةُ موضوع العراق فيه، وطالَبَ بمواصلة الضغط على بغداد من خلال مجلس الأمن، ليتدخَّلَ المجلسُ مباشرة في الأمر قبل أن يَتمَّ اتخاذُ أيِّ إجراء.

في استراليا: أكَّد رئيس وزرائها: أنَّ بلاده ستَحصَلُ على جميع الأدلة اللاَّزمة؛ التي تَربطُ بين بغداد وأسلحة الدمار الشامل قبل أن تُشاركَ في أيِّ هجوم تقودُهُ الولاياتُ المتحدةُ ضدَّ العراق، ثمَّ قال: إنَّه ليس هناك عملٌ وشيكٌ ضدَّ العراق في الوقت الذي ما زالت فيه الجهودُ

الدِّبلوماسيةُ جاريةً لحلِّ الأزمة سلمياً. وأضاف: إنَّ الأستراليين لن يكونوا طرفاً في أيِّ عمل عسكريٍّ ضدَّ العراق إذا لم يَتمَّ عرضُ الأمر على البرلمان.

هذا وقد أكَّد وزيرُ خارجية كندا «بيل غراهام»: أنَّه يريد من «بوش» تقديمَ دليل على أنَّ العراق يُنتِجُ أسلحةَ دمار شاملٍ، وأنَّ لديه القُدرةَ على استخدامها، وأنَّه يُخطِّطُ لذلك فعلاً، وليس اجتهاداً.

في بريطانيا: أعلن وزير خارجيتها «جاك سترو»: أنَّ هدف الأسرة الدولية هو تدميرُ الترسانة العراقية، وليس قلبَ نظام «صدام حسين»، مُبتعداً بذلك عن الموقف الأمريكيِّ، وعن موقف رئيس وزرائه «توني بلير» المُتحمِّسِ لضرب العراق، وتغييرِ نظام الحكمِ أكثرَ من «بوش» والولاياتِ المتحدة.

وأضاف «سترو»: إذا تأكدنا من تَخلُّص العراق التامِّ وغيرِ المشروط من أسلحة الدمار الشاملِ وبشكلٍ سِلميٍّ فإنَّ خيار استخدامِ القوة العسكرية سيتراجعُ.

وأضاف مرةً أخرى، في مقابلة لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) في نيويورك: يُمكن التوصُّلُ إلى تغيير النظام نتيجةَ تدخُّلٍ عسكريٍّ، كوسيلةٍ وحيدةٍ لتطبيق رغبة الأمم المتحدة، لكنْ علينا التركيزُ على أسلحة الدمار الشاملِ.

في العراق: سأل «طارق عزيز» الولاياتِ المتحدةَ: هل أمسكوا شُحنةَ سلاح نوويٍّ.. ؟ أين الدليل.. ؟

الدليلُ هو: أنْ تُمسكَ شحنةً وتُثبتَ أنَّها موادُّ نوويةٌ، حتى ولو كانت لغير العراق.. فلماذا التَّجنِّي والفجورُ على العراق.. ؟

## المناقشة والتعليق للحملة العدائية ضد مصر والسعودية:

1 ـ في تزايد الحملة العدائية الصهيونية الأمريكية على مصر والسعودية تحاملٌ غيرُ صحيح، وانحيازٌ لا يحتاج إلى دليلٍ؛ لأنَّ الذي واجهته مصرُ من موضوع الإرهاب لم تواجهه لا

أمريكا ولا بريطانيا. أمَّا إسرائيل فإنَّها ليس لم تواجه إرهاباً قط، بل هي الإرهابُ الأكبرُ نفسهُ؛ لأنَّ الفلسطينيين عندما يقاتلون الإسرائيليين يقاتلونَهُم دفاعاً عن بلدهم، ويقاومون الإرهابَ الإسرائيليَّ دفاعاً عن أنفسهم وبيوتهم وأعراضهم ومُقدَّساتهم. ولذلك التنسيق بين الصهيونية من جهة، واليمين المسيحيِّ المُتصَهين من جهة أخرى في الولايات المتحدة، أبعاداً لا تبتعد كثيراً عن أعين المُحلِّلينَ السياسيِّين بتحامل مَدروس ضدَّ مصر والسعودية؛ من أجل إبعادهما عن دعم القضية الفلسطينية، ورفعِ الظلم عن العراق؛ لأنهما من أكبر وأهمِّ الدول العربية والإسلامية بعملية الصراع العربيِّ-الإسرائيليِّ من جهة، والفلسطينيِّ-الإسرائيليِّ من جهة أخرى، ناهيك عن ميزانِهما الراجحِ في عملية رفع الظلم والاضطهاد عن العراق وأطفال العراق.

أما دور المنظَّمات الإسلامية، مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، ولجنة القدس، ومنظمة جامعة الدول العربية، فإنَّ عَليها واجباً أكبرَ بكثير ممَّا قَدَّمته حتى الآن، وإنَّ دعمها لحركات التحرُّر العربية والإسلامية واجبٌ مُقدَّسٌ؛ لمَا يَلحقُ المسلمين من ضَيْم وظُلم في البلدان التي تُناضلُ فيها من أجل تحقيق العدالة فيها، والحصول على تقرير المصير، مثل: كشمير؛ الذي يُشَكِّلُ المسلمون فيه الأَغلبيةَ الكبرى، والهند تَرَفُضُ تقريرَ مصيره منذ عام 1947م، التي نَصَّت عليها قراراتُ الأمم المتحدة، بسبب موقعها الاستراتيجيِّ، ومثل: الشيشان؛ الذي يُناضل من أجل استقلاله المفقود، وحقِّ تقرير مصيره؛ لأنَّ المسلمين يُشكِّلون فيه حوالي: 99٪، ومثلها في بقية المناطق كما حصل في البوسنة، وكوسفو، وما يجري في الفليبين.

ولماذا تَحشُرُ الدولُ القويةُ أنفَها في القضايا الداخلية للدول الأخرى، مثل: قضية «سعد الدين إبراهيم» في مصر، بحُجَّة حقوق الإنسان، فهَلاَّ نظرت أمريكا وإسرائيلُ إلى حقوق الإنسان في بُلدانهما. في أمريكا: اعتقالٌ على الشُّبُهات، وتفتيشٌ بدون إذن، ومراقبةُ الهواتف، والتصنُّتُ عَلى المكالمات، أليس كلُّ هذا من حقوق الإنسان، أم الاعتقالُ الطويلُ بدون محاكمة هو امتيازٌ أمريكيٌّ؛ فمُعتقلين (كوانتانامو) في جزيرة كوبا سواء كانوا من الأفغان، أو الأفغَان العرب، أو من باكستان، أليس من حقِّهم إجراءُ تحقيق عادل، ويوكَّلُ لهم محامون يُدافعون عنهم، ومعاملتُهُم معاملةً إنسانيةً كأسرى، في بلد كأمريكا تَدَّعي الديمقراطيةَ، وأنَّها بلدُ الحرِّية..؟

أما قتلُ اليهود للعرب في فلسطين، والمجازرُ التي يرتكبونها بالطائرات والدبابات والمدفعية هي عمليات دفاع عن النفس، وتطبيقٌ لمبادئ حقوق الإنسان..؟ أم أنَّ قانونَي الإرهاب الأمريكيِّ اللَّذان صَدَرا عام 1996م، وعامَ 2001م، قد فُصِّلا لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية فقط..؟

هذا ما جاء في مناقشة التعليق على الحملة العَدائية التي تقودُها الولاياتُ المتحدةُ والغربُ وإسرائيلُ ضدَّ مصرَ والمملكة العربية السعودية.

## مناقشة الإصرار الأمريكيِّ على الإرهاب وتحدِّي العالم وهيئة الأمم المتحدة:

أصبحت الولايات المتحدة اليومَ - بذراعها الطويلة - تَتَّهِمُ وتُلاحقُ وتَعتقلُ وتَقتُلُ على الشبهة، ودون الحصول على البينة، ولا أعلمُ السببَ.. أهو الخوفُ..؟؟ أم أنها الذراعُ الطويلةُ التي تريد أنْ تُرهبَ كلَّ مَن يقف بوجهها، أو لا يقف بصَفِّها، أو يُعارض أقوالَها وتصرُّفاتها، حتى أصبحتَ الدولُ الصديقة والحليفةُ تَشكُّ بكلِّ ما تقولُه أو تفعله على جميع الصُّعُد، مثل قولها: إنَّ «صدام حسين» يُشكِّلُ خطراً جسيماً على الولايات المتحدة وعلى المجتمع الدوليِّ، وعلى العالَم أجمع..؟

هل من المعقول: أنَّ العراق بإمكانياته المتواضعة، وعدد سُكَّانه القليل، وبأسلحته التقليدية - بعد تدمير الصواريخ ذات الرؤوس العادية - وبعدمِ وجود قُدُرات نووية لديه - كما صرَّح المفتشون والسياسيون، وتدمير كل ما لديه من أسلحة التدمير الشامل، وبالحصار الشديد المفروض عليه منذُ أكثرَ من عشر سنوات يُشكِّلُ تهديداً لأقوى دولة في العالم؛ التي تستطيع أنْ تَمحيَ العراقَ وغيرَهُ من خريطة العالم..؟ ليس ذلك فحسب.. بل تريد أمريكا أنْ تُقنعَ المجتمعَ الدوليَّ بأكمله بهذا الخطر المدمِّر القادم من العراق، ومن أجل ذلك يَعقدُ «جورج بوش» و«توني بلير» اجتماعاً مُستعجَلاً من أجل مناقشة التهديد الذي يُشكِّلُه «صدام حسين» على السلام العالميِّ، واتخاذ التدابير المناسبة، والقرارات السريعة لوَقفه عند حَدِّه، وخاصةً: أنه منذ أكثرَ من عشر سنوات وهو يقودُ التحدي والخطرَ على العالم.. بماذا يقود التحدي..؟ إنَّه يقودُهُ - حسب تقدير «بوش» و«بلير» - بتفكيره فقط، أي: أنَّ «صدام حسين» يُفكِّر بالسلاح النوويِّ، فلمجرد هذا

التفكير يجب أن نَسبقَه ونُدمِّرَ له ليس تفكيرَهُ فقط، بل بتدمير العراق بكامله، وقتل «صدام»، وتغيير نظام الحكم تَغييراً جذرياً. . هذا كلُّه عقاباً لأنَّه يُفكِّرُ بالسلاح النوويِّ. . !! فكيف يكون التصرُّفُ معه لو كان يَملكُ جزءاً صغيراً من هذا السلاح الذي تَملكُه إسرائيلُ، والصينُ، والهندُ، وباكستان، وفرنسا، وبريطانيا، وصاحبةُ السيادة أمريكا، علماً بأنَّ إسرائيل هدَّدت أكثرَ من مرة: بأنَّها ستُزيلُ العراقَ من خريطة الشرق الأوسط. . ؟ أليس هذه يا أمريكا مَن تستحقُّ العقوبةَ، وهي التي تُهدِّدُ السلامَ العالميَّ. . ؟

ذكر الرئيس «بوش»: أنَّ مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية أعلنوا منذ أربعة أعوام: أنَّ العراق بحاجة إلى ستة أشهر لتطوير أسلحته النووية، واعتبر ذلك دَليلاً مادياً ملموساً، مُخاطباً السامعين: هل تريدون بعد ذلك أدلةً أخرى. . !!؟ وكأنه يَستجدي آذانَ سامعيه بأنْ يُوافقوه على آرائه ونظراته المستقبلية. أما الآن، ونحن في نهاية عام 2002م يا سيادة الرئيس، وقد مضى على تحديدك للفترة الزمنية لتطوير الأسلحة النووية في العراق ـ استناداً لشهادات وأقوال المفتشين كدليل لا يقبل النقضَ ـ أكثرُ من ستِّ سنوات بدلاً من ستة شهور. . فماذا أنتَ مُجيبٌ على رأيك الخاطئ ورأي المفتشين الذي استندتَ عليه. . !!؟ كان هذا التصريحُ عامَ 1996م، ونحن الآنَ في عام 2002م، والعراقُ المحاصرُ لم يَزَل مُحاصَراً، والأطفالُ المرضى لا يزالون، والخطرُ الذي تحدثتَ عنه لم يقع، فكيف يُصدِّقُك بعد ذلك الشعبُ الأمريكيُّ، وأقصدُ من ذلك: المُثقَّفين والسياسيِّين وكبارَ رجالِ الإدارة الأمريكية.

أما الشعب الأمريكيُّ السَّاذَجُ، فإنَّ أغلبيَّتَهُ الساحقةَ تنام بين الورود، ولا يعرفون شيئاً عن الغائب أو المفقود، فتكفيهم النوادي الليلية، والمقاصفُ المتناثرةُ، والمسابحُ، والشاليهاتُ؛ حيثُ يَقضُون أيّامَهم في اللهو والعبث والفجور.

أما شقيقك «بلير» ـ التابعُ الوفيُّ على السَّراء والضّراء ـ فيقول: إنَّ اعتماد سياسة عدم التحرك هو أمرٌ لا يمكن الموافقةُ عليه باعتبارنا مسؤولين عن التهديد العراقيِّ للسلام العالميِّ، وعن ضرورة تفتيش دوليٍّ فاعل على برنامج التسلُّح العراقيِّ. . أقدم يا سيادةَ رئيس الوزراء في بريطانيا العظمى سابقاً، تابعاً ذليلاً للسيد «بوش» فقُلْ ما يقولُ، وافعلْ ما يَفعَلْ. . فإذا كنتَ رجلاً وطنياً صادقاً، وسياسياً بارعاً، فانظر إلى شعبك، وانظر إلى سِجلِّك بينهم، وانظر إلى شَعبيَّتِك

كيف تَدنَّت، وإلى زملائك أعضاء حزبكَ ـ أُنظُر إلى كلِّ هؤلاء تَعرفُ مَن أنت، وكيف أصبحتَ بسيرك الأعمى خلفَ سياسة «بوش» الحاقدة على الأمة العربية والإسلامية، وخاصةً على القضية الفلسطينية؛ التي سَمحَتْ لـ «شارون» واليهودِ في فلسطين أنْ يُدمِّروا، ويَقتُلُوا ويَقصفُوا بأمرٍ من «بوش» وبأسلحته الأمريكية، وصَدقَ الشاعرُ القائلُ:

أســدٌ علينــا ولليهــود نَعَامــةٌ  رَيْـدَاءُ تَهـرُبُ مـن صفـير الصَّـافر

بارك الله لك يا «بوش» في «شارون» ـ مجرمِ الحروب ـ، واعلم: أنَّ التاريخ لـن يَرحَمَكَ، فقد سبقتَ الأولين والآخرين بانحيازكَ إلى جانب إسرائيل ضدَّ الفلسطينيين: الذين تَعرِفُهُم بقَراراةِ نفسك أنَّهم هم المظلومون، وأنت الظَّالمُ لهم.

أما وزير خارجية أمريكا «كولن باول»؛ الذي أثنى على كلام «بوش» بالنسبة للتفتيش والتهويش، ولكنَّه اختلف معه في ظاهرة ليس لها سابقةٌ في السياسة الأمريكية، عندما قال: نعم إنَّ العراق لا يَملكُ أسلحةً نوويةً تُهدِّدُنا، ولكنه يَنوي الحصولَ على السلاح النوويِّ.

أُنظُر أيها القارئ الكريمُ قولَهُ: إنه ينوي، بينما قال «بوش»: عن النيَّة.. ؟ ويا ليتها نيَّةٌ مُستعجَلةٌ.. ؟ فتفكيرُ «بوش» قادَهُ إلى فترة: 4 ـ 6 سنوات. أما نيَّة «كولن باول» فتقول بالنصِّ: «لكنه يحتاج إلى تسعة أعوام على الأقل». إذن بين التفكير لدى «بوش» والنية لدى «كولن باول» فرقُ ثلاث سنوات في نظرية الفراغ المأمولة. فماذا نقول للخبراء والمفتشين والاختصاصيِّين بصيانة الأسلحة واتخاذ القرارات الصحيحة.. أم أنَّه كلَّه جَرْشٌ في الهواء.. ؟ أليس هذا تضليلاً للرأي العام العالمي.. ؟

ثم يؤكد «كولن باول» ـ وهو الخبيرُ العسكريُّ المُحنَّك ـ: الذي قاد حربَ الخليج الثانيةَ، وقاد التَّحالفَ الدَّوليَّ ضدَّ العراق عام 1991م: إنَّ جيش العراق اليومَ أضعفُ بكثير مما كان عليه خلال حرب الخليج ـ وخاصةً بعد تدمير أسلحة التدمير الشامل والصواريخ البلاستية ـ، وإنَّ قدرةَ الجيش العراقيِّ في عام 2002م لا تُساوي سوى ثُلُث ما كانت عليه قبلَ اثني عشر عاماً أو ما يزيد بقليل، يعني: في حدِّه الأقصى بنسبة: 40٪ فقط، من قُدُراته السابقة.

حتى وصلت درجةُ الخوف المُصطَنع من العراق بالنسبة لمحاولة تصنيع الأسلحة النووية، أنَّ العراق استوردَ أنابيبَ للتمديدات من الألمنيوم، فأوَّلُوها: بأنَّ العراق قد يستطيع أنْ يُصنِّع من أنابيب الألمنيوم مُكوِّنات لصُنع اليُورانيوم المُخصَّب، وبواسطة اليورانيوم هذا يُصنِّعُ أسلحتَه النوويةَ. . وممَّا يُؤسَف له: أنَّ المنشقِّين العراقيين يُؤلِّبون أمريكا على ضرب بلدهم، ويَدَّعون أنَّهم يعلمون أنَّ أولويات السياسة العراقية هو الحصولُ على الأسلحة النووية، ولكنهم أمام الدليل ظهروا عاجزين عن ذلك، فيا لَعارِهم لضَرب بلدهم. . !!

هذا وقد أكد «سكوت ريتر» رئيس فريق التفتيش الدوليُّ، و«كولن باول» وزيرُ الخارجية الحاليُّ، القائدُ العسكريُّ السابقُ، صرَّحا: بأنَّ العراق الآن ضعيفٌ، ولا يَملكُ أسلحةً نوويةً ألبَتةَ. . ثم صرَّح «سكوت ريتر» بعبارة صريحة: إنَّ ما يحدثُ الآن من تَخبُّط في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ناجمٌ عن الوضع الداخليِّ الأمريكيِّ من جهة، وعن إساءاتها لاستخدام عمليات التفتيش من جهة أخرى، وعندما كانت تُوجِّهُهُم كجواسيس لها على العراق.

ويطالب «سكوت ريتر» بأنَّ المفتشين عندما يعودون، يجب أن تكون عودَتُهم براعٍ نزيه - أي: تحت رعاية راعٍ نزيه غير مُنحاز، ضمن صلاحيات مجلس الأمن الدوليِّ، ودون المَساس بسيادة العراق، مُؤكِّداً: أنَّ عملية غزو العراق سوف تُدمِّرُ مبادئَ القانون الدوليِّ، وتقضي نهائياً على الالتزام بالمواقف الدولية، وتصبحُ الفوضى هي السائدةَ، وأنَّ العالم برُمَّته عند ذلك سوف يسقطُ في أحضان الفوضى القاتلة.

## رأي دول أوروبا وأستراليا بسياسة «بوش» الإرهابية:

ففي بريطانيا: يُعلنُ وزير خارجيتها «جاك ستروا» أنَّ هدف الأسرة الدولية هو تدميرُ التَّرسانة العراقية وليس قلبَ نظامَ العراق وتدميره وتغيير نظامه، وكأنَّ «ستروا» يريد أن يخرجَ عن سياسة رئيسه، ولكنه لا يستطيع التصريحَ، بل اكتفى بقوله مرةً أخرى: إننا إذا تأكَّدنا من تخلُّص العراق التامِّ وغير المشروط من أسلحة الدمار الشامل وبشكل سلميٍّ، فإنَّ خيار استخدام القوة العسكرية سيتراجعُ. ولا نعرف مدى صدق هذا القول، أو أنه مناورةٌ مُتَّفقٌ عليها مع «بلير».

ثم يعود فيصرّحُ مرةً أخرى في مقابلة له مع هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) في نيويورك: أنَّه يمكن التوصُّلُ إلى تغيير النظام العراقيِّ نتيجةً لتدخُّل عسكريٍّ، كوسيلة وحيدة لتطبيق رغبة الأمم المتحدة، لكنْ علينا التركيزُ على أسلحة الدمار الشامل. وكأنَّ الأممَ المتحدةَ أعطته رَغبتَها، ومَنحَته قرارَها من أجل تغيير النظامِ العراقيِّ بالوسائل العسكرية، أليس هذا هو الإرهابُ بعينه..؟

أما في فرنسا: فقد أكَّدت على معارضتها لأيِّ عمل عسكريٍّ ضدَّ العراق، إلاَّ إذا جاء عن طريق هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشكل مدروس وديمقراطيٍّ، وهذا ليس موقفَ فرنسا فقط، بل إنَّه موقفٌ أوربيٌّ موحَّد بهذا الشأن، هذا إضافةً إلى تنسيق فرنسا مع ألمانيا بموقف واحد حول هذا الموضوع.

في ألمانيا: أكَّد المستشارُ الألمانيُّ «غيرهارد شرويدر»، والرئيس الفرنسي «جاك شيراك» رَفضَهما القاطعَ لأيِّ ضربة ضدَّ العراق؛ لأنَّ العمل العسكريَّ الذي تقوده الولايات المتحدة ضدَّ العراق غيرُ شرعيٍّ، ولا يُمثِّلُ مبادئَ هيئة الأمم المتحدة ومجلسِ الأمن، وأنه ضدَّ القرارات الأُحادية القُطبية، وضدَّ الأعمال العسكرية الحربية.

في تركيا؛ الدولة الحليفة للولايات المتحدة: يقف «بولاند أجاويد» رئيسُ الوزراء التركيُّ مؤكِّداً موقفَهُ، كمثل موقف فرنسا وأمريكا -بدون اتفاق طبعاً-، وأنَّه لا يريد حرباً في المنطقة التي تكفيها مشكلةُ الشرق الأوسط بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حتى وزيرُ دفاعه «صباح الدين شكماك أوغلو» يَرفض القتالَ ضدَّ العراق، ويعتقدُ أنَّ المصالح المشتركةَ -وخاصَّةً الاقتصاديةَ والجغرافيةَ- بين تركيا والعراق، تكفي للدخول ضدَّ هذه الحرب التي تُصرُّ عليها الولاياتُ المتحدةُ، وجلب الدول الحليفة معها، إمَّا بالقوة والتهديد والوعيد، وإمَّا بخروجها عن طاعتها، وعند ذلك يجب أن تتحمّلَ الدولُ الخارجةُ عن طَاعة أمريكا مسؤوليةَ عدم سماع كلمتها.. والويل لها من سوء العاقبة..

حتى وزير فنلندا «إيركي توميوجا» يصرح قائلاً: إنَّه لا توجد أدلةٌ ماديةٌ ملموسةٌ تَدعَمُ المزاعمَ الأمريكيةَ التي تقولُ: إنَّ للعراق صلةً مع الإرهاب، ولا نقبلُ بمشاركة تَخرجُ عن نطاق موافقة الأمم المتحدة.

أما رئيس الوزراء اليوناني «كوستاس سيميتس»: فإنَّه لا يقبلُ الهجومَ على العراق ـ البلد المحاصَر الجائع ـ؛ لأنَّ مثل الهجوم لن يقودَ إلاَّ إلى زيادة التوتُّر في الشرق الأوسط، وخاصةً أنه لا تُوجدُ أيَّةُ مُبرِّرات للهجوم على العراق مما تقولُهُ الولاياتُ المتحدةُ ويتحدَّث عنه «توني بلير» ـ الشريكان في عملية الهجوم الظالم ـ.

حتى إنَّ رئيس وزراء كندا ـ الحليف الطبيعي لأمريكا ـ «جان كريتيان»، يُصرح أمام الصحفيين وعلى الملأ بأعلى صوته: أنَّه لم يرَ أيَّ دليلٍ على ما يُقال: عن نوايا «صدام»؛ ـ إذ هي مجردُ نوايا وأفكار، فهل يُحاسَبُ الإنسانُ على النية والتفكير ـ وقال: إنَّ هيئة الأمم المتحدة هي المكانُ الذي يجب أن تُسوَّى فيه مشكلةُ العراق من أولها إلى آخرها، ولكنْ على مجلس الأمن أنْ يضغطَ على العراق لتحقيق مطالب هيئة الأمم المتحدة.

وقد تحدَّى العراقُ الولايات المتحدةَ الأمريكيةَ بأنْ تُثبتَ ملكيّةَ العراق للأسلحة النووية، أو حتى مجرّد موادَّها. ؟ قائلاً ـ والقول لـ«طارق عزيز» ـ: أأمسكَتَ الولاياتُ المتحدةُ شُحنةَ سلاح نوويٍّ حتى تُقيمَ الدُّنيا وتُقعدَها، أين الدليلُ. . ؟

الدليل: أنْ تُمسكَ أمريكا بالشُّحنة، ثم تستطيع بعد ذلك أنْ تقول وترى ما ترى، فلماذا هذا الظلم والتجنِّي على العراق . . !!؟

ولم تقف مصرُ أمام هذه الأحداث متفرجةً، بل حذّر وزير خارجيتها من توجيه أية ضربة إلى العراق؛ لأن الرفض لسياسة أمريكا سوف يتزايد عالمياً، وأكَّد على الالتزام بمبادىء الأمم المتحدة، وحلِّ الأزمة العراقية حَلا سلمياً، وعدم تفرُّد أمريكا بالقرارات التي تَمَسُّ الأمنَ العالميَّ، وطالَبَ المجتمعَ الدوليَّ ـ وهذا حقٌّ وعَدْلٌ ـ أن ينظر بعينه الثانية إلى أكبر مشكلة إنسانية معاصرة، هي المشكلةُ الفلسطينية، والعدوانُ الإسرائيليُّ المستمرُّ على الشعب الفلسطينيِّ ـ بإذن وتخطيط من أمريكا ـ؛ لأنَّ ذلك يُشكِّلُ انتهاكاً للقوانين الدولية، وللشرعية الدولية. . ولكن هل من مُجيب. . ؟

## دروس أمريكية خصوصيةٌ للمنطقة العربية ـ الإسلامية:

جاء في (قضايا وآراء) المصريةُ ـ العدد 42274/ 2002م أيلول (سبتمبر)، من جمادى الآخرة 1423هـ يوم الثلاثاء، بحثٌ مبسَّطٌ عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، بشأن المنطقة العربية، والعالَمِ الإسلاميِّ، بقلم: فهمي هُويدي، ما يلي:

1 ـ إذا صحَّت الأنباءُ القادمةُ من واشنطن، فإن المنطقة العربية، وربما العالَم الإسلاميّ بأسره، بصَدد تَلقِّي دروس خُصوصية أمريكية في الديمقراطية وحقوق الإنسان، الأمر الذي يعني: أنَّ إدارة الرئيس «بوش» لن تكتفيَ بمَهمَّة التأديب ـ العسكرية ـ التي حدثت في أفغانستان، ويُخطَّطُ لتكرارها في العراق، وإنَّما ستواصل دَورَها الرساليَّ عن طريق ممارسة سياسة التهذيب والإصلاح في دول أخرى، بهدف إعادة تأهيل المنطقة للانخراط في مجرى العصر والتاريخ ـ طبعاً المقصود: مجرى وعصر وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الجديد..

ليس في هذا الذي أشرت أيَّ مبالغة أو ادِّعاء، ناهيك عن أنَّه كلامٌ جادٌّ، ليس فيه شيءٌ من السخرية أو الهَزْل، رغم أنَّ ظاهر الكلام يُوحي بشيء من ذلك القبيل. فقد تواترت أنباءُ تقويم وتهذيب وإصلاح الأمة العربية والإسلامية في رسائلَ أمريكية عديدة، جرى بَثُّها على نحو أكثرَ، تحديداً: ابتداءً من اليوم العشرين في الشهر الماضي؛ فقد تحدثت (واشنطن بوست)، مثلاً: في 21/ 8، عن اعتزام إدارة الرئيس «بوش» إطلاقَ مبادرة تحتوي على برنامج للإصلاحات الديمقراطية في الشرق الأوسط، بدايةً من الخريف المقبل، وحتى نهاية العام الحالي، وسوف يقوم «كولن باول» وزيرُ الخارجية بالكشف عن معالم تلك الخطة، التي تَستهدفُ تشجيعَ ونشرَ الإصلاحِ التعليميِّ والاقتصاديِّ والسياسيِّ، وسوف يُخصَّصُ لهذا الهدف ـ بصفة مبدئية ـ مبلغُ: خمسة وعشرين مليون دولار، سَتُموِّلُ مشروعات تجريبية لتدريب الناشطين السياسيين والصحفيين والقيادات النقابية، ونَسبت الصحيفةُ الأمريكيةُ هذه المعلومات إلى مسؤول أمريكيٍّ كبير في البيت الأبيض، مُشيرةً إلى أنَّ مركز مشروع الإصلاحات الديمقراطية يُجري مراجعةً واسعةً لكيفية صَرْف واستخدام برنامج المساعدات الأمريكية للدول العربية الذي يُخصَّص له: مليار دولار، بحيثُ يَخدمُ تلك الأهداف.

فقد نقلت (واشنطن بوست) عن مسؤول البيت الأبيض قولَه: إنَّ الخطة الأمريكيةَ تَهدُفُ أيضاً لتهيئة المجتمع العربيِّ لاستقبال منافع العولمة، الأمر الذي يقتضي إجراءَ تغييرات تدريجية وبطيئة تَهدُفُ لبناء صحافة حُرَّة، ومؤسسات حُكْم محليٍّ فاعلة، ومؤسسات مجتمع مدنيٍّ جديد. وقد تحدَّث العاملون في المشروع أيضاً عن محاولات لبناء علاقة ـ علاقات ـ شَراكة بين هذه المؤسسات والدولة، خاصةً في عمان والمغرب.

وأضافت الصحيفةُ: أنَّ الهجمات على أمريكا في العام الماضي دفعت باتجاه تغيير موقف الإدارة الأمريكية من ملفَّات حقوق الإنسان، والإصلاح الاقتصاديِّ؛ حيثُ ترى أنَّ الدافعَ الحقيقيَّ للهجمات كانَ غيابُ حقوق الإنسان في عدد من الدول التي جاءَ منها المهاجرون.

هذا وقد ربط مُحلِّلون دعوةَ «بوش» التي تدعو لاعتناق المبادئ الإنسانية لحقوق الإنسان، والدَّعَوات المحافظية الجديدة بالحملة الأمريكية أثناء الحرب الباردة، التي حاولت تشجيعَ الانشقاق والتمرُّد على الأنظمة الشيوعية، وأشار مُعلِّقون إلى أنَّ إدارة الرئيس «بوش» تأخذ كثيراً من أفكار المُنشَقِّ الشيوعيِّ السابق، والمُتطرِّف الداعي لترحيل الفلسطينيين «ناثان شيرانسكي»: الذي يدعو في كتاباته للإصلاح الديمقراطيِّ في العالم العربيِّ، وغالباً ما تُدرس مقالاتُهُ بعناية في داخل دائرة الرئيس «جورج بوش الابن».

وقد أشارت المصادرُ إلى: أنَّ من بين البرامج التي ستقوم الإدارة الأمريكية بالإشراف عليها، محاضراتٌ تدريبيةٌ حول الديمقراطية ومُؤسَّساتها، ستُعقَدُ في لبنان، وعمَّان والمغرب، كما سَيَتمُّ عقدُ وَرشة عمل لصحفيِّين عرب من أحدَ عَشرَةَ دولةً، وتُركِّزُ الإدارة الأمريكيةُ على المرأة؛ حيثُ تُخطِّطُ لإحضار ناشطات نسويات من العالم العربيِّ أثناء الانتخابات في الخريف المقبل، حيث ستُنظِّمُ الخارجيةُ لهُنَّ زيارات لعدد من المدن الأمريكية والمؤسَّسات، ومُحاضرات عن النظام السياسيِّ الأمريكيِّ.

2ـ إنَّ سياسة التأديب والتهذيب والإصلاح التي قرَّرت الإدارةُ الأمريكيةُ أن تُمارسها بعد 11 أيلول (سبتمبر)، من تَجلِّيات فكر الاستقواء والهيمنة على مُقدَّرات العالم، المُسيطر الآن على القرار الأمريكيِّ، والذي وَجدَ له أنصاراً، ما بَرِحُوا يُسوِّغُونَه، وينظرون له، بحُسبانه مسؤوليةً ألقت به الأقدارُ على كاهل الولايات المتحدة، بعدما نَصَّبتها في صدارة العالَم بعد انهيار الإتحاد

السوفييتي، إلى تَبنّي آخرين لفكرة حروب السلام الوحشية، وقول «ماكس بوت» ـ أحد كبار كُتّاب (وول ستريت جورنال) ـ: أن الولايات المتحدةَ ينبغي ألاَّ تخشى من خوض الحروبَ الصغيرة التي تَستهدفُ تحسينَ أوضاع قُطّاعات عريضة من البشر، لا يتمتعون بالسعادة مثلَنا، فقَط ألفتَ النظر إلى أنَ الأفكار الأساسيةَ التي تتردَّد في هذه الأيام عن مسؤولية الولايات المتحدة إزاء إصلاح الكون، هي ذاتها الذي استخدمها المستشارُ الألمانيُّ «بسمارك» في اجتماع لزعماء الدول الأوربية عام 1884م؛ لتحديد قواعد المنافسة بينها في مجال السيطرة على بقية العالَم؛ حيثُ ادّعى أنهم ما قصدوا إلى الأخذ بيد الشعوب المتخلّفة لكي ترتقيَ في مدارج التقدُّم والرُّقيِّ.

لقد أصبحت الولايات المتحدة تُقدِّمُ التسهيلات والمَزايا التفضيليةَ لليابان؛ لكي تُعزِّزَ موقفَها كقلعة حليفة متقدمة في مواجهة الدولتَين الشيوعيَّتين الكبيرتين: الإتحاد السوفييتي والصين الشعبية، وهو ما استفادت منه اليابانُ اقتصادياً، الأمرُ الذي أسهم ـ إلى جانب الظروف السابق ذكرُها ـ في دفع عَجَلة الاقتصاد وازدهارها، واستصحب ذلك تغريباً متزايداً للمجتمع الياباني، الذي لا تزال القواعدُ الأمريكيةُ مُرابطةً على أرضه بعد مُضيِّ أكثر من نصف قرن على تطبيق سياسة إعادة التأهيل، على الرغم من التقدم العلميِّ والتكنولوجيِّ للصناعات اليابانية التي تفوَّقت على مثيلاتها في دول أوربا.

أما ألمانيا فكان حظُّها أتعسَ، فعلى خلاف اليابان، التي انفرد الأمريكيون باحتلالها، فإنَّ ألمانيا خضعت لاحتلال رباعيٍّ (أمريكيٍّ ـ بريطانيٍّ ـ فرنسيٍّ ـ سوفييتيٍّ)، الأمرُ الذي أدَّى إلى اختلاف مناهج الدول في ممارسة عملية إعادة التأهيل، رغم أن الجميع قد اتفقوا على ضرورة الاستسلام غير المشروط للجيش الألمانيِّ، بل والأمة كلِّها... فقد اتفق الجميعُ أيضاً على محاكمة قادة النظام النازيِّ في إطار محاكمات «نورميرغ» وإعدام بعضهم، كذلك تَمَّ القبضُ على آلاف العناصر الألمانية المتعاطفة مع النازيِّين، ومع نهاية سنة 1946م كان هناك 46 ألف سجين ألمانيٍّ في السجون البريطانية، و95 ألف في السجون الأمريكية، و19 ألف في السجون الفرنسية، و67 ألف في السجون السوفيتية، كما تَمَّ طردُ آلاف أخرى من وظائفهم في عملية تطهير للجهاز الحكوميِّ من كلِّ العناصر التي اشتُبه في تعاونها مع النظام النازيِّ، ومنعُ 390 ألف ألماني من تَولِّي أيِّ وظائفَ عامة في منطقَتَي الاحتلال الفرنسية والبريطانية، وحصل الشيءُ ذاته في منطقَتَي الاحتلال الأمريكية والسوفيتية ـ وهكذا شَنَّتْ دولُ الحُلفاء عمليةَ تطهير جماعيةٍ واسعة أخضعت

الشعبَ الألمانيَّ لإرهاب سياسيٍّ شامل، طال حتى العناصرَ التي كانت تُعادي الحزبَ النازيَّ، ولم يَنجُ من العملية سوى العناصرُ التي وَجدَها المحتلُّون مفيدةً لمساعدتهم في إدارة مناطق الاحتلال، مثل: كرازاي في أفغانستان، بعد احتلالها من قبل أمريكا وخلفائها، ومثل هذا تريد أنْ تصنعَ الولاياتُ المتحدةُ مع العراق، ثم مع بقية الدول العربية والإسلامية المؤيِّدة لعدم ضرب العراق من قِبَل الولايات المتحدة.

## التعليق:

لعلَّ التعليمَ العامَّ التي تقوم به وزاراتُ التربية والتعليم في دول العالَم، لم يَعُد كافياً لتعليم الشعوب العلومَ الجديدةَ، المكتشفةَ حديثاً في الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً وعسكرياً. فها هي الولاياتُ المتحدةُ وبعد التجارب التي قامت بها على شعوبُ العالم، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، وجدتَ طُرُقاً جديدةً، وأساليبَ مختلفةً تربويةً، تُساهم بالإسراع في تنفيذ المخطَّطات الحديثة، وذلك عن طريق إعطاء دروس خصوصية في الديمقراطية؛ لأنَّ الأساليب القديمةَ لم تُعطَ النتائجَ المرجوَّةَ لفهم ديمقراطية الولايات المتحدة، التي تَبني الشعوبَ بناءً ديمقراطياً مختلفاً، فالعدالة والحرية والمساواةُ أصبحت شعارات ديمقراطيةً قديمةً، بل هي من مُخلَّفات الثورة الفرنسية عام 1779م. لذلك فإن الديمقراطية الجديدةَ يجب أن تقوم مُرتكزاتُها على القوانين الجديدة، التي لا تلتزم بها الولايات المتحدةُ حتى لو خالَفَتْ قوانينَ الإتحاد الدوليِّ ومبادئَ الهيئة العامة للأمم المتحدة، ومجلسَ الأمن الدوليِّ، إنَّها سياسة القوة، سياسةُ القناعة المسبَقة، سياسةُ القراراتَ التي لا يجب التراجعُ عنها حتى ولو رَفضَتها شعوبُ العالم وحُكَّامُها، وسُكَّانُ الكرة الأرضية من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، ومن الولايات المتحدة غرباً إلى الصين شرقاً؛ لأن قرارات القوة الأمريكية قراراتٌ معصومةٌ عن الخطأ والغلط؛ لأنَّ العصمةَ لا تكون إلاَّ للأنبياء والرسل فقط بواسطة الوحي، أما الولاياتُ المتحدةُ ـ بقنابلها الهيدروجينية، وصواريخها العابرة للقارات، وقاذفات القنابل بعيدة المدى، فإنها هي التي تُرسلُ الرسلَ والأنبياءَ إلى أرجاء المعمورة لتنفيذ سياستها ـ فهي المعصومة التي لا تَعرفُ الخطأ أو الغلطَ. فديمقراطية القوة الأمريكية هي إذن ديمقراطيةُ القرن العشرين، التي يجب أن تلتزم بها الأممُ والشعوبُ، وخاصةً الشعوبُ العربيةُ والإسلاميةُ التي تَجرَّأت بأحداث

الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) على اختراق الحُجُب المقدَّسة لفضاء الولايات المتحدة الأمريكية. ولذلك فإنه يجب تعليمُ وتأديبُ دول العالم الثالث، وخاصّةً العرب والمسلمين، كما أدَّبنا أفغانستان وغَيَّرنا نظامَ حُكمها، وأزَلْنا من الوجود طالبانها وقاعدتَها، وأتينا بالديمقراطيِّ الجديد: الذي لبس الثيابَ الأمريكيةَ، وتَربَّى على موائد الولايات المتحدة، ليُنفِّذَ الإصلاحات الجديدةَ التي تَجهلُها الشعوبُ الأسيويةُ عامةً، والشعوبُ العربية والإسلاميةُ خاصةً.

هذه الإصلاحات يجب أنْ تَنقُلَها الولاياتُ المتحدةُ إلى منطقة الشرق الأوسط.. منطقة الفراغ السياسيِّ، ومنطقة الفراغ من الحُكّام الأصدقاء؛ لتَبعثَ الحياةَ الديمقراطيةَ بعثاً جديداً أمريكياً رأسمالياً ديمقراطياً.. !!

ليس ذلك فقط: بل تريد أمريكا أن تُطبِّقَ إصلاحاتها في منطقة الشرق الأوسط، التعليمية والاقتصادية والسياسية. وقد رَصدَتْ لهذا المشروع: مليار دولار.. وخاصةً أنَّ الخطة الأميركيةَ الجديدةَ تَهدُفُ لتَهيِيء المجتمع العربيِّ لاستقبال فوائد العولمة؛ من أجل إجراء التغييرات التدريجية، من أجل بناء: مؤسَّسات حكم فاعلة، ومؤسسات مجتمع مَدنيٍّ حديث، وصحافة حُرَّة، بدلاً من الصَّحافة التي توجِّهُها السُّلُطات الحاكمة لغسل دماغ قُرَّاء المنطقة؛ حتى لا يتعرَّفوا على الديمقراطية الجديدة.. لأنَّ حقوق الإنسان ليست ضائعةً فحسب، بل هي مفقودةٌ في دول منطقة الشرق الأوسط.. !! والمؤسف حقاً حقاً حقاً: أنَّ هذه الديمقراطيةَ التي تُبشِّرُ بها أمريكا هي ديمقراطيةُ الصهيونيِّ-الماسونيِّ-اليهوديِّ المُتطرِّف «ناثان شيرانسكي»؛ التي تقومُ ديمقراطيتُهُ على قتل وتشريد الفلسطينيين، وترحيل مَن تَبقَّى منهم إلى الدول العربية المجاورة. هذه هي ديمقراطية الدروس الخصوصية التي تَتبنَّاها أمريكا اليومَ لشعوب منطقة الشرق الأوسط.

فيا ويلَ الشعوب العربية والإسلامية إن نامت على هوانها المُلتَفَّة به اليوم، ويا وَيلَها إنْ سكتت على التهديدات الأمريكية بضرب العراق بحجَّة أسلحة التدمير الشامل؛ فإنَّها إنْ حقَّقت ذلك ستكون خُطوتُها الثانيةُ الدَّوسَ بالأقدام على قيادات وحُكّام شعوب هذه المنطقة؛ لأنها سوف تقوم بعملية إذلالهم بعد ذبح العراق، حتى يتحوَّلَ الجميعُ إلى رعايا وسكان من الدرجة العاشرة، تَسوقُهُم كالأغنام، وتَدوسُ على رؤوسهم بالأقدام.

إنَّ أمريكا لم تكتف بذلك، بل إنَّها تريد لنساء الشرق الأوسط أنْ يَقُمنَ بزيارات لأمريكا، لتُلقَى عليهنَّ المحاضراتُ الفقهيةُ عن الأنظمة السياسية والديمقراطية، هي زياراتٌ ومحاضراتٌ لوجه الله تعالى، من أجل تعليم وترقية نساء الشرق الأوسط. !!

ولعلَّه من المودة والرحمة أنَّ أمريكا تريدُ إصلاحَ الكون؛ لأنَّه مسؤوليتها الأخلاقيةُ. . فكما استطاع «بسمارك» الألمانيُّ أنْ يَفرضَ سيطرةَ القوة والمنافسة عام 1884م على زعماء الدولة الأوربية، وهَزَمَ فرنسا قبل ذلك عام 1870م مُحقِّقاً الوحدةَ الألمانيةَ، ثم تَبِعَه بعد ذلك «هتلر» بعُنصُريته وعُنجهيَّته التي قاد بها ألمانيا إلى الحرب الثانية؛ ليَفرضَ سيطرتَهُ على العالَم من خلال الشعب الألمانيِّ المُميَّز عن غيره من الشعوب - وهي نفس نظرية الشعب المختار عند اليهود -، وخرج من الحرب بهزيمةٍ مُنكَرةٍ؛ لأنَّ فلسفته السياسيةَ كانت تقوم على الغرور: «ألمانيا فوق الجميع».

واليوم تريدُ أمريكا أن تلعبَ دورَ «هتلر» بفلسفتها الجديدة المَبنيَّة على سياسة القوة والسيطرة والإرهاب.

يجب على الولايات المتحدة أن تنظرَ إلى التاريخ، وتقرأَهُ جيداً قبل أن يَقتُلَها غُرورُها، كما قتل «نابليون بونابرت» في فرنسا، و«هتلر» في ألمانيا، تصديقاً لقول الشاعر:

ما طارَ طيرٌ وارتفع إلا كما طار وقع

إنَّ في هذا البيت لحكمةً ما بعدها حكمةٌ؛ لأنَّه يَختصرُ ببلاغته سياسةَ الشعوب والحُكَّام.

فكلُّ دولة تبدأ صغيرةً ثم تَكبَرُ وتَقوى، ثم تتوسَّعُ وتنتشر، ثم تَضعُفُ وتَشيخُ، ثم يأتيها هادمُ اللَّذات ومُفرِّقُ الجماعات، فتَذبَلُ وتموتُ، ولكنَّ الفرقَ بين موت ونهاية الدولة العادلة، ونهاية الدولة الظالمة هو: ما تتركُهُ من أثر علميٍّ حضاريٍّ خَدمَ الإنسانيةَ والمجتمعات عند الدولة العادلةَ؛ حيثُ يذكُرُها التاريخُ بمَّا تَستحقُّ من المدح والثناء، بينما لا يَنال الدولةَ الظَالمةَ والمعتديةَ إلاَّ لعناتُ التاريخ والشعوب التي ذاقت الويلَ على يديها، وعلى سياستها، كما تفعلُ الولايات المتحدةُ الأمريكيةُ اليومَ مع الشعوب، وكما تفعلُ إسرائيلُ مع الفلسطينيين أبطال الحجارة.